تاريخ المسلمين وحضارتهم
فى خراسان
من الفتح الإسلامى حتى الغزو المغولى

تأليف
د. عبد الرحمن صالح بكار
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
كلية الآداب - جامعة بنغازى

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة

البريد الالكترونى :

Alsakafa_aldinaya@hotmail.com

هاتف: 2025922620+

فاكس: 2025936277 +

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

تاريخ المسلمين وحضارتهم فى خرسان من الفتح الاسلامى حتى الغزو المغولى

تاليف : عبد الرحمن صالح بكار

ط1 القاهرة :مكتبة الثقافة الدينية 2016

عدد الصفحات :

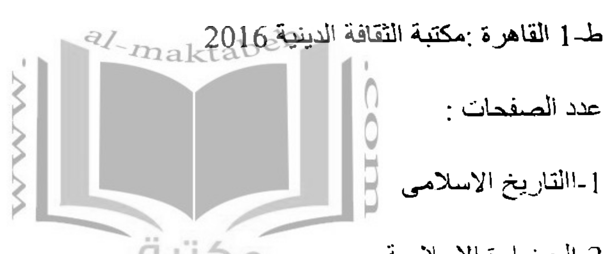
1-التاريخ الاسلامى

2-الحضارة الاسلامية

ا-العنوان

رقم الايداع : 2016/13297

الترقيم الدولي: 978-977-341-666-9



بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

صدق الله العظيم،،،

الآية: (٣٢) سورة البقرة




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الإهداء

الى من علمنى الحروف الأولى

الى والدى - عليه رحمة الله

الى والدتى - أطال الله فى عمرها.

الى أسرتى

زوجتى - وأولادى

المقدمة

الحمد لله حمدًا يليق بكماله وجلاله، والشكر لله شكرًا يليق بعزته وجلاله، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام الحق سيدنا محمد بنى العلم ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وسنته الى يوم الدين وبعد -

فإن من فضل الله تعالى وتوفيقه أن يسر لى فكرة التقدم بكتاب عن إقليم من أهم أقاليم الإسلام قاطبة، وهو إقليم خراسان بأرباعه الشهيرة نيسابور، ومرو، وبلخ، هراة، والذى منذ دخل سكانه الإسلام أصبح مصدراً من مصادر الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى حيث ساهم الإقليم اقتصاديًا وفكريًا وعلميًا فى كل مناحى الحضارة الإسلامية، فجل علماء الإسلام قاطبة نبعوا من هذا الإقليم.

وخراسان وزعت حاليًا بين ثلاث جمهوريات إسلامية هى إيران، وأفغانستان، وتركمانستان، وكان من قبل إقليمًا واحدًا دخل الإسلام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وترجع أهمية الدراسة الى أنها تقدم دراسة عن مجتمع خراسان فترة أن كانت مجتمعًا واحدًا فيه عناصر بشرية مختلفة فى الجنس، كلها مترابطة فى اللغة والدين، كما أن الدراسة تبرز جوانب العطاء فى مجال الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية لإقليم من أهم أقاليم الإسلام فقد برز علماء خراسان فى كل مجالات العلوم الإسلامية المختلفة من تفسير وحديث، وفقه، وعقيدة، وتصوف، وتاريخ، وأدب وشعر ولغة ومعاجم لغوية والعلوم التجريبية من طب وكيمياء وفيزياء، ورياضيات، وفلك وجغرافيا ولكى يدرك أبناء المنطقة اليوم أن ماضيهم كان عريقًا، وأن لأجدادهم فضل السبق فى فلك النهضة التى تزخر بها المعاهد العلمية فى إنحاء العالم، وأنه قل أن توجد مكتبة فى العالم كله تحوى كتبًا باللغة العربية ليس فيها إنتاج علمى لواحد من أبناء المنطقة فى قرونها المختلفة.

وقسمت الكتاب الى أربعة فصول سيتحدث الفصل الأول عن جغرافية خراسان وأحوالها السياسية منذ الفتح العربى الإسلامى حتى نهاية دولة الأتراك السلاجقة، وخصصت الفصل الثانى للأحوال الاقتصادية فى هذا الإقليم الهام، وتأتى أهمية الفصل الثالث لأنه يتناول مجتمع خراسان فى عصر من أهم عصورها وهو العصر الغزنوى ويتناول الفصل الرابع الحياة العلمية وأهم المؤسسات العلمية فى العصر السجلوقى الذى أزدهر فيه العلم فى هذا الإقليم.

والله تعالى أسال أن أكون قد وفيت الموضوع حقه، وأن كان هناك نقص فمنى، فالكمال لله تعالى وحده وهو الموفق والمستعان.

* * *

الفصل الأول
الأحوال السياسية فى إقليم خراسان

- إقليم خراسان جغرافيًا.
- إقليم خراسان تاريخيًا.
- الفتح الإسلامى لإقليم خراسان.
- إقليم خراسان فى العصرين الأموى والعباسى.
- إقليم خراسان عصر الدويلات المستقلة (الطاهرية - الصفارية - السامانية - الغزنوية - السلجوقية).

أولاً: إقليم خراسان جغرافيًا

١- التسمية:

خراسان بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون[١]، وخراسان فى اللغة الفارسية القديمة كانت تطلق على "البلاد الشرقية"، وكان هذا الاسم يطلق بوجه عام حتى أوائل القرون الوسطى[٢].

وخراسان اسم مركب بالفارسية معناه بالعربية موضع الشمس[٣]، وقيل خراسم للشمس الدرية وأسان موضع الشئ ومكانه، وقيل معناه كل سهلا، لن معنى "خر" كل "سهل"[٤] وقيل معنى خراسان كل بالرفاهية والأول أصح[٥].

ولقد أطلق الجغرافيون العرب كلمة خراسان بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية فى شرق المفازة[٦] حتى جبال الهند[٧].

١ - أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر شاهنشاه بن أيوب، صاحب، حماه، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود، البارون ماك كوكين ديسلان، طبعة باريس، ١٢٥٦هـ/ ١٨٤م، دار صادر، بيروت، بدون، ص٤٤١ .

٢ - كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، ووضع فهارسه، بشير فرنسيس كوركيس عواد، مطبعة الرباطة، بغداد، ١٢٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص٤٢٣، محمد حسن عبدالكريم العمادى: خراسان فى العصر الغزنوى، الأردن، ١٩٩٧م، ص١ .

٣ - السمعانى: أبى سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور، ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، الأنساب، وضع حواشية محمد عبدالقادر عطا، ٦ أجزاء، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٢، ص٣٨٧ .

٤ - ياقوت الحموى: ياقوت بن عبدالله بن الرومى ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان، ٨ أجزاء فى أربعة مجلدات، ط، دار إحياء التراث العربى، مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، ١٤١٧هـ/ ج٣، ص٢١٨ .

٥ - السمعانى: المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٧ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٨، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٤٤١ .

٦ - المفازة: هى صحراء قليلة العمارة والسكان والمدن والقرى، ويكثر بها اللصوص، كما أنها ليست فى حيز بعينه، فيرعاها هذا الإقليم بالحفظ، كما يصعب سلوكها بالخيل، وإنما تقطع بالإبل: الأصطخرى: ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى، ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م. المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبدالعال الحسينى، راجعه محمد شفيق غربال، القاهرة، ١٣١٨هـ/ ١٩١٦م، ص١٣٣، ابن حوقل: أبى القاسم بن حوقل النصيبى ت ٣٧٠هـ/ ٩٩٢م، صورة الأرض، طبعة الفروق الحديثة، نشر دار الكتاب الإسلامى، القاهرة بدون، ص٣٤٠ .

٧ - كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٣، قحطان عبدالستار الحديث، التواريخ المحلية لإقليم خراسان، العراق، ١٩٩٠م، ص١٣ .

٢- الموقع والحدود:

كانت خراسان فى مدلولها الواسع تضم كل بلاد ما وراء النهر[١] التى فى الشمال الشرقى ما خلا سجستان[٢]، وكانت حدوها الشرقية بلاد الهند[٣]، ومن ناحية الغرب يحيط بها المفازة التى بينها وبين بلاد الجبل[٤] وجرجان[٥] ويحيط بها من الشمال بلاد ما وراء النهر[٦] ومن الجنوب بعض حدود خراسان[٧].

ويقول ياقوت[٨] عن حدود حراسان "بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق وهما بخراسان وآخر حدودها مما يلى الهند

---

١ - بلاد ما وراء النهر: هى بلاد واسعة ومدن كثيرة، وهى آخر جيحون، وليس بعدها على النهر عمارة حتى يقع ما وراء النهر فى بحيرة خوارزم. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٩٥، الحميرى: محمد بن عبدالمعنم، الروض المعطار فى الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، ط٢، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤م، ٢٢٥ .

٢ - سجستان: بكسر أوله وثانيه وسين أخرى مهملة وتاء مثناه من فوق وآخره نون، وهى ناحية كبيرة واسعة واسم مدينتها رزنج وبينها وبين هراة عشرة أيام "ثمانون فرسخا" وهى جنوبى هراة وأراضيها كلها رملة سبحة والرياح فيها لا تسكن أبدا! ولا نزال شديدة تدير رحيهم وطحنهم كله على تلك الرحى، وطول سجستان أربع وستون درجة وربع وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسدس . ياقوت الحموى: معجم البلدان ج٥، ص٢٣ .

٣ - كى لسترنج: بلدان الخلافة، ص٤٢٣ .

٤ - بلاد الجبل: بلاد مشهورة شرقها مفازة خراسان وفارس، وغربها آذربيجان، وشمالها بحر الخزر وجنوبها العراق وخوزستان، وأطيب النواحى هواء وماء وتربه، وأهلها أصح الناس مزاجا وأحسنهم صورة، القزوينى: ذكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون، ص٣٤١ .

٥ - جرجان: بالضم وآخره نون، مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وبها ثلج ونخل وفواكهه ولجرجان مياه كثيرة عريضة وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان وأهلها يأخذون أنفسهم بالتأنى والأخلاق المحمودة. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص٤٣، ٤٢ .

٦ - أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٤٤١ .

٧ - مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، كتبه سنه ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م. ترجمة عن الفارسية وحققه يوسف الهادى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١١٤ .

٨ - البكرى: أبى عبدالله بن عبدالعزيز ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م، معجم منا استعجم من أسماء البقاع والمواضع، ط١، نشر لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٥م، ج٢، ص٤٨٩، ياقوت: ج٣، ص٢١٨ .

طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها إنا هو أطراف حدودها وتشمل خراسان على أمهات من البلاد من نيسابور ومروه وهراة وبلخ" .

والإقليم الذى يعرف الآن باسم خراسان يضم أقل من نصف خراسان القديمة أما بقته لأفغانستان وغيران وروسيا[١] .

٣ - المناخ:

إقليم خراسان طيب الهواء، عذب الماء، صحيح التربة عذب الثمرة[٢] وعلى ذلك فهو إقليم معتدل المناخ لطيف الهواء، ليس فيه مناطق شديدة الحرارة ولا شديدة البرودة إلا البامـيان فإنها أكثر بلاد خراسان بردا أو ثلجا[٣]، وأذكى أرض خراسان السقى بنيسابور، وأحسن أرضها فى الأمطار التى ترويها بين هراة ومرو الرود[٤] .

وبإقليم خراسان من الدواب والرقيق والأطعمة والملبوس[٥] وسائر ما يحتاج الناس إليه ما يسعهم ينتقل إلى سائر الأقطار عنهم، فأما الدواب فأنفسها ما يقع من نواح بلخ، وأنفس ثياب القطن، .والأبرسيم (الحرير) ما يرتفع من نيسابور ومرو[٦]، ومن هراة ترتفع أكثر صادرات خراسان من البز الكثير والبازيلا والزبيب الأخضر وعصير العنب والتمر والفستق[٧]، كما يوجد بإقليم خراسان معاد الذهب والفضة والجواهر التى يؤتى بها من الجبال[٨] .

---

١ - دائرة المعارف الإسلامية: ترجمها إلى العربية نخبة من الأساتذة أحمد الشنتناوى، إبراهيم ذكى خورشيد، عبدالحميد يونس، راجعها د. محمد مهدى علام، القاهرة، ١٩٣٣م، ج٨، ص٤٢٣ .

٢ - ابن الفقيه الهمذانى: أبى بكر بن أحمد بن محمد ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٣م، مختصر كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، دار صار بيروت، ١٣٠٢١هـ ص٣١٦ .

٣ - الأصطخرى: السمالك والممالك، ص١٥٨ .

٤ - ابن حوقل: صورة الأرض، ٣٧٧ .

٥ - الأصطخرى: المسالك والممالك، ص١٥٧ .

٦ - ابن حوقل: صورة الأرض، ٣٧٦، ٣٧٧ .

٧ - المقدسى: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن البناء البشارى ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م. احسن التقاسيم فى معرفة الأقليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسة د. محمد مخزوم، دار أحياء التراث العربى، بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٥٣ .

٨ - مؤلف مجهول: حدود العالم، ص١١٤ .

ومن هذا العرض الجغرافى لإقليم خراسـان يتضح أن هذا الإقليم يتمتع بموقع جغرافى ممتـاز، إلى جانب مناخ معتدل وتربه صالحـة وتجارة واسعة مما كان له أثره فى وفرة أسـباب المعيشـة، مما كان له أثر مباشـر فى إنجاب علماء وأدباء يشـهد لهم التـاريخ بذلك، ويتضح هذا جليـا فى قول المقـدسى[1]:

"خراسان فى غـذاء الهواء وطيب الماء وصحة التربة، وعـذوبة الثمرة وأحكام الصنعـة وتمام الخلقة وطول الـقامـة وحسن الوجـوه وفراهة المراكب وجـودة السلاح والتجارة والعلم والعفة والفقه والدراية.. وهم مع العلم الكثير والمال المديد والرأى الرشيد" .

كما يقول ياقوت الحموى[2] فى علماء خراسان "هؤلاء هم أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوق حصرهم ويعجز البليغ عن عدهم" .

ثانيًا: إقليم خراسان تاريخيًا

١- الفتح الإسلامى فى عصر الخلفاء الراشدين (١٣ - ٤٠هـ/ ٦٣٣ - ٦٦٠م)

بعد أن أنعم الله سبـحانه وتعالى على المسلمين بفـتح بلاد العراق التى كانت تقع تحت الـسيطرة الفارسـية فى معـركة نهاونـد الشهيـرة عام ٢١هـ/ ٦٤١م وهزيمـة يزدجرد الثالـث وفراره إلى خراسـان حتى وصل إلى مـدينة مرو[3].

أمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٣ - ٦٤٢م قائده الأحنف ابن قيس التمـيمى بالتوجه إلى خراسان عـام ٢٢هـ/ ٦٤٢م فدخلها من ناحية الطبسـين وهما حصنان يقال لأحدهما طبس والآخر كرمـين، فيها نخل وهما بابـا خراسان فـأصاب مغنمـا، وأتى قوم من أهلهـا، وكتب لهم

---

١ - أحسن التقاسيم، ص٢٣٥ .

٢ - معجم البلدان، ج٣، ص٢٢١ .

٣ - ابن أعثم الكوفى: أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦، كتاب الفتوح، ٨ أجزاء، ط١ الندوة الجديدة بيروت، لبنان بدون، ج٢، ص٧٥، محمود نصيربك: أبطال الفتح الإسلامى من العرب والترك، ط٢، مطبعة خلف، مصر، بدون، ص٢٦ .

كتابا[1]، ثم فتح هراة عنوة، واستحلف عليها صحار بن فلان العبدى، ثم صار نحو مرو الشاهجان وفيها يزدجر، فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجر نحو مرو الروذ فنزلها، ونزل الأحنف مرو الشاهجان[2]، وكتب يزدجر وهو بمرو الروذ إلى ملك الترك يستمده، وإلى ملك الصغد[3] وإلى ملك الصين يستمدها لمواجهة المسلمين[4].

خرج الأحنف من مرو الشاهجان قاصدا مرو الروذ وقد أستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلى[5]، وقد وفدت إلى الأحنف إمدادات من أهل الكوفة مع أربعة أمراء، فلما بلغ مسيره إلى يزدجرد خرج إلى بلخ، فألتقى معه ببلخ فانهزم يزدجرد وهرب هو ومن بقى معه من جيشه فعبر النهر واستوثق ملك خراسان على يدى الأحنف بن قيس[6]، وتتابع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح، فيما بين نيسابور وطخارستان ممن كان فى مملكة كسرى؛ وعاد الأحنف إلى مرو الروذ، فنزلها واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر[7].

---

١ - البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، عمر أحمد عطوه، دار ابن خلدون، الإسكندرية، بدون، ص٤٢٧ .

٢ - الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، أجزاء، ط٦، دار المعارف، بدون، ج٤، ص١٦٧، ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفدا الدمشقى ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م. البداية والنهاية تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، ١٦ جزء فى مجلدات، ط٥، دار الحديث، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨، ج٧، ص١٢٠ .

٣ - الصغد: بالضم ثم السبكون وآخره دال مهملة، وقد يقال بالسين مكان، وهى كوة عجيبة قصبتها سمرقند، وقيل هما صغدان بخارى، وهى من أليب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار . ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص١٩١ . القزوينى: آثار البلاد، ص٥٤٣، ٥٤٤ .

٤ - أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماه، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، المختصر فى أخبار النشر، ٤ أجزاء فى مجلدان، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون، ج١، ص١٦٤، ابن الوردى: زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، تاريخ ابن الوردى، جزءان، ط١، در الكتب العملية، بيروت لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١، ص١٤١ .

٥ - الطبرى: المصدر السابق، ص١٦٧، د. محمد إبراهيم الجيوشى: الأحنف بن قيس سيد بنى تميم. وحليم العرب جامعة الأزهر، القاهرة، بدون ص١١ .

٦ - ابن كثير: نفس المصدر، ص١٢٠ .

٧ - الطبرى: تاريخ الرسل، ج٤، ص١٦٨ .

وكان الأحنف قد أرسل مطرف بن عبدالله بن الشخير لفتح نيسابور فأستولى عليها، كما أرسل الحارث إلى سرخس ففتحها(١).

وكتب الأحنف إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بما فتح عليه من خراسان كلها، فقال عمر "وددت أنى لم أكن بعثت إليها جندا، ولوددت أن بيننا وبين خراسان بحرا من نار" . وأمر الأحنف بعدم تجاوز النهر(٢).

عاد يزدجرد مرة أخرى واستعان بملوك الترك والصغد، وخرج راجعا إلى خراسان حتى عبر إلى بلخ ومعه ملوك الترك واستردها(٣)، ثم اختلف يزدجر وعسكره، ودارت الدوائر عليه وسلبت خزائنه وسار مع الترك فى حاشيته وأقام بفرغانه(٤) حتى استشهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م(٥).

بعد استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تولى الخلافة عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ/ ٦٤٣ - ٦٥٥م)، وعين عبدالله بن عامر بن كريز على البصرة وخراسان فاستخلف على البصرة زياد بن أبى سفيان، وسار إلى خراسان ففتح نيسابور صلحا عام ٣١هـ/ ٦٥١(٦)، كما فتح طوس وأبيورد

---

١ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص١٢١، إصلاح عبدالحميد ريحان: هرات من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى "تاريخ سياسى وحضارى"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٧ - ١٦٨م، ص٥٠ - ٥١ .

٢ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٦٧، محمد إبراهيم الجيوشى: الأحنف بن قيس، ص١١ .

٣ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٢١، محمود شيث خطاب: قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر الخضراء للشر والتوزيع، جدة بدون، ص٧٨ .

٤ - فرعانة: أحد أقاليم ما وراء النهر وهو إقليم عريض موضوع على سعة مدنها وقراها وقصبتة أخسيكث وهى مدينة جليلة ومن مدنها قبا وأوزكند ونسبا العليا ونسا السفلى.

الإدريسى: أبى عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودى الحسنى المعروف بالشريف الإدريسى، من علماء القرن السادس الهجرى، كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، جزءان، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج٢، ص٧٠٦، ٧٠٧ .

٥ - أبو الفداء: المختصر فى أخبار النشر، ج١، ص١٦٤، محمود شيث خطاب: قادة الفتح الإسلامى، ص٧٩ .

٦ - اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضحن ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوى، منشورات محمد على بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٢٧، الذهبى: شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان،=

ونسا حتى بلغ سرخس، وصالح فيها أهل مرو[١]، كما بعث على مقدمته الأحنف بن قيس، فأقر صلح الطبسين الذى فتحت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كما فتح قوهستان فى خراسان عنوة[٢]، كما وجه عبدالله بن حازم السلمى إلى سرخس ففتحها، وحاتم بن النعمان إلى مرو فصالح ملكها على ألفى ومائتى ألف أوقية[٣] وعلى أن يوسعوا للمسلمين فى منازلهم[٤].

وفى نفس العام ٣١هـ/ ٦٥١م توفى يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس حيث قتل فى مرو[٥].

وفى عام ٣٢هـ/ ٦٥٢م فتح عبدالله بن عامر مروالروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان وهى من مدن خراسان[٦].

ثم سار الأحنف بن قيس الى قوهستان حاصر أهلها فصالحوه على أربعمائة ألف درهم، واستعمل ابن عمه أسيد بن المتشمسى ليأخذ منهم ما صالحوه عليه[٧].

وفى عام ٣٢هـ/ ٦٥٢م أيضا جمع رجل يدعى قارن المجوسى جمعا عظيما بأرض هراة وخرج فى أربعين ألفا، فتوجه إليه عبدالله بن حازم

=ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، دول الإسلام، حققه وعلق عليه حسن إسماعيل مروة، قرأة وقدمة، محمود الأرناؤط، جزءان، ط١، دار صادر، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص٢١ .

١ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٠٠، إصلاح عبدالحميد: هرات من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الثانى الهجرى، ٥٢ - ٥٣ .

٢ - البلاذرى: فتوح البلدان، ص٤٢١ .

٣ - أوقية: مفرد أواق . والأوقية اثنا عشر درهما والدرهم أكثر قليلا من ثلاثة جرامات. البلاذرى: فتوح البلدان، هامش٣، ص٤٢٣ .

٤ - اليعقوبى: أحمد بن أبى إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، تاريخ اليعقوبى، جزءان، دار صادر، بيروت، بدون، ج٢، ص١٦٧ .

٥ - شاهين مكاريوس: تاريخ إيران، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٠٥هـ/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص٥٣ .

٦ - الذهبى: دول الإسلام، ج١، ص٢١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص١٥٢ .

٧ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣١٣، فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامى حتى وقتنا الحاضر، مكتبة الآداب، القاهرة بدون، ص٢٢، ٢٣ .

السلمى، وسار فى أربعة الآف فألتقوا فقتل قارن وتمزق جمعه، وغنم المسلمون سبيا عظيما وأموالا كثيرة، وتقرر عبدالله بن خازاً على خراسان[١]، وظل الأحنف بن قيس يفتح ما قدر له من بلاد خراسان ويجبى أموالها ويحمل خمس ذلك إلى عثمان بن عفان إلى أن قتل عثمان عام ٣٥هـ/ ٦٥٥م[٢].

ولى أمير المؤمنين على أبى طالب كرم الله وجهه (٣٥ - ٤٠هـ/ ٦٥٥ - ٦٦٠م) فاستعمل على خراسان جعدة بن هيبرة بن عمرو بن عاد المخزومى، وكان قد قدم على بن أبى طالب وهو بالبصرة ماهوية السورى من مرو فصالحه وأعطى له الأمان وكتب له كتابا وهو بمرو على أن يؤدى الجزية[٣]، كما بعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه خليدة بن قرة اليربوعى إلى نيسابور فحاصرها وصالحه أهلها[٤].

٢- إقليم خراسان فى العصر الأموى ٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦٢ - ٧٥٠م

بعد أن استشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهدأت الأمور وتأسست الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠) قام الخليفة معاوية ابن أبى سفيان بضم إمارة خراسان إلى البصرة وجعل عليها عبدالله بن عامر ابن كريز[٥]، فبعث عبدالله بن عامر - قيس بن الهيثم السلمى - على خراسان فأقام قيس بخراسان سنتين ٤١ - ٤٣هـ/ ٦٦١ - ٦٦٣م، استطاع خلالها استعادة بلخ عام ٤٢هـ/ ٦٦٢م[٦]، حيث كان أهل باذغيس وهراة

---

١ - الذهبى: المصدر السابق، ص٢٢، ابن كثير: المصدر السابق، ص١٥٢ .

٢ - الواقدى: أبو عبدالله محمد بن عمر ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، فتوح الإسلام لبلاد العجم خراسان مطبعة المحروسة، القاهرة، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، ص١٣٨ . ابن أعثم الكوفى: كتاب الفتوح، ج٢، ص١٠٧، محمود شاكر: أفغانستان، ط٧، المكتب الإسلامى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٤٢ .

٣ - اليعقوبى: البلدان، ص١٢٧ .

٤ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٩٢ .

٥ - اليعقوبى: المصدر السابق، ص١٧٢ .

٦ - الطبرى: المصدر السابق، ج٥، ص١٧٢ .

وبوشنج وبلخ على نكثهم، فسار إلى بلخ، فسأله أهلها الصلح والطاعة فصالحهم قيس واستعاد بلخ(١).

وفى عام ٤٣هـ/ ٦٦٣م اضطر عبدالله بن عامر إلى عزل قيس بن الهيثم لاستغلاله صلة القرابة مما جعله يتمادى فى تأخير الخراج والهدايا، واسند ابن عامر ولاية خراسان إلى عبدالله بن حازم السلمى، الذى عمل على استتباب الأمن والأمان فى خراسان، فأرسل أهل هراة وبادغيس وبوشنج يطلبون الصلح فصالحهم(٢)، كما سار عبدالله بن حازم ومعه عبدالرحمن بن سمرة إلى بلخ حتى فتحها(٣).

وفى عام ٤٤هـ/ ٦٦٤م قام معاوية بن أبى سفيان بعزل عبدالله بن عامر عن ولاية البصرة وخراسان، وكان سبب عزله أنه كان لينًا سهلا لا يأخذ على أيدى السفهاء(٤)، واستعمل على هذه البلاد زياد بن أبيه بن أبى سفيان الذى استعمل بدوره الحكم بن عمرو الغفارى على خراسان ولما توفى الحكم، كتب زياد إلى خليد بن عبدالله الحنفى بولاية خراسان(٥).

وفى عام ٥١هـ/ ٦٧١م وبعد شهر من ولاية خليد عزله زياد، وولى الربيع بن زياد الحارثى(٦) فقدم الربيع خراسان ففتح بلخ صلحا، وكانوا قد أغلقوها بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس، كما فتح قهستان عنوة(٧).

وفى عام ٥٢هـ/ ٦٧٢م توفى زياد بن أبيه وولى ابنه عبيد الله بن زياد

---

١ - البلاذرى: فتوح البلدان، ص٤٢٧ .
٢ - فلهاوزن: "ت" يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية، نقله عن الألمانية محمد عبدالهادى أبو ريدة، راجعه حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٩٦، إصلاح عبدالحميد ريحان: هرات، ص٦٥ .
٣ - اليعقوبى: المصدر السابق، ص١٢٧ .
٤ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٢٧ .
٥ - الطبرى: تاريخ الرسل، ج٥، ص٢١٢ .
٦ - اليعقوبى: البلدان، ص١٢٨، إصلاح عبدالحميد: الفتح الإسلامى، ص٦٠ .
٧ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك: ج٥، ص٢٨٦، محمود شيث خطاب قادة فتح بلاد فارس، ط١، دار الفتح، بيروت، لبنان، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص١٦٨، ١٦٩م.

من قبل معاوية بن أبى سفيان، فغزا خراسان وفتحها وغنم مغانم كثيرة، واتخذ لنفسه عبيدا من أولاد ملوك خراسان، ثم رجع إلى معاوية بالأموال والغنائم فولاه البصر عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م[١] وولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان ولاية خراسان، وكان معاوية يخافهن ولذلك عزله وولى مكانه على خراسان عبد الرحمن بن زياد وكان شريفا، ومات معاوية عام ٦٠هـ/ ٦٧٩م، وعبد الرحمن عليها[٢].

وآلت خلافة المسلمين إلى ابنه يزيد بن معاوية ٦٠ - ٦٤هـ/ ٦٧٩ - ٧٨٣م فولى على خراسان سلم بن زياد وبقى عليها حتى وفاة يزيد وابنه معاوية بن يزيد[٣].

وفى عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م كتب سلم بن زياد عهدا على خراسان إلى عبد الله بن حازم السلمى، وأعانه بمائة ألف درهم[٤]، إلا أن سلم قد استخلف على خراسان المهلب بن أبى صفرة وأقبل عبد الله بن حازم إلى مرو، وبلغ الخبر المهلب، فاستخلف على مرو رجلا من بنى جشم ابن سعيد زيد بن مناة ابن تميم، وعندما وصل ابن حازم مرو، منعه الجشمى، ولكن دخلها ابن حازم، ومات الجشمى بعدها بيومين، فوقعت الفتنة[٥].

أقام عبد الله بن حازم بخراسان يغزو ويفتح وهو فى طاعة ابن الزبير، الذى بويع له فى الحجاز كما بويع لمعاوية بن يزيد بالشام[٦]، وتوفى معاوية وبويع ابن الحكم بالخلافة بالشام أيضا، وتوفى بعد البيعة بتسعة أشهر عام ٦٥١هـ/ ٦٨٤م[٧].

١ - ابن أعثم الكوفى: الفتوح، ج٤، ص٢٠٥ .
٢ - البلاذرى: فتوح البلدان، ص٤٣٠ .
٣ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٤٥ .
٤ - البلاذرى: فتوح البلدان، ص٤٣١ .
٥ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٤٦ .
٦ - اليعقوبى: البلدان، ص١٣١ .
٧ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٦١١ .

ظل عبـد الله بن حازم على خراسان وهو فى طاعـة ابن الزبير إلى أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان بن الحكم ٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤ - ٧٠٥هـ مصعب بن الزبير فتوجه برأسه إلى عبد الله بن حازم وكتب يدعوه إلى طاعته فأخـذ رأس مصعب فـغسله وحنطه وكفـنه ودفنه، وأجاب عبـد الملك جوابًا غليظًا ولم يقبل كتابه(١).

وفى عام ٧٢هـ/ ٧٩١م كتب عبـد الملك بن مروان إلى بكير بن وشاح وكان خليـفة ابن خام على مـرو بعهده علـى خراسان فخـلع بكير برأس ابن حازم إلى عبـد الملك بن مروان، وأصبح بكير بن وشاح واليـا على خراسان من قبل عبد الملك بن مروان(٢).

وفى سنة ٧٨هـ/ ٧٩٧م ولى المهلب بن أبى صـفرة خـراسان من قـبل الحجاج ابن يوسف الثقفى، وولى ابنه المغيرة بين المهلب مرو، ومات بها(٣)، فحزن المهلب على ابنه المغـيرة، فاستخلف ابنه الآخـر يزيد بن المهلب، فغزا بلاد خراسـان وغنم مغانم كثـيرة، ثم ولى الحجاج بعـد أخيه المفضل فـفتح باذغيس، وغيرها وأصاب مغانم قسمها بين الناس(٤).

وفى عهد الخليفة الأمـوى الوليد بن عبد الملك بن مروان ٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٥م ولى الحجاج بن يوسف الثـقفى القائد قتيـبة بن مسلم الباهلى على خراسان عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م وأمره أن يقبض على آل المهلب، ففعل ذلك وصفت له خراسان(٥).

---

١ - اليعقوبى: البلدان، ص١٣٢ .

٢ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٧٧، محمود شيث خطاب: قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر ص٨٨ .

٣ - اليعـقوبى: تاريخ اليـعقـوبى، ج٢، ٢٧٦، عبـد الله محمـد جال الدين: دراسـات فى تاريخ الدولة الأموية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١، ص٧٠ -٧١ .

٤ - البلاذرى: فتوح البلدان، ص٤٣٤، ٤٣٥ .

٥ - اليعقوبى: البلدان، ص١٣٣، محمـد عبد الحميد الرفاعى: عصر الخلافة الأمـوية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٧٦ .

وفى سنة ٩٧هـ/ ٧٠٨م عصى ملك الطالقان بخراسان وأعان الترك، فسار قتيبة إلى الطالقان وأوقع بأهلها، فقتل منهم الكثير كما قتل ملكها(١)، وهزم عسكر الترك، واستقامت له خراسان(٢).

وبذلك استطاع قتيبة بن مسلم ومن معه الفاتحون العرب المسلمون أن يبسطوا السيادة الإسلامية والدين الإسلامى فى خراسان حيث أمر قتيبة بفتح الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وأمر ببناء المساجد لتعليم الصلاة وأحكام الشريعة الإسلامية، ولم يكتف قتيبة بذلك بل دعا السكان إلى الدخول فى الإسلام وترك عبادة الأصنام، فأجابوه، واعتنقوا الإسلام، وكان على المسلمين أن يدفعوا الجزية(٣).

كان موت الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ٩٦هـ/ ٧١٤م، وقائده الحجاج بن يوسف الثقفى، قد تركا جرحا غائرا فى صدر قتيبة، وما لبث أن قتل هو الآخر فى حركه شغب وسوء فهم من جنده بعد أن رفض مبايعة الخليفة سليمان بن عبد الملك ٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٤- ١٧١م، وأتهم بمحاولته الاستقلال بخراسان وبلاد ما وراء النهر(٤).

توفى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م وكان بخراسان يزيد بن المهلب وبويع عمر بن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١هـ/ ٧١٧ - ٧١٤٩م) وكان لعدالة الحكم الإسلامى فى عهده ورعايته لحقوق الناس وعمارته البلاد أثر فى انتشار الإسلام(٥).

---

١ - الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص٧٨.

٢ - اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج١، ص٢٨٧.

٣ - الغنيمى: المسلمون فى آسيا، ص٥١ - ٥٢، محمد عبد العظيم أبو النصر، تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسط الزقازيق، ٢٠٠١م ص٥٢: ٥٤، محمد سعد السيد، الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، رسالة ماجستير غير مشورة، آداب الزقازيق ٢٠٠٣م، ص١٢.

٤ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٦، ٥١٧، بارتولد: فاسيلى فلاديمير بارتولد، تركستان من الفتح الإسلامى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ط١، الكويت، ١٤١هـ/ ١٩١٨م، ص٣٠٤.

٥ - يسرى الجوهرى: آسيا الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٤.

حيث أمر عمر بن عبدالعزيز برفع الجزية عمن أسلم، فسارع الناس إلى الإسلام[1].

وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٤ - ٧٤٣م، كانت جهود الانتشار بالطرق السلمية، ومن أهمها توظيف المسجد فى المهام الدعوية والتعليمية وتوطين القبائل العربية فى المدن الكبرى[2]، خاصة فى عهد الوالى أشرس بن عبد الله السلمى (١٠٨ - ١١٠هـ/ ٧٢٦ - ٧٢٨م) إذ كان أول من أنشأ الربط والخوانق[3] والمدارس وعمل على تثبيت قدم الثقافة العربية فى البلاد[4].

وتتابعت جهود الأمويين فى عهد نصر بن سيار عندما تولى خراسان ١٢١ - ١٣١هـ/ ٧٣٨ - ٧٤٧م هذا القائد الذى يحتل فى تاريخ النضال الإسلامى مكانة لا تقل عن مكانه قتيبة فهو الذى حمى خراسان وما وراء النهر من الأتراك الشرقيين، وصان تراث العرب فى هذه البلاد[5].

كانت حماية خراسان والمشرق من عدوان الأتراك الشرقيين من أهم منجزات العصر الأموى التى مكنت السيادة الإسلامية من هذه البلاد، كما أضافوا جهودا أخرى فى ميدان الدعوة إلى الإسلام، ونشر الثقافة العربية فى

---

١ - اليعقوبى، ج٢، ص٣٠٢، ابن خلدون: عبدالرحمن بن جابر، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٨ أجزاء، ط١ الكتب العلمى، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٣، قسم١، ص٩٠ - ٩١ .

٢ - مصطفى دسوقى كسبة: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، مؤتمر بجامعة الأزهر، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٠٤، محمد عبدالعظيم أبو النصر: الفتح الإسلام لإقليم الصغد، بحث منشور فى حولية الدراسات الآسيوية، الحولية الأولى، المعهد الآسيوى الحولية الأولى، المعهد الآسيوى، الزقازيق، ١٩٩٧م، ص٢٠٥ .

٣ - محمد سعد: الحياة الفكرية، ص٢٣٥ .

٤ - الطبرى: تاريخ الرسل، ج٧، ص٥٢، حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٥٤ .

٥ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٣٢٩ - ٣٣٠ . محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامى لإقليم الصغد، ص٢٠٧ .

البلاد[١] حيث قام الفاتحون العرب بترك خراسان فى أيدى حكامها الذين اعتنقوا الإسلام على أن يشترك معهم فى الحكم عامل من قبل الخليفة، وكان على سكان هذه البلاد غير المسلمين أن يدفعوا الجزية، وكانت معاملة العرب وحسن الأخوة الإسلامية دافعا قويا لسكان تلك المناطق للسعى للصلاة فى المساجد وسماع قراءة القرآن الكريم[٢].

هكذا كان دور بنى أمية فى إقليم خراسان إيصال نور الدعوة الإسلامية والآيات القرآنية إلى هذا الإقليم، وذلك عن طريق بناء المساجد واستقدام العلماء لتعليم الدين الإسلامى عن طريق ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية - لغتهم الأصلية.

وكان القرآن الكريم يقرأ بالفارسية وبالعربية لأن اللغة العربية لم تكن ميسرة على الناس[٣].

كل ذلك أدى إلى انتشار الإسلام فى إقليم خراسان، كما ظهر من أبناء هذه البلاد طبقة أجادت اللغة واشتغلت بعلوم القرآن، واللغة والحديث وغيره من هذه العلوم، وأفادت وأضافت للحضارة الإسلامية الكثير[٤].

٣- إقليم خراسان فى العصر العباسى الأول (١٣٢ - ٢٢٣هـ/ ٧٥٠ - ٨٤١م)

لعب إقليم خراسان دورا هاما فى إنجاح الدعوة العباسية، حيث كان مقر هذه الدعوة، حينما زادت أعداد الناقمين على الدولة الأموية فى خراسان وغيرها، كما اشتعلت فى الوقت نفسه نيران العصبية القبلية التى استغلها دعاة بنى العباس فى خراسان بذكاء نادر[٥].

---

١ - حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، ص١٥٣، ١٥٤، محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامى، ص٢٠٧

٢ - عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والمسلمون، ص٥١، ٥٢ .

٣ - محمد سعد السيد: الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ٢٠٠٣م، ص١٣

٤ - فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص٢٣، ٢٤ .

٥ - محمد عبدالعظيم أبو النصر: الدول العباسية، نظمها الداخلية وعلاقاتها عثمان الخارجية، الزقازيق، ١٩٩٧م، ص٣١ .

سقطت الخلافة الأموية عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م بعد أن أصبحت غير قادرة على مواجهة الزحف القادم من شرق الدولة بقيادة أبى مسلم الخراسانى(١)، معلنا الولاء لبنى العباس(٢).

كانت فترة ظهور الخلافة العباسية ١٣٢هـ/ ٧٤٩م قد شهدت نمو وازدياد الأطماع الصينية فى البلاد، لكن العباسيين استطاعوا بقيادة القائدة زياد بن صالح الخزاعى هزيمة الجيش الصينى الذى كان يقوده (كاو - هين - شيه) عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م(٣).

ولقد بذل العباسيون جهودا كبيربة فى تثبيت أقدام الإسلام فى إقليم خراسان، كما كان لهم دورا هاما فى انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية فى هذه البلاد.

ففى عهد الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٣ - ٧٧٤م) ازدهرت حركة الترجمة، حيث شجع المترجمين على ترجمة الكتب التى تبحث فى علم النجوم، وكانت له عناية وبراعة فى الفقه والأدب، كما كان مقدما فى الفلسفة، وهو أول من عنى من آل العباسى بالعلوم(٤).

وفى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨م) ازدهرت الحركة العلمية، حيث كان يميل إلى أهل الأدب والفقه،

---

١ - أبى مسلم الخراسانى: هو أبو مسلم عبدالرحمن بن مسلم، وقيل عثمان الخراسانى، القائم بالدعوة لبنى العباس، وكان أبوه من رستاق فريذين من قرية تسمى "سنجرد" أو (سنجر) بخراسان: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/إحسان عباس، ٨ أجزاء، طبعة دار صادر، بيروت لبنان، بدون، جـ٣، ص١٤٥ .

٢ - ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٧٣: ٧٩ .

٣ - بارتولد: تركستان، ص٣١٦، الغنيمى: الإسلام والمسلمون، ص٥٩، ٦٠ .

٤ - الذهبى: شمس الدين بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م، تهذيب سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط، هذبه حمد فايز الحمصى، ٣ اجزاء، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ/ ١٩٩٢م، ج١، ص٢٤٩، ٢٥٠، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة السلامية فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٥٠ .

وكان يحب الشعر والشعراء، ويغدق عليهم الأموال، كما كان يحسن معاملة العلماء[١].

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى أيضا الاهتمام بالعلم اليونانى وما كان الرشيد يقدمه إلى العلماء من هبات وجوائز، وخاصة الفقهاء والشعراء الذين ينتقلون العلوم اليونانية[٢].

وفى عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) بلغت الحركة العلمية أوجها، فكان عصره هو العلم والتأليف والترجمة، والازدهار الثقافى، الحضارى، كما كان إماما فى العلوم العربية، والفلسفة والنحو، والشعر، الحديث، وعلوم الأوائل، وكان يعد من كبار العلماء[٣].

وبرز فى عهد المأمون علماء أجلاء منهم العالم الخراسانى حبش بن عبد الله المروزى الحاسب، أحد أصحاب الأرصاد، وجاوز المائة من السن، وله من الكتب، كتاب البعاد والجرام، وكتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمائلة والمنحرفة، وكتاب الزيج المأمونى[٤].

وفى عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن[٥]، وتفضيل على.

---

١ - ابن الطقطقى: محمد بن على طباطبا، ت ٧٠٩هـ/ ١٢٤٧م، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر بيروت، بدون، ص١٩٣، ١٩٤م، أحمد الشامى: الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٣١ .

٢ - بارتولد: تركستان، ص٣١٧، الجبورى: يحيى وهيب، الكتاب فى الحضارة إسلامية، ط١، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٨م، ص١٤٧ .

٣ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء / ج١، ص٣٧٠، يوسف العش: دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط، ترجمة عن الفرنسية نزار أباطة محمد صباغ، ط١ / دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٥٨ .

٤ - ابن النديم: محمد بن إسحاق ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م، الفهرست، تحقيق محمد أحمد/ المكتبة التوفيقية، بدون، ص٣٧٦ .

٥ - ابن الجوزى: أبو الفرج عبدالرحمن على بن محمد، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، شذور العقود فى تاريخ العهود، ١٨٠ ورقة، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤، ميكروفليم ٣٥٨٢٦، ورقة ٧٠ .

وفى عام ٢١٨هـ/ ٧٣٣م امتحن الناس بخلق القرآن[١]، وتفضيل دور على بن أبى طالب على بن أبى بكر وعمر[٢] إلى أن توفى فى نفس العام، وبويع المعتصم بعهد من المأمون. وامتحن الناس بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار الإسلامية[٣]، ومنها خراسان وأقبلت المعتزلة عليها، وأكثروا من النظر فيها، والتصفح بها، فانجز على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة مالا يوصف من البلاء والمحنة فى الدين[٤]، ودام ذلك حتى إزالة المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م[٥].

وهكذا مضى العباسيون قدما فى تنفيذ السياسة التى رسمها الأمويون لإسلام أهل خراسان، وتطدت أركانها بين أهل البلاد الذين بدأوا يتعلمون اللغة العربية[٦].

ولقد تعرضت الدولة الإسلامية فى العصر العباسى، لكثير من الاضطرابات بسبب ازدياد نفوذ الأتراك منذ عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ/ ٧٣٣ - ٨٤١م) الذى اعتمد على العنصر التركى فى مناصب الجيش والإدارة وأسقط العرب من الديوان، وفقد الثقة فى العنصر الفارسى، مما أدى إلى قيام الفرس باستقطاع بعض أجزاء فى شرق الدولة العباسية والاستقلال بها[٧].

كل هذه أدى إلى ظهور الدول المستقلة فى إقليم خراسان، وكل ما

---

١ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦١٩ .

٢ - السيوطى: جلال الدين، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥، تاريخ الخلفاء، عنى بتحقيقه إبراهيم صالح ط١، دار البشائر، دمشق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٦٤ .

٣ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ص٣٧٠، ٣٧١ .

٤ - ابن العماد الحنبلى: أبى الفلاح عبدالحى، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٩٧٨م. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٨ أجزاء فى٤ مجلدات، مكتبة القدسى، بدون، ج٢، ص٤٥، محمد الخضرى، تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون، ص٢٠٨ .

٥ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ص٣٧١ .

٦ - كسبة: المسلمون فى آسيا الوسطى، ص١٠٩ .

٧ - فاروق حامد أفغانستان، ص٢٤ .

يعنينا من هذه الدول، هو دورها فى إقليم خراسان وأثره على الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية فى هذا الإقليم.

٤- إقليم خراسان فى عصر الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م)

ظهرت الدولة الطاهرية فى إقليم خراسان وما وراء النهر، كأول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية فى المشرق الإسلامى[١]، واتخذت اسمها من مؤسسها طاهر بن الحسين (٢٠٥ - ٢٠٧هـ/ ٨٢٠ - ٨٢٢م)[٢].

ولقد تولى طاهر خراسان في عهد الخليفة العباسي المأمون ١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٢م) ثم توفي وخلفه ابنه طلحة بن طاهر بن الحسين (٢٠٧- ٢١٣هـ/ ٨٢٢- ٨٢٨م)[٣].

ثم خلفه أخيه عبد الله بن طاهر (٢١٣ - ٢٣٠هـ/ ٨٢٨ - ٨٤٤م) وكان شاعراً وأديبًا فاضلاً[٤]، وبعد موته أناب الخليفة الواثق ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (٢٣٠ - ٢٤٨هـ/ ٨٤٤ - ٨٦٢م)[٥] ثم آخر الأمراء الطاهرين محمد بن طاهر الثانى (٢٤٨ - ٢٥٩هـ/ ٨٦٢ - ٨٧٢م) وكان فاضلا وأديبا شاعرا[٦].

لقد اتخذت الدولة الطاهرية إقليم خراسان مركزا لحكمها[٧]، وقد عين

١ - المسعودى: أبى الحسن على بن الحسين بن على ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، ١٩٨٢م، جـ٢، ص٣٠٣.

٢ - كليفورد أ. بوزرورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة حسين على اللبودى، مراجعة د. سليمان إبراهيم العسكرى، ط٢، مؤسسة الشراع العربى بالاشتراك مع عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م، ص١٤٨، ١٤٩.

٣ - ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٣، قسم ٣، ص٣٠٩.

٤ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٨٥.

٥ - عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص١٧.

٦ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٩٢.

٧ - فتحى أبو سيف: خراسان (تاريخها السياسى من سقوط الطاهرين إلى بداية الغزنويين)، ط١، مكتبة سعيد رافت، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص١٣.

على كل مدينة من مدن خراسان الأربعة "نيسابور - ومرو - وهراة - وبلخ" والى تابع للسلطة الطاهرية فى مرو ثم نيسابور[١].

ولقد أسهم إقليم خراسان فى النهضة العلمية التى شهدتها الدولة الطاهرية، فقد اهتم عبد الله بن طاهر بن الحسين بالعلم والعلماء، وكان هو نفسه شاعرا موهوبا يكرم الشعراء[٢]، كما اهتم بنشر العلم بين طبقات المجتمع دون تفرقة، ولهذا نجد أن أبناء أكثر الفلاحين فقرا فى خراسان وما وراء النهر كانوا يرتحلون إلى المدن للعلم[٣].

كما برز من الطاهرين الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢٢٣- ٣٠٠هـ/ ٨٣٧- ٩١٢م) وكان من أهل الفضل والأدب والشعر والحكمة، وكان يسمى بسبب أدبه وفضله حكيم آل طاهر[٤].

كان فساد النظام الإدارى فى الولايات التابعة للدولة الطاهرية إلى جانب انقسام البيت الطاهر على نفسه، وتقلص ممتلكاتها فى المشرق، وطموح القيادات الطاهرية فى محاولة الانفراد بحكم ولاية من الولايات التابعة للطاهريين بعد إرغامهم على ترك حكمها[٥] كل ذلك إلى جانب الوجود والنفوذ الصفارى فى خراسان أدى إلى سقوط الدولة الطاهرية سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م[٦].

٥- إقليم خراسان فى عصر الدولة الصفارية (٢٥٤ - ٢٩٠هـ/ ٨٦٧ - ٩٠٣م)

دخلت خراسان ضمن الأملاك الصفارية بعد صراع طويل مع الطاهرين

---

١ - أحمد محمد عدوان: موجز تاريخ دويلات المشرق الإسلامى، دار عالم الكتب، ط٢، الرياض، ١٩٩٨م، ص٣٢، ٣٣ .

٢ - فتحى أبو سيف: المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال، القاهرة، بدون، ص٢٢١ .

٣ - بارتولد: تركستان، ص٣٣٨ .

٤ - عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص١٨ .

٥ - فتحى أبو سيف: خراسان، ص١٤ -١٧ .

٦ - محمد عبدالعظيم: الحياة الاقتصادية فى بلخ فى العصر الغزنوى، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٢، ص١٠ .

والخلافة العباسية[1]، وبعد أن تمكن يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية من فرض سيطرته على سجستان[2] وغيرها، وحصوله على اعتراف الخلافة بحكمه عليها[3]، فتوجه إلى خراسان واستولى على بلخ فى أول هجوم واضطر عاملها الطاهرى دوادو ابن عباس إلى الفرار منها[4]، مما يدل على مدى الضعف الذى وصلت إليه الدولة الطاهرية وعمالها على المدن الخراسانية[5]، ثم واصل سيره لفتح المدن الخراسانية التى استسلمت كهراة ونيسابور[6].

ولقد ساءت العلاقات بين عمرو بن الليث الصفار والخلافة العباسية من جهة وبالدولة السامانية فى ما وراء النهر من جهة أخرى، وذلك لمحاولة عمرو بن الليث الزحف على بلاد ما وراء النهر للقضاء على الدولة السامانية الناشئة[7].

وفشل عمرو بن الليث فى عبور النهر، فى الوقت التى تمكنت قوات إسماعيل ابن أحمد السامانى من عبور النهر، وتوجهت إلى حيث ترابط قوات عمرو بن الليث فى مدينة بلخ[8] وانهزم عمرو بن الليث وأخذ أسيرا، وحبسه المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ - ٩٠١م) إلى أن مات، وبعدها قتله ابنه المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٨م) وعقد لإسماعيل بن أحمد السامانى على إقليم خراسان[9].

١ - المسعودى: مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٣، ٢٠٤ .
٢ - سجستان: راجع الفصل التمهيدى، هامش، ٤، ص٤ .
٣ - الكرديزى: أبو سعيد بن الضحاك ت ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م، زين الأخبار، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٣ .
٤ - المسعودى: مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٤ .
٥ - فتحى أبو سيف / خراسان، ص٥٦ .
٦ - فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص٢٥ .
٧ - النرشخى: أبى بكر بن جعفر ت ٣٤٨هـ/ ٩٥٩، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه د. أمين عبدالمجيد بدوى، د. نصر الله مبشر الطرازى، ط٢، دار المعارف، بدون، ص١٢٩ - ١٣٥
٨ - الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٠، ٢١
٩ - ابن خلدون: العبر، ج٣، قسم ٤، ص٤٣١، كليفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص١٥١ .

٦- إقليم خراسان فى العصر السامانى (٢٦١ - ٣٨٩هـ/ ٨٧٤ - ٩٩٩م)

بعد هزيمة عمرو بن الليث الصفارى أصبح إقليم خراسان تابعا للدولة السامانية (٢٦١ - ٣٨٩هـ/ ٨٧٤ - ٩٩٨م)، بعد أن كانت بلاد ما وراء النهر تتبع إداريا عامل خراسان حيث أبقى العباسيون لعامل خراسان حق الإشراف الإدارى على هذه البلاد(١).

وظل الوضع كذلك حتى صدر منشور الخلافة سنة ٢٥١هـ ٨٦٥م بفصل ولاية ما وراء النهر إداريا عن ولاية إقليم خراسان نظرًا لحكم السامانيين فى بلاد ما وراء النهر(٢).

ولقد اعتمد السامانيون على إقليم خراسان وجيشه فى تثبيت سلطانهم على الولايات الجديدة، وأوكل إسماعيل السامانى إلى نائبه على خراسان مسئولية الحفاظ على تبعية الإقليم كله للدولة السامانية(٣)، ومحاربة أعداء الدولة السامانية، فلم يكن إقليم خراسان مجرد ولاية كغيرها من ولايات الدولة السامانية، بل كانت أهم الولايات التابعة للسامانين، ولكن هذه العلاقة بين إقليم خراسان والدولة السامانية تعرضت فى الفترة الأخيرة من حكم السامانين للتصدع والضعف فأدى ذلك إلى ولاية خراسان عن تبعيتها لأمراء بنى سامان(٤).

ولقد توفى إسماعيل السامانى عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، وكان ملكًا فاضلاً عالمًا، معظمًا للعلماء، فتملك بعد ابنه أحمد (٢٩٥- ٣٠١هـ/ ٩٠٧- ٩١٤م)(٥) وقتله أتباعه، ثم ملكوه ولده نصر بن أحمد، فدام ثلاثين عاما (٣٠١- ٣٣١هـ/ ٩٤١- ٩٤٣م)(٦).

---

١ - النرشخى: تاريخ بخارى، ص٢٤ .
٢ - فتحى أبو سيف: خراسان، ص٨٤، ٨٣ .
٣ - فتحى أبو سيف: نفس المرجع، ص١١٧ .
٤ - المسعودى: مروج الذهب، ج٤، ص٢٩٤، ٢٩٥ .
٥ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٣ .
٦ - محمد عبدالعظيم: الحياة الاقتصادية فى بلخ، ص١٢ .

إلى أن انقرض ملكهم عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م ليدخل إقليم خراسان فى تبعية دولة جديدة هى الدولة الغزنوية.

٧- إقليم خراسان فى العصر الغزنوى ٣٥١ - ٤٢٩هـ/ ٩٦٢ - ١٠٣٧م

اعتمد السامانيون على الترك فى إدارة دولتهم، وكان قوام جيشهم منهم، وولوهم المناصب العسكرية والمدينة الرفيعة، فازداد نفوذهم، وعلا شأنهم فى دولة آل سامان، ومن أبرز هؤلاء الأتراك الذين ارتفع شأنهم فى الدولة السامانية، ألبتكين وكان جندبا فى الجيش السامانى وما زال يرتقى فى سلك الوظائف، حتى ولى منصب حاجب الحجاب للامير عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠هـ/ ٩٥٤ - ٩٦١م) ثم أصبح حاكما على خراسان وقوى شأنه فى إقامة وتوطيد سلطانه(١).

وقد استطاع سبكتكين(٢) زوج ابنه ألبتكين أن يوسع أملاكه حتى شملت أجزاء فى الهند كما شملت خراسان(٣).

وبعد وفاة سبكتكين، خلفه ولده محمود بن سبكتكين (٣٨٨ -

---

٢ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى منذ مسهل العصر العباسى حتى الغزو المغولى، ط١، دار الفكر العربى، القاهرة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص١٠١، عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ص٨٣.

٣ - سبكتكين: كان مولى الأمير أبى إسحاق بن ألبتكين صاحب جيش غزنة وأعمالها للسامانية، وكان مقدما عند مولاه لعقله وشجاعته فزوجه ابنته، فلما توفى أبو إسحاق ولم يكن له ولد، تفق العسكر وولوا سبكتكين، وحلفوا له وأطاعوا، ثم عظم شأنه وارتفع قدره وغزا بلاد الهند، وأسس دولة كبيرة واستولى على خراسان، واستقر الملك فى يده، واستمر من بعده فى ولده محمود بن سبكتكين. ابن الأثير: أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى ت ٦٣هـ ١٢٣٢م، الكامل فى التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، ١٠ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ج٧، ص٣٧٣، ٣٧٤، سبط ابن الجوزى: شمس الدين أبى المظفر قزو أعلى ابن على بن عبد الله البندارى ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦ مرآة الزمان فى تاريخ العيان الحقبة ٣٤٥ - ٤٤٧هـ/ ٩٥٦ - ١٠٥٥م، تحقيق جنان جليل الهمون، وزارة الغعلام والثقافة، الدار الوطنية بغداد ١٩٩٠م، ص٣٤٨، فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص٢٦ .

٣ - حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٨، أحمد محمود الساداتى: أفغانستان قلعة الإسلام الشامخة بقلب آسيا، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون، ص١٤ .

٤٢١هـ/ ٩٩٨ - ١٠٣٠م) وقد وسع نفوذه وأملاكه فى بلاد والعراق العجمى وخراسان بما فى ذلك مدينة بلخ مركزها الرئيسى[١].

استمر حكم خلفاء محمود الغزنوى حتى اضمحلت دولتهم، وضاعت معظم أملاكهم فى خراسان، عدا غزنه وبعض مدن بلخ، حيث انتهى الحكم الغزنوى على يد السلاجقة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م، وقبائل الغور فى أفغانستان، حيث انتهت الدولة الغزنوية تماما سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م[٢].

ولقد اتخذ الغزنويون من إقليم خراسان مقراً لحكمهم، واهتموا بهذه الإقليم اهتمامًا كبيرًا، كما أصبح إقليم خراسان محط أنظار العلماء المسلمين لتقلى العلوم والآداب[٣]، حيث قام السلطان محمود الغزنوى بتشجيع وإغراء العلماء وجذبهم إلى بلاطه، كما بذل جهدا كبيرا فى تنشيط الحركة الثقافية والفكرية فى أقاليم الدولة الغزنوية عامة وإقليم خراسان خاصة[٤].

هذه هى الدويلات المستقلة التى حكمت إقليم خراسان قبيل ظهور السلاجقة، وكان لهذه الدول دور هام فى تطور الحياة الفكرية والاقتصادية وغيرها فى هذا الإقليم، إلى أن جاءت دولة السلاجقة وأكملت هذا الدور وساهمت بشكل كبير فى هذا التطور.

إقليم خراسان فى العصر السلجوقى:

- أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق:

يجمع معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إلى الأتراك الغز[٥]، الذين ظهروا فى التاريخ كمجموعة تركية تابعة للإمبراطورية التركية

١ - أحمد محمد عدوان: موجز فى تاريخ دويلات المشرق الإسلامى، ص١٢٩، فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص٢٦، ٢٧.

٢ - حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، ص٢٨، ٢٩، فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص٢٧، ٢٨ .

٣ - محمد عبدالعظيم أبو النصر: الحياة الاقتصادية فى بلخ العصر الغزنوى، ص١٢ .

٤ - أحمد محمد عدوان: موجز فى تاريخ دويلات المشرق الإسلامى، ص١٤٨ .

٥ - الغز (الأوغوز): لفظ يقع على ما يتوالد بين العجم فى المدن من نسائهم، وقيل الغز لفظ يقع على=

فى القرن السادس الميلادى[١]، وينكر الدواداري[٢] عليهم هذا النسب، ويقول إنهم من السامانية، ويرجع أصولهم إلى الفرس ملوك العجم، ولكن أصلهم التركى هو الأصح[٣].

والسلاجقة أحد فروح هذه القبائل التركمانية الغزية[٤]، وتعرف قبيلتهم باسم قنق[٥]، وقد عرفوا بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق[٦]، أحد رؤساء الأتراك، وكان دقاق مقدم الأتراك الغز، يرجعون إليه ولا يخالفون له أمراً[٧]، وقد عرف بشهامته وحسن تدبيره[٨].

=جنس العجم كله، وقيل الغز فى جنس العجم كالمولدة فى العرب، وقيل لفظة الغز تقع فى التركى والتركمانى والقفشق والجنس والمولد: وقيل من ولد عامور بن يافث ابن نوح، وقيل الغزط بجنس التركمانى والتركى أفعد، وقيل الغز جبل من الشام المقريزى: (أحمد بن على المقريزى)، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، عدة أجزاء، صححه ووضع حواشيه د/ محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٩م، ج١ قسم١، حاشية ٧، ص٣١ .

١ - عبد المنعم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٦ .

٢ - الدواداري: (أبو بكر عبدالله بن أيبك الدواداري) كنز الدرر جامع الغرر، الجزء السادس مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٣٤، تاريخ، بعنوان الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية، ميكرو فليم رقم ٦٤٨٣، ورقة ٢٠ وما بعدها.

٣ - أحمد الشامى: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط١، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م، ص٣٢، وكان الموطن الأصلى للشعوب التركية ومنها الغز هى سهول أوراسيا التيهى مناطق تابعة للجمهوريات الإسلامية الحالية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى سابقًا أو الصين الشعبية. سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص٢٢ .

٤ - القبائل التركمانية: من الأتراك الذى يتنمى إليهم الغز، وكلمة تركمان كلمة مجهولة الأصل والمنشأ، ويقال أنها ذات أصل فارسى (ترك ماننده) أى (أسباه الترك) أو "ترك كردن" أى الترك والأبتعاد. بارتولد: تاريخ الترك، ص١٠٦، عبدالمنعم حسانين: قاموس الفارسية، دار الكاتب المصرى واللبنانى، القاهرة، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٥٩ .

٥ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٢٧، دائرة المعارف الإسلامية، مج١٢، ص٢٤ .

٦ - دقاق: تقاق (يقاق)، اسم مقدم السلاجقة الحسينى (صدر الدين على ابن ناصر الحسينى)، ت ٦٢٢هـ/ ٢٢٥ زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)، تحقيق د/ محمد نور الدين، ط٢، دار إقرأ، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، حاشية (١)، ص٢٣، أما سلجوق بن دقاق عرف ب، (تيمور بلغ) أى "ذى القوس الحديد"، دائرة المعارف الإسلامية، مج١٢، ص٢٤ .

٧ - أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج١، ج٢، ص١٦٣ .

٨ - الراوندى: (أبو بكر محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد بن الحسينى بن همة الراوندى)، ت٥٩٩هـ/ ١٠١٩م، راحة الصدور وآية السرور، نقلة إلى العربية د/ إبراهيم أمين الشواربى، د/ عبدالنعيم حسانين، د/ فؤاد عبدالمعطى الصياد، راجعة د/ إبراهيم أمين الشواربى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة ١٩٦٠م، ص١٤٦: ١٤٧ .

أخذت قبائل الغز التركمان ترحل من موطنهاه الأصلى أقصى سهول التركستان(١)، على شكل موجات خلال القرون (الثانى والثالث والرابع للهجرة)(٢).

وفى سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م استقرت هذه القبائل فى بلاد ما وراء النهر(٣)، وكانوا كثيرى العدد ولديهم المال الوفير، يعتمدون على الخيول فى رحيلهم من جهة إلى أخرى(٤).

وقد هاجرت هذه القبائل إلى بلاد ما وراء النهر لدوافع عديدة منها ضيق رقعة ديارهم وقلة مراعيهم(٥)، والتنازع واستمرار الحروب فيما بينهم، أو غلبة قبائل أكثر قوة عليهم، وسيطرتهم على أراضيهم خصوصاً إذا ما كثر عدد أفراد القبائل، فعجزت موارد الرزق عن كفايتهم، أو حدث قحط جعل هذه الأماكن لا تصلح لاستمرار الحياة فيها، وقد وجهت هذه القبائل وجهها شطر الغرب واستقرت فى بلاد ما وراء النهر خراسان(٦).

ويذهب البعض إلى أن السلاجقة دخلوا فى الإسلام، بعد أن اعتقوا المسيحية، ويستندون فى تأييد قولهم بأسماء ميكائيل وموسى وإسرائيل التى تسمى بها ملوكهم، وأولادهم، وهى من الأسماء التى وردت فى الكتاب المقدس(٧).

ولقد عرف الغز السلاجقة الإسلام والمسيحية بواسطة خوارزم زهى

---

١ - الراوندى: راحة الصدور آية السرور، ص١٤٥ .

٢ - محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص٥٧ : ٨٥، محمد عبدالعظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١، ص٣٤ .

٣ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص٢٥ .

٤ - الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٤٥ .

٥ - الراوندى: المصدر السابق، ١٤٦، عبدالمنعم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٦ .

٦ - عباس إيران بعد الإسلام، ص٢٢٧، عبدالمنعم حسانين: المرجع السابق، ص١٦ .

٧ - دائرة المعارف الإسلامية: مج١٢، ص٢٥ .

البلاد المتمدينة التى كان بينها وبين الغز علاقات تجارية وثيقة[1]، مما كان له أثر كبير فى التقريب بينهم وبين السامانيين، فدخل قسم من الغز المسلمين فى خدمة السامانيين، وتعهدوا بذلك فى مقابل المراعى التى أعطيت لهم، على أن يدافعوا عن حدود ممتلكات السامانيين ضد إخوانهم من الغز الذين لم يدخلوا فى الإسلام[2].

وهكذا وضع السلاجقة أنفسهم فى حروب طويلة، وكانوا جاهزين لتقديم خدماتهم لمن يطلبها ويدفع أكثر، أو يسمح لهم بالإقامة، وتأمين المراعى للماشية[3].

وتوفى الأمير سلجوق بن دقاق، بعد أن عاش مائة سنة أو يزيد ولقد رأى فى منامة ذات ليلة أنه يبول نارًا يتلظى شررها فى مشارق الأرض، ومغاربها، فسأل المعبر، فقال سيولد من نسلك ملوك يملكون أقاصى الأرض[4].

ولقد تحققت هذه الرؤية حيث كان لسلجوق أربعة أولاد من الذكور: أرسلان (إسرائيل)، وميكائيل، وموسى، وبيغو[5] (بغو أو بونو)[6]، وابن خامس هو يونس حسب ما أورده الراوندى[7].

وقاد إسرائيل أكبر أبناء سلجوق، هجرة السلاجقة بعد أبيه، حيث إتجه نحو خراسان[8].

---

١ - بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ص١٠٣ .

٢ - بارتولد: نفس المرجع، ص١٠٤، محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، ص٥٩، ٦٠ .

٣ - محمد عبدالعظيم: السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، ص٣٩، سهيل زكار: مدخل إلى الحروب الصليبية، ص٣٧ .

٤ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص٢٥ .

٥ - الحسينى: نفس المصدر، نفس الصفحة.

٦ - بيغو (بغو أو بونو): معناه الغزال، فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية ١، ص١٢٨ .

٧ - الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٤٦ .

٨ - عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٢٢٨ .

الصراع السلجوقى الغزنوى فى خراسان

فى عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، أسر السلطان محمود إسرائيل (أرسلان) وبقى فى الأسر مدة سبع سنوات حتى أدركته الوفاة[١].

وفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م، عبر السلاجقة بقيادة ميكائيل بن سلجوق نهر جيحون لتبدأ قصة أخرى فى تاريخ السلاجقة، حيث تمكن ميكائيل من ترسيخ أقدام قومه فى إقليم خراسان وتوحيد صفوفهم[٢]، وتحين فرصة الأخذ بالثأر من الغزنويين والقضاء على نفوذهم فى خراسان، وبلاد ما وراء النهر[٣].

ولكن أهل بعض المدن فى خراسان، فى نسا[٤]، وباورد[٥]، اشتكوا إلى السلطان محمود وطلبوا إليه إبعاد السلاجقة من جوارهم ودارت معارك عنيفة، انتصر السلاجقة[٦] فيها، إلا أن حضور السلطان بنفسه أحال النصر إلى هزيمة نكراء للسلاجقة قرب رباط فراوه[٧]، حيث قتل ميكائيل، ومعه أربعة آلاف فارس من خيرة فرسان السلاجقة[٨].

وفى رباط فراوه، تجمع السلاجقة بعد هزيمتهم، تحت قيادة ابنى

---

١ - الراوندى: راحة الصدر، ص١٤٩ - ١٥١ .

٢ - محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص٤٤ .

٣ - عبدالنعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص٢٦ .

٤ - نسا "هى مدينة بخراسان" راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٨، ص٣٨٤: ٣٨٥ .

٥ - باورد: هى مدينة بخراسان: راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥ .

٦ - البندارى: (الفتح بن على بن محمد البندارى الصفهانى)، ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، تاريخ دولة آل سلجوق، هو اختصار للأمام عماد الدين محمد بن محمد محمدين حامد الأسفهانى، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار الآفاق الجديد، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٧، ويرجع فامبرى سبب هزيمة السلاجقة أن أمير خوارزم هارون بن التونتاش تظاهر بصداقته للسلاجقة ثم غدر بهم، تاريخ بخارى، حاشية ١، ص٢٣١ .

٧ - فراوه: بلد يمايلى خوارزم ويقال لها رباط فراوه بناها عبدالله بن طاهر فى خلافة المأمون، راجع أبى الفدا: تقويم البلدان، ص٤٩ .

٨ - الراوندى: راحة الصدر، ص١٥٤ .

مكيائيل بن سلجوق وهما جغرى بيك داود، وطغرلبك أبو طالب محمد[1]، وتم اختيار طغرلبك ليكون القائد، فصمم على تحقيق أهداف السلاجقة التى ترمى إلى إنشاء دولة قوية تسع العالم الإسلام كله لو استطاعت إلى ذلك سبيلاً[2]، ويعتبر طغرلبك المؤسس الحقيقى لدولة الأتراك السلاجقة فى إيران والعراق[3].

توفى السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، فانتهز الأخوان جغرى بيك وطغرل بك الفرصة، فأعدو جيشًا قويًا، وتمكنوا من توسيع رقعة أراضيهم حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعًا لنفوذهم[4].

وفى هذه الأثناء تولى سلطنة الغزنويين السلطان مسعود بن محمود بن سبكتين[5] وفى هذه سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، خيم السلاجقة بظاهر خوارزم، ولكن هارون حاكم خوارزم غدر بهم، فأكثر فيهم القتل والنهب والسلب، فساروا عن خوارزم إلى جهة[6] مرو[7]، فاستغل السلطان الفرصة، وأعد جيشًا كبيراً[8]، وهزم السلاجقة هزيمة نكراء[9].

١ - جغرى وطغرل: هما لفظان تركيان، الأول جغرى معناه اللامع أو المتألق. أما الثانى طغرل مصغر دوغراول: أى القصاب، وهو مشتق م فعل (دو غرامق) أى أن يذبح، ويخطئ المستشرقون حين يظنون أن لفظ جعفر فحرف، وحين ربطوا كلمة طغرل مع كلمة دوغرو، أى المستقيم. فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية، ص١٢٩ .

٢ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص٣١ .

٣ - ابن الجوزى: المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩ .

٤ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٥٤ .

٥ - أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٢، ص١٦٦، كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص١٥٧ .

٦ - أبو الفدا: نفس المصدر، ص١٦٦ .

٧ - مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها، لفظ مرو بالعربية الحجارة البيض، راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٨، ص٢٥٣ : ٢٥٦، لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثالث ص١٣١ .

٨ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٢٠ - ٥٢١، كان البيهقى يشغل وظيفة نائب ديوان الرسائل فى بلاط السلطان مسعود، وكتب هذا الكتاب باسمه (صحائف مسعودى)، وكان شاهد عيان على حروب الغزنويين حتى سقوط السلطان مسعود.

٩ - أبو الفدا: المختصر، مج١، ج٢، ص١٦٤ .

وانشغل الجيش الغزنوى بجمع الغنائم مما أتاح الفرصة لقواد الجيش السلجوقى لترتيب صفوفهم، ودارت معركة رهيبة بين الجيشين عند "نسا" انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين(١)، مما دعا السلطان مسعود للموافقة على الصلح مع السلاجقة(٢)، فأصبح السلاجقة أشد قوة وبأس(٣).

أدرك السلطان مسعود أهداف السلاجقة، وأعد العدة لقتالهم وعاود السلاجقة غاراتهم على نطاق أوسع من قبل، وعجز الحكام المحليون عن وقف تلك الغارات المفاجئة التى وجهها السلاجقة على أراضى الغزنويين(٤).

وفى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م، استولى جغرى بك على مرو، واستجاب سكان مرو السلاجقة، وانضموا تحت لوائهم حين أدركوا ما أصاب الغزنويين من ضعف(٥).

وفى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، عاد السلطان مسعود من بلاد الهند. وكتب إلى أمير خراسان "سوباشى"(٦)، وأمره بالخروج لملاقاة السلاجقة، فسار مع جيش كامل الأهمية كثير العدد والآلات(٧)، ودارت معركة كبيرة عند مدينة سرخس(٨)، انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة، وبهذا الانتصار اشتدت جرأتهم وعظمت شوكتهم وانتشروا فى خراسان(٩).

---

٥ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٥٧، ١٥٨ .

٦ - لمزيد من التفاصيل راجع البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٢٨ - ٥٢٩، الراوندى: راحة الصدور، ص١٥٧ .

٧ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٥٧

٨ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٣٣ .

٩ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص٤٠، ٤١ .

١ - سوباشى: لفظ ايغورى معناه قائد الجيش . فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية (١)، ص١٣٣ .

٣- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٩٠ .

٤ - سرخس: مدينة قديمة من نواحى خراسان، كبيرة واسعة بين نيسابور ومرو . ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص٣٧ .

٤ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٥٨ .

قيام دولة الأتراك السلاجقة فى نيسابور (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

كانت معركة سرخس التى انتصر فيها السلاجقة على الغزنويين هى النقطة الفاصلة فى تاريخ السلاجقة، حيث ملكوا بعدها خراسان، وكان هذا إيذانا بقيام دولتهم، حيث سار طغرلبك إلى نيسابور[١]، ودخلها فى شوال ٢٤٩هـ/ ١٠٣٧م، وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوى، فى ذى القعدة من نفس العام، ولقب طغرلبك نفسه بلقب سلطان، باسم (السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد)[٢]، واستقر بدار السلطنة، وأمر أن تضرب النقود باسمه فى البلاد التى كانت تحت أيديهم، وأعلن قيام دولته الجديدة[٣].

ولما بلغ السلطان مسعود خبر قيام الدولة السلجوقية، عزم على محاربتهم، والقضاء على دولتهم الوليدة[٤]، فأعد جيشًا قويًا، وأراد أن يقود معركة انتحارية للخلاص من السلاجقة[٥].

السلطان طغرلبك (٤٢٩ - ٤٥٥هـ/ ١٠٣٧ - ١٠٦٣م)

فى الثامن من رمضان ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م[٦]، خرج السلطان مسعود بجيشه الجرار، متجهًا إلى مرو، ومنها إلى نيسابور[٧]، ودارت معركة رهيبة بين السلاجقة والغزنويين، فى مكان يعرف بداندنقان[٨]، وانتهت بهزيمة

١ - نيسابور: بفتح أوله، والعامة يسمونها نشاوور، إحدى مدن خراسان، وهى مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٨، ص٤٢٢ - ٤٢٤، لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثالث .

٢ - الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٥٨، ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص٢٢٧ .

٣ - عبداس إقباس: إيران بعد الإسلام، ص٢٣٠، فتحى أبو سيف: الماوردى (عصره وفكره السياسى)، ط١، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٦ .

٤ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٦٢ .

٥ - بارتولد: تركستان، ص٤٤٨ - ٤٥٠، حسين أمين: تاريخ العراق فى العصر السلجوقى، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م، ص٥٢ .

٦ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص٥ .

٧ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٨٥ .

٨ - داندنقان: وهى من مدن خراسان، وهى أكثر المدن حريراً، وبقطنها يضرب المثل فى الجود ويجهز منها إلى البلاد، أبوك الفدا : تقويم البلدان، ص٤٥٩ .

السلطان مسعود الغزنوى، وولى منهزمًا تاركًا خزانته وأمتعته وسائر ما يمتلك قانعا بالـفرار والنجاة[1]، وأصبح طغرلبك أول ملك من التـرك السلجوقية، وهو الذى بنى هذه الدولة وسمى بالملك الرحيم[2].

ولتوطـيد نفوذ السـلاجقـة الأتراك فى تلك البلاد، عنى طغـرلبك إلى الاستعانة بأفراد البيت السلجوقى لحكم البلاد التى بأيديهم، وقسم هذه البلاد فـيمـا بينهم، وعيـن كل واحد منهم حـاكمًـا على الولاية التى صـارت من نصيبه[3].

وكـان السلطان السلجـوقى بحاجـة إلى تفـويض شرعـى من الخليفـة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٧٤م)، وذلك لحكم البلاد ليكسب حكمة صفة الشرعية أمام المسلمين على الرغم من كونها موافقة شكلية[4].

بدأ السـلاجقـة الاتصال بالخليـفـة العبـاسى القائم بأمـر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ /١٠٣٠ - ١٠٧٤م) وذلك للحصول علي شـرعية لدولتهم[5]، وقد نجح السلاجـقة فى مـسـاعـيهم، وتم لهم مـا أرادوا حيث أرسل الخليـفة إلى طغرلبك الخلع[6] السلطانية، (مع كتاب تفويض بحكم البلاد)[7].

---

١ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٦٣، فتحى أبو سيف: الماوردى، ص٣٧ .

٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ج١٥، ص٤٣٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٦٤، فاضل الخالدى: الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق فى القرن الخامس الهجرى بغداد، ١٩٦٩م، ص١٤٣ .

٣ - الراوندى: راحـة الصـدور، ص١٦٧، البندارى: آل سلجـوق، ص١٠، عـبـاس إقبـال: إيران بعـد الإسلام، ٢٣١، ٢٣٠ .

٤ - حسين أمين: تاريخ العراق فى العصر السلجوقى، ص٥٢، فتحى أبو سيف: المصدر السابق، ص٣٧ .

٥ - حسين أمين: المصدر السابق، ص٥٥، محمد مـحمود إدريس: تاريخ العراق والشرق، ص٩٢، محمد عبدالعظيم: السلاجقة، ص٥٤ .

٦ - الخلع " جمع خلعة وهى ثوب يلبسه الحاكم نفسـه ويعطيـه كهدية بعد أن يخلعه من فوق جسـده، وكان هذا التصرف يعتبر أصلاً بمثابة وعد شخـصى بالأمان أكثر منه رمز للتكريم، ثم أصبحت بعد ذلك بمثابة هدية شائعـة وتقدم فى المناسبات، وكـان رفض الخلعة يعتبـر إساءة خطيرة أو إعلان العصـيان أو على الأقل المجاهرة بالعداء . السـيد محمد عـاشور: صناعة الأقمشـة وتجارة الملابس وتطورها، دار الإتحاد العربى للطباعة، بدون، ج١٣، ص٨٣ .

٧ - البندارى: آل سلجوق، ص٩، دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضـرها، ترجمة د. عبدالنعيم حسانين،=

وهكذا أصبح للسلاجقة كيان سياسى، ورقعة كبيرة من الأرض، وحاكم له الزعامة التى منحها إياه رعاياه[١]، ثم أخذوا فى الاستمرار لمواصلة سياستهم التوسعية بعد اعتراف الخلافة بدولتهم، فقدر لهم الاستيلاء والسيطرة على كثير من أقاليم خراسان وما وراء النهر وخوارزم والعراق[٢].

ففى سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م، توجه طغرلبك إلى إقليم خوارزم، وفتح مدنه، حتى تيسر له فتح الإقليم، وأنضم بذلك إلى البلاد السلجوقية[٣]، ثم فتح الجرجانية، عاصمة الإقليم، وبذلك استقر إقليم خوارزم فى ملك طغرلبك[٤]، وانضم إلى البلاد السلجوقية[٥].

ألب أرسلان ٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م:

وعلى هذا الأساس سار خلفاء طغرلبك، بعد وفاته ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م[٦]، فقد تولى ألب أرسلان ٤٥٥- ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣- ١٠٧٢م[٧]، وفوض إمارة خرسان إلى ولده أرسلان أرغون[٨]، واستطاع أن يعيد الأمن والاستقرار لهذا الإقليم[٩].

وفى سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م توفى السلطان ألب أرسلان، وذلك حينما وصل إلى قلعة فيها مستحفظ خوارزمى يسمى "يوسف" فقبحه السلطان على أفعال قبيحة كانت منه وتقدم أن يضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه إليها فقال

=ط٢، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٥، ص٥٩، محمد مسفر الزهرانى: نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص٥٥ .

١ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص, ١٣٤ .

٢ - الراوندى: راحة الصدور، ص٥٥ .

٣ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٣، أبو الفدا: المختصر فى أخبار النشر، ج٢، ص١٦٦، بارتولد: تركستان، ص٤٤٩، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٢٣٢ .

٤ - أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٦٦ .

٥ - بارتولد: تركستان، ص٤٤٩، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٢٣٢ .

٦ - البندارى: آل سلجوق، ص٢٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٦٧ .

٧ - ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص٣٦٥، البندارى: المصدر السابق، ص٣٠ .

٨ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص٩٧، يذكر ابن الأثير أن أرسلان أرغون أخاه الكامل، مج٨، ص٣٧٥ .

٩ - الحسينى: نفس المصدر ونفس الصفحة.

له يوسف، يامخنث مثلى يقتل هذه القتلة، فاحتد السلطان وأخذ القوس والنشابة، فقال حلوه، فرماه بسهم فأخطأه فعدا يوسف إليه فنهض السلطان فتعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه، فلحقه الجند فقتلوه، واشتدت جراح السلطان وعاد إلى جيحون فتوفى هناك[١].

السلطان ملكشاه (٥٤٦ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢م)

يعد السلطان ملكشاه (٤٦٥- ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٢م) من أعظم سلاطين السلاجقة، وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد الخلفاء، فكان فى مملكته جميع أقاليم خراسان ما وراء النهر[٢].

وفى سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م استقل والى إقليم خوارزم به، ولكن ملكشاه أجبره على الدخول فى طاعته[٣]، وجعل على خوارزم نوشتكين[٤]، وكان غلامًا رقى بجده إلى قيادة الجيش العليا، وأسس بعد ذلك الدولة الخوارزمية التى قضت فيما بعد على الدولة السلجوقية فى خراسان[٥].

بلغت الدولة السلجوقية فى عهد السلطان ملكشاه درجة كبيرة من النفوذ والتوسع، وذكر اسمه فى الخطبة، ونقش على السكة[٦] فى مملكته[٧].

---

١ - ابن الجوزى: شذور العقود فى تاريخ العهود، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٤، تاريخ ميكروفيلم ٣٥٨٢٦، ورقة ١٤٤، ١٤٥ . ولقد أجمع المؤرخون على هذه الرواية ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص٣٩٣، البندارى: آل سلجوق، ص٤٧، الراوندى: راحة الصدور، ص١٩٠، ١٩١، الحسينى: زبدة التواريخ، ص١١٧: ١١٩، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص١١٤ .

٢ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٩١ .

٣ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٩٤، الحسينى: المصدر السابق، ص١٤٧ - ١٤٨ .

٤ - نوشتكين: كان إقليم خوارزم فى زمن السلاجقة مجرد إقطاع يخضع لحامل الطشت (طشتدار) وعلى هذا أقطعه ملكشاه لقائده نوشتكين. فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٤٧، والطشت: هو الذى تغسل فيه الأيدى، كما يغسل فيه القماش، وفى الطشت خاناه يكون ما يلبسه السلطان من الثياب والسيف . القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠

٥ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٣٩ .

٦ - السكة: هى الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بينح الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة. الأب أنستاس مارى الكرملى البغدادى: النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص١٣٥.

٧ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٣٨، محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص١٥٠ .

توفى السلطان ملكشاه ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، وله من الأولاد أربعة بنين وهم بركيارق، ومحمد، وسنجر، ومحمود، وكان محمود طفلاً، وكانت أمه مستولية أيام ملكشاه، فبايعوه على السلطنة، وكان بركيارق أمه سلجوقية، ولم تنقض سنة، حتى مات محمود[١]، وتولى الملك بركيارق (٤٨٦-٤٩٨هـ/ ١٠٩٣- ١١٠٥م)، ومدة ملكه اثنتى عشرة سنة[٢].

بركيارق (بركياروق) (٤٨٦ - ٤٩٨هـ/ ١٠٩٣ - ١١٠٥م)

توجه بركيارق إلى خراسان لمحاربة عمه أرسلان أرغون، وأرسل فى المقدمة أخاه "سنجر"، ثم تبعه فى جيش جرار، وكان ذلك فى سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م، فقتل أرسلان أرغون، فتملكها السلطان بركيارق[٣]، وتولى سنجر خراسان من قبل بركيارق[٤].

توفى السلطان بركيارق سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م، وتولى أخوه السلطان محمد بن ملكشاه[٥]، وزادت قوة السلطان سنجر واستقر له ملك خراسان[٦]، وأقام السلطان محمد فى السلطة مدة، ثم مرض زمانًا طويلاً، إلى أن توفى ٥١١هـ/ ١١١٧م[٧].

وخلف خمسة بنين هم: محمود، ومسعود، وطغرل، وسليمان، وسلجق، وكل منهم تولى السلطنة، سوى سلجق[٨].

سنجر (٤٩٨ - ٥٥٢هـ/ ١١٠٥ - ١١٥٧م)

وفى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م خطب للسلطان محمود بن محمد بن

---

١ -البندارى: آل سلجوق، ص٨١ .
٢ - الراوندى: راحة الصدور، ص٢١٤، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٣٦٢ .
٣ - السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٥٠٤ .
٤ - الراوندى: راحة الصدور، ص٢٢١ .
٥ - الراوندى: راحة الصدور، ص٢٣٤، الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٦٧ .
٦ - ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص١٠، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٢٨٣ .
٧ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٧٣ .
٨ - البندارى: آل سلجوق، ص١١٣، الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٧١ .

ملكشاه[١]، وحدث الخلاف بين محمود وسنجر[٢]، وجمع السلطان محمود عسكره، والتقوا فى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م، فانـهزم السلطان محمود، ولكن السلطان سنجر طمئنه وأخبره أنه إنما جاء لإصلاح أمره[٣].

سنجر سلطان السلاجقة الأعظم:

أصبحت بذلك دولة السلاجـقة تنقسم إلى قسمين، سلاجـقة خراسان ويمـثلهم السلطان سنجـر، وسلاجـقة العـراق ويمثلهم السلطان مـحمـود، والخليفـة العبـاسى يعترف بذلك، وأقـر سلاجـقة العراق بالتـبعيـة للسلطان سنجر، وصار له السيادة على كافـة خراسان، وسائر أرجاء المشرق الإسلامى وبلاد العراق، ولقب بسلطان السلاجقة الأعظم، وضربت له السكة فى جميع البلاد والأقاليم المختلفة ومدنها[٤].

وعندما تـوفى السلطان محـمود بن محـمد بن ملكشـاه سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م، تولى بعـده أخـوه طغـرل[٥]، حـتى توفى ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م[٦]، وملك بعده السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (٥٢٩- ٥٤٧هـ/ ١١٣٤- ١١٥٢م)[٧]، وقام بالأمر بعدة أربعـة سلاطين، ذكرهـم البندارى[٨]: محمد ابن محـمود بن مـحمد ملك شـاه، تولى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، والسلطان سليمان بن محـمد ملكشاه، (وتوفى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ثم أرسلان بن طغـرل بن مـحمـد (٥٥٦- ٥٧١هـ/ ١١٦١ - ١١٧٦م) ثم آخـر سـلاطين

---

١ - ابن الجوزى: المنتظم، ج١٧، ص١٦١ .
٢ - البندارى: آل سلجوق، ص١١٥ .
٣ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٧٩ .
٤ - فاضل الخالـدى: الحياة السياسـية، ونظم الحكم، ص٢٥، وما بعـدها، إبراهيم على البهى: التطورات الحضارية، ص٢١ .
٥ - البندارى: آل سلجوق، ص١٤٥ .
٦ - ابن الجوزى: المنتظم، ج١٧، ص٣٠٣، ابن كثيـر: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص١٢٢٦، ويذكر البندارى أنه توفى سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م، آل سلجوق، ص١٥٩ .
٧ - البندارى: آل سلجوق، ص١٦١، كليفورد. أ. بوزروث: الأسرات الحاكمة، ص١٦٧ .
٨ - آل سلجوق، ص٢٠٩ وما بعدها، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص٢٤٧ .

سلاجقة العراق أبو طالب طغرل بن أرسلان بن طغرل ب محمد بن ملكشاه (٥٧١ - ٥٩٠هـ/ ١١٧٦ - ١١٩٤م)[١].

الصراع السلجوقي الخوارزمي بين سنجر وآتسز (٥٣٣- ٥٥٢هـ/ ١١٨٣- ١١٥٧م)

كان آتسز[٢] ملك خوارزم فى الأعوام الأولى من ولايته التابع المخلص للسلطان سنجر[٣]، وكان سنجر يستصحبه معه فى أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدمًا وعلواً[٤]، وعمل آتسز على الإفادة من ازدياد قوته ليتحرر من سلطان السلطان سنجر[٥]، وفى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م، بلغ سنجر أن آتسز يحدث نفس بالامتناع عليه وترك الخدمة له[٦]، وحاول أن يجعل دولته مستقلة استقلالاً تامًا عن السلاجقة، كما عمل على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية[٧].

فقصد السلطان سنجر خوارزم، فلما قرب من خوارزمشاه آتسز خرج إليه فى عسكره، فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان فلم يلبثوا وولوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير[٨]، ومن جملة القتلى ولد لخوارزمشاه فحزن عليه أبوه خزنًا شديداً، واستولى سنجر على إقليم خوارزم[٩] وأقطعه غياث الدين سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وعاد سنجر إلى مرو فى جمادى الآخر فى هذه السنة، فانتهز آتسز الفرصة ورجع إلى إقليم خوارزم وكان أهله

---

١ - الراوندى: راحة الصدور، ص٧٣، البندارى: آل سلجوق، ص٢١٢ - ٢٦٧ .

٢ - أتسز: كلمة تركية معناها من لا اسم له (آت = اسم، سيز = أداة تجريد) وقد جرت العادة عند الترك أن من يموت بنوه صغاراً يسمى واحداً منهم أتسز حتى يعيش ولا يهلك النظامى العروضى: جهاز مقالة، حواشى المقالة الأولى، حاشية ٢٦، ص١٠٩ .

٣ - بارتولد: تركستان، ص٤٧٤ .

٤ - ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص١١ .

٥ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٤٨ .

٦ - ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص٣٠٩، بارتولد: تركستان، ص٤٧٤ .

٧ - عبدالنعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص١١٩، الغنيمى: الإسلام والمسلمون، ص٩٣ .

٨ - ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص٣٠٩، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٣، ص١٥: ١٦ .

٩ - أبو الفدا: المختصر، ج٣، ص١٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص٢٣١ .

يكرهون العسكر السنجرى، فلما عاد آتسز أعانوه على ملك الإقليم فـفارقه سليـمان شـاه، واعتلى عـرش خوارزم ثانيـة، وفى سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م، أرسل رسالة قسم إلى سنجر وتعهد أن يبقى على الطاعة(١).

وفى سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م، راسل آتسز، كـورخان الخطائى(٢)، فيما وراء النهر، يطمعه فى البلاد ؛ ويحثه على قصد مملكة السلطان سنجر، فسار فى ثلاثمائة ألف فارس، وسار إليهم سنجر وعساكره، والتقوا بما وراء النهر، على باب سمرقند فى موضع يقال له قطوان(٣)، واقتتلوا قتـالاً شديدًا فانهزم سنجـر وعساكـره، وقتل مـنهم مائة ألف قـتيل منهم اثنا عـشرة ألفًـا كلهم أصحاب عمامة، وأربعة آلاف امرأة(٤)، وأسرت زوجة السلطان سنجر، وتم السلطان منهزمًا(٥).

ولما تمت الهزيمة على السلاجقـة سار آتسز إلى ونهب من أموال سنجر شيئًا كثيرًا، كما استقرت دولة الخطا والترك بما وراء النهر(٦).

وفى سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، سار السلطان سنجر إلى خـوارزم، فجمع خوارزمشاه آتسز عساكره، وتحصن بالمدينة، ولم يخرج منها للقتال، لعلمه أنه لا يقوى على سنجر، وكان القتل يجرى بين الفريقين، من وراء السور، فلما رأى السلطان قوة البلد، وامـتناعه، عزم على العـودة إلى مرو، ولكن أرسل آتسز رسلاً يبذل المال والطاعة، والخدمة، ويعود إلى ما كان عليه من الانقياد،

---

١ – ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص٣٠٩ .

٢ – كورخان: هو صاحب دولة الخطا فيما وراء النهر، وكان أغلب السلاطين الخوارز مشاهية يدفعون الجزية لهم حتى تـغلبوا عليهم، حـين هزمهم عـلاء الدين محمـد خوارزمـشاه (٥٩٦ – ٦١٧هـ/ ١١٩٩ – ١٢٢٠م) النظامى. العروضى: جهاز مقالة، حواشى المقالة الأولى، حاشية (٢٤)، ص١٠٧ : ١٠٨

٣ – قطوان: قرية من قرى سمـرقند على بعد خمسة فراسخ منها، ياقوت الحـموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص٧١ .

٤ – ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص٣١٩، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٢٨٥ .

٥ – أبو الفـدا: المختـصر، ج٣، ص١٦، ابن الوردى: زين الدين عـمـر بن مظفر الشـهيـر بابن الوردى، ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، تاريخ ابـن الوردى، جـزءان، ط١، دار الكتـب العلمـيـة، بيـروت – لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٣ .

٦ – أبو الفدا: المصدر السابق، ج١٣، ص١٦، ابن الوردى: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣ .

فأجابه إلى ذلك، واصطلحا وعاد سنجر إلى مرو، وأقام خوارزمشاه بخوارزم يتحين الفرصة للقضاء على الدولة السلجوقية فى خراسان[١].

وفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.قام السلطان سنجر بحملته الثالثة على خوارزم، فحاصر هزاراسب أحد حصون خوارزم، واستولى عليها بعد شهرين، ثم زحف على عاصمة آتسز، ولكن السلطان سنجر وافق على الصلح، غير أن آتسز على غير العادة المتبعة لم يقبل الأرض بين يدى السلطان، بل ولم يرتجل على صهوة جواده واكتفى بانحناء رأسه، وبرغم ذلك فإن سنجر ام يجد ضرورة لتجديد القتال بسبب هذا القصور فى واجب الاحترام الذى بدر من أتباعه، وعاد إلى مرو فى المحرم سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٢].

وفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، جرت حادثة بخراسان كانت لصالح مخطط آتسز[٣]، وهى حادثة الغز، وهم فرسان من التركمان كان مقامهم ومرعاهم بختلان[٤]، وكانوا كل عام يدفعون خراجًا قدرة أربعة وعشرون ألف رأس من الغنم يقدمونها لمطبخ السلطان ووصل الخبر بعلو شأن هؤلاء الغز[٥]، وخرجت الغز على السلطان سنجر، فالتقاهم السلطان فهزموه واستباحوا عسكره وأسروه، وعذبوا الرعية، وفعلوا كل قبيح، وأبقوا الخطبة باسم سنجر، ولكنه بقى معهم صورة، فذاق الذل والجوع[٦].

١ - ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص٣٣٩، ٣٣٠، عباس إقبال: إيران، ص٢٨٦ .

٢ - بارتولد: تركستان، ص٤٧٨، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٢٨٧ .

٣ - بارتولد: نفسه، ص٤٨٠ .

٤ - ختلان: بفتح أوله وتسكين ثانية وآخره نون، بلاد متجمعة وراء النهر قرب سمرقند، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٥ .

٥ - الراوندى: راحة الصدور، ص٢٦٨ .

٦ - الذهبى: شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، دول الإسلام، جزءان، تحقيق حسن إسماعيل مروة، وقدم له محمود الأرناؤوط، ط١، دار صادر بيروت، ١٩٩٩م، ج٢ / ٤٩، لمزيد من التفاصيل عن حادثة الغز، راجع ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص٤٠٩ وما بعدها، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ظن ص٢٤٩ .

وفى سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، هـرب السلطان سنجر مـن أسـر الغـز، وجمـاعة من الأمراء الذين مـعه، وسار إلى قلعـة ترمذ، واستظهـر بها على الغز، وكـان خوارزمشـاه آتسز يغازى الغـز، فيقاتلهم، فـكانت الحرب بينهم سجالاً وغلب كل واحد من الغز، والخراسانيين، على ناحية من خراسان[1].

وفى نفس العـام توفى آتسـز بن مـحمـد نوشـتكين، وخلفـه ابنه إيل أرسلان[2]، وفى العـام التـالى ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م توفى السلطان سنجـر بن ملكشاه[3].

محمود خان ونهاية السلاجقة فى خراسان (٥٢٢- ٥٥٨هـ/ ١١٥٧- ١١٦٢م)

بوفاة سنجر انتـهت السلجوقية تمامًا من بلاد فارس وخـراسان ولم يجد الخوارزميون بعده منافسًا يقف أمامهم ويـعوق سبيل توسعهم، فخلا لهم الجو تمامًا[4].

وخلفه على خراسان محمود خان ابـن أخته، فأقام خائفًا من الغز[5]، وخلف آتسز على خـوارزم ابنه إيل أرسلان، فأرسل إلى مـحمود خـان يهنئه ويخبـره بأنه قد أعلن الحـداد ثلاثة أيام بخوارزم حزنًا على السـلطان سنجر، غير أن خوارزمشاه إيل إرسلان فى رسـالته يدعو نفسه "الصديق المخلص"، بينما كان آتسز يدعو نفسه فى رسائله إلى سنجر "عبدك"[6].

ولقـد اسـتطاع أيل أرسـلان (٥٥٢- ٥٦٨هـ/ ١١٥٧- ١١٧٢م)، أن يبسط سلطانه على غـربى خراسان عقب وفـاة سنجر[7]، وأخذ يعمل على

---

١ - ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص٤٠٧ .

٢ - أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٣، ص٣٠، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص٥٥ .

٣ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٥٥ .

٤ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص٢٣٥ .

٥ - ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص٤١٦، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص٥٨ .

٦ - بارتولد: تركستان، ص٤٨٣، حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربى، القاهرة، بدون، ص٢٨ .

٧ - الراوندى: راحة الصدور، ص١٧٢ .

تقوية دولته دون أن يخشى القوة التى وقفت فى وجه أسلافه من الخوارزميين، فالحقيقة أن دولة السلاجقة فى فارس انتهت تمامًا بوفاة سنجر، وانقرض خلفاؤه بعد أن عجزوا عن مقاومة دولة الخوارزميين الفتية[١]، حيث إنه فى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠ توفى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه، وملك بعده عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه حتى ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م[٢]، ثم تولى أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر ٥٥٦- ٥٧١هـ/ ١١٦٠- ١١٧٥م[٣]، ويقال فى هذه الفترة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م أن أقاليم ما وراء النهر بعثت بوفد من أهلها إلى إيل أرسلان تستنجد من مظالم أمير سمرقند واعتداءاته، فأسرع إيل أرسلان، هناك فى قوة كبيرة، وفتحت له بخارى أبوابها سلما، إلا أنه لم يستطع بعد ذلك أن يواجه ذلك الجيش الذى حشده عدوه بظاهر سمرقند، ووافق على الصلح، ثم رجع إلى خوارزم[٤]، وساد الهدوء ست سنوات دعم فيها إيل أرسلان حكومته فى خراسان وذلك بعد أن طرد محمود خان آخر سلاجقة خراسان، عن عرشه وسمل عينيه وذلك سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م[٥].

وبذلك انتهى العصر السلجوقى فى خراسان ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م.

---

١ - حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية، ص٢٨ .

٢ - أبو الفدا: المختصر، ج٣، ص٣٤، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص٦١ .

٣ - الراوندى: راحة الصدور، ص٤٠٣ .

٤ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٤٩، بارتولد: تركستان، ص٤٨٥ .

٥ - فامبرى: نفسه، ص١٤٩ : ١٥٠

الفصل الثانى
الحياة الاقتصادية فى خراسان

- الزراعـة.
- الصناعـة.
- التجـارة.

الحياة الاقتصادية فى خراسان

أولاً: الزراعة:

لاشك أن دخول خراسان فى حوزة الإسلام كان له الأثر الفعال فى تزويد الأقاليم الإسلامية الأخرى بمواردها الاقتصادية التى وهبها الله لها سواء أكانت زراعية أم صناعية، كما أن هذا الإقليم بموارده كان يمثل القوة الاقتصادية فى الخلافة العباسية فى عصورها الزاهرة إذ اعتمدت على خراجه وخراج الأقاليم الأخرى حتى انتعش اقتصادها وساد الرخاء جميع أرجاء الدولة وأصبح العصر العباسى الثانى بسيطرة الأتراك على شؤون الدولة، وبدأ النفوذ التركى مع مجئ المعتصم إلى الخلافة، فوجد المعتصم أن التفاهم بين العرب والفرس فى الحكومة والجيش، لم يعد ممكنًا، بعد الحرب الأهلية بين أخويه الأمين والمأمون، لأن العرب نفروا من التعامل مع أرستقراطية الفرس التى سلبتهم امتيازاتهم، أما الفرس فقد صاروا يطمعون فى إحياء مجدهم القديم، بعد أن خابت آمالهم فى العباسيين، ويئسوا من دولتهم، على أثر نكبة البرامكة فى عهد هارون الرشيد وبطش المأمون ببنى سهل، ثم خروجه من خراسان وعودته إلى بغداد(١).

وقد نتج عن ذلك كله انحلال سلطة الخلفاء، وانهيار المؤسسات القادرة على حكم الدولة المترامية الأطراف، لأن الخلفاء عجزوا عن تنظيم قوات عسكرية تضبط الأوضاع فى أرجاء الخلافة، وبدأت السلطة المركزية تفقد سيطرتها على الولايات والأقاليم، مما سهل الطريق أمام الحكام المحليين وبعض الأسر الفارسية والتركية للوصل إلى الحكم فى معظم مناطق الشرق الإسلامى والهند، والانفصال عن الدولة وتأسيس الدويلات المستقلة، ولم يهتم أصحاب هذه الدويلات بكيفية الحصول على الاعتراف من الدولة العباسية، وإنما كان هدفها الوصول إلى الحكم والاستقلال عن العاصمة

١ - الطبرى: تاريخ الطبرى، ص٢٨٧ - ٢٩٩

بغداد[1] فأخذت هذه الدول المستقلة فى المشرق على عاتقها المحافظة على ممتلكات الخلافة والمسلمين فى تلك المناطق من المتمردين، لأن الحكومة المركزية كانت عاجزة عن مواجهة حركات الانفصال بقواتها العسكرية الخاصة، فمنحت السامانيين السلطة المباشرة فى المناطق التى سيطروا عليها، مع مساعدات مالية من الخزينة مقابل قمع الاضطرابات وحركات التمرد فى تلك المناطق، بينما أعطى الصفاريون الصلاحيات ذاتها فاستقروا فيما ترقى من ممتلكات الطاهريين، كذلك منحت الخلافة الغزنويين حكم المناطق التى وقعت تحت سيطرتهم نتيجة انهيار الدولة السامانية فى خراسان، وأيدت وباركت لهم فتوحاتهم فى بلاد الهند[2].

وهكذا بانفصال هذا الجزء من العالم الإسلامى عن الخلافة العباسية، فقد العباسيون الثروات التى كانت ترد إليهم من هذه الأقاليم نتيجة وقوعها تحت نفوذ الأسر الحاكمة التى استقلت استقلالاً ذاتيًا عنها، وبدأت كل دولة تكون لنفسها اقتصادًا منظمًا فى تلك المناطق، ذلك بعد وقوع أراضى الخلافة فى حوزتها، واستغلال ثرواتها فى صالح تلك المجتمعات الجديدة التى بدأت تظهر شخصيتها فى ظل الدول المستقلة عن الخلافة العباسية مع بداية القرن الثالث الهجرى.

على أن الظروف السياسية والاقتصادية التى مرت بها الخلافة نتيجة هذه التغيرات فرضت عليها الاعتراف بالأمر الواقع من ناحية الاستقلال واتخاذ كل دولة نظامها الاقتصادى تجاه الأقاليم التى استولت عليها، ومع هذه التغيرات لم ترد أية إشارة إلى إدخال هذه الدول وخاصة الدولة الغزنوية تلك الأراضى التى استولوا عليها ملكًا لهم بحق الفتح، ويتضح هذا المفهوم للملكية من عضد الدولة البويهى الذى قال "إن ملكنا ناحية بالسيف بعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها"[3].

---

١ - الطبرى: نفسه.

٢- الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٩، ص٥١٤ - ٥١٩ . الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٧١ - ٢٧٣

٣ - مسكويه: ج٢، ص٣٨٤ .

فـعلى هذا بقيت أصنـاف الأراضى الرئيسـية فـى هذه الدولة المستـقلة وخاصة الدولة الغزنوية على ما كانت عليه فى الخـلافة العباسية، لكن شروط استغلالها أصـابها التغيير، كما لحق التعـديل بالخطوط التى تميز بين أنواعها، لارتباطهـا بمكانة الذين يستـغلونها، واختـلاف وظائفهم وهذا ما سـنبينه فى فصل نظام ملكية الأراضى فى العصر الغزنوى[1].

أولاً: نظام ملكية الأراضى:

(١) أراضى التاج والممتلكات الخاصة بالسلاطين:

وهى ضياع السلاطين التى أطلقت عليها فى تلك الفترة أسماء مختلفة، منها ضـياع الخاصة التى كان يـملكها السلطان نفسه، أو الضـياع التى تخص الأمراء أو أفراد الأسرة الغزنوية، كما كانت تشمل أيضًا الممتلكات التى كانت تمنح لبعض الوزراء وكبار رجال الدولة.

وقد توسـعت هذه الممتلكات نتيـجة الشراء واستـخلاص الأراضى من البطائح والمستنقـعات أو مصادرة أملاك الوزراء والموظفـين، وقد أنشئت إدارة خاصـة لهذه المـتلكات وعرفت بديوان الـوكالات وكان هذا الديـوان يشرف على إدارة أراضى السلاطين والأمـراء كما كان يشـرف على الجانب المالى فى إدارة البيت الملكى، ومن الذين تولوا هذا المنصب أبو سعـيد سهل الذى عهد إليه السلطان مـحمود مـنصب إدارة شؤون ضيـاعه فى غزنة، وقـد كان هذا العمل من حـيث أهميـته يعـادل، عمل صاحب الديوان أو الوالـى فى غزنة، واستمر أبو سعيد يؤدى هذه المهمة مدة طويلة، إلى أن توفى السلطان محمود فأسند إليـه السلطان مسعـود منصب صاحب الديوان بالإضافـة إلى عمله فى مباشرة الضياع السلطانية، وقد ظل خمـسة عشر عامًا فى مراقبة هذه الشؤون إلى أن أمر السلطان يومـًا بمحاسبتـه فحاسبـه المستوفون فـبلغت الأموال التى كانت عليه سبعة عشر ألف ألف درهم، فلم يكن لديه من هذه الأموال سوى ألف ألف درهم، فأخذ الجميع يتساءلون عمـا ستؤول إليه حال أبى سعيد مع

---
١ - بارتولد: تركستان، ص٢٦٩ .

ما فى ذمته من هذا المال الكثير، إلا أن السلطان مسعود عفا عنه، ووهبه ذلك المال نظير الخدمات التى قدمها لأبيه طيلة خمسة عشر عامًا وكان يعاون أبا سهل فى أداء هذه المهام عدد من المشرفين الذين كانوا يقومون بالإشراف على أراضى الأسرة الحاكمة والتى كانت تتركز معظمها فى العاصمة غزنة، كما كان من المحتمل أن تنضم إلى أملاكهم الخاصة تلك الأراضى التابعة للأمراء السامانيين فى إقليم خراسان والتى سبق أن امتلكها السيمجوريون فى أواخر أيام حكم الأسرة السامانية لخراسان، وكان البتكين يعتبر من أكبر الملاك الغزنويين الأوائل فى خراسان وما وراء النهر فى العهد السامانى، وكان يملك خمسمائة ضيعة فى كل من هذين الإقليمين، ولم تكن ثمة مدينة إلا وكان له فيها قصر وبساتين ومحطات قوافل وحمامات ومستغلات كثيرة[١].

(٢) الملكيات الخاصة:

وكانت هذه الأراضى من أصول متنوعة، منها إقطاعات التمليك التى بقيت بيد أربابها، ٣٦٦ والأراضى التى تم إحياؤها أو استخلاصها من المستنقعات على امتداد العصور الإسلامية السابقة، وقد أعطيت لأصحابها الملكية التامة، وكذلك اقتنى أصحاب الثروات الضياع لأنها تعتبر ملكية مستقرة وموردًا أكيدًا رغم المصادرات الكثيرة التى لحقت بهم[٢]، وكان الوزراء الذين ارتفع شأنهم كثيرًا فى العهدين مثل الميمندى وأبى على حسن بن محمد العباس المعروف بحسنك يقتنيان الضياع الواسعة، لأنهما أساسًا من أصحاب العقارات والأملاك الكبيرة، وهذا ما كان يلاحظ عليهما، وعندما أعفى السلطان محمود الوزير الميمندى من الوزارة، وصودرت أمواله وجدوا عنده سبعين ونيف ألف ألف درهم، وكذلك عندما صدر حكم الإعدام على الوزير حسنك أمر السلطان مسعود أن يعقد مجلس بالطارم يحضره الوزير والقضاة والمزكون ليكتبوا على حسن الحجة بما يملك من الضياع والأموال باسم السلطان حيث أنه كان يملك الضياع الكثيرة والأموال الطائلة لأنه كان من

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٢٦، ١٢٧ .

٢ - نظام الملك: سياست نامة، ص١٥١ .

أصحاب الثروات وكذلك لأنه استغل منصبه فى الاستيلاء على أراضى الآخرين كما بينه البيهقى عندما أثار القاضى صاعد أمام السلطان مسعود هذه القضية واتهم الوزير حسنك بالتعدى على أراضى أبناء ميكائيل وكذلك أراضى الوقف التى أوقفتها الأسرة الميكائيلية[1].

(٣) أراض الوقف:

ويدخل فى هذا القسم مجموعة الأراضى التى خصصت للأغراض الدينية وللمنافع العامة، ويكون الوقف خاصًا أو رسميًا، فالأوقات الخاصة يوقفها بعض الأتقياء من الناس، لأعمال البر، كما فعلت الأسرة الميكائيلية التى أوقفت أراضى واسعة فى نيسابور لكى يستفيد من خيراتها الفقراء والمساكين.

ومتى تم وقف الأراضى لم يعد بالإمكان بيعها أو مصادرتها، فلما أراد الوزير حسنك كما أسلفنا أن يتصرف فى بعض أراضى الوقف، شكاه القاضى صاعد للسلطان الذى أمر بإعادة تلك الأراضى إلى الأوقاف لكى يستفيد من خيراتها جميع الفقراء والمساكين والأوقاف كانت تشرف على المؤسسات الخيرية والدينية والتربوية فى كل مدينة وكانت تدار بشكل مستقل عن بقية دواوين الدولة من قبل موظفين يدعون (أشراف الأوقاف) وكانت الأوقاف تشرف على الأموال الواردة إلى خزانتها من أوقاف الناس[2].

(٤) الأراضى الزراعية ونظم الرى:

وجه سلاطين خراسان عنايتهم إلى تنمية الثروة الزراعية فى خراسان حتى يتيسر لهم بذلك تعزيز كيان دولتهم، فنشطوا فى حفر الترع والقنوات وإقامة السدود والقناطر فى معظم أرجاء هذا الإقليم، فكان نظام الرى يختلف فى منطقة عن الأخرى، وكان يوجد فى مرو ديوان لتيسير سبل الرى يسمى ديوان الماء ويشرف على هذا الديوان أحد كبار موظفى الدولة، تعلو مرتبته

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، العقيلى: آثار الوزراء، ص١٧٦

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٨ .

على مرتبة صاحب المعونة فى هذه المدينة وكان يعاونه أكثر من عشرة آلاف عامل، وكان لهذا الديوان سجلات ودفاتر تدون فيها مقادير خراج الأراضى على حسب نوع ريها، وجعلت مقاسمات الملكيات الخاصة على العشر إذا سقيت طبيعيا، ونصف العشر إذا كان الرى اصطناعيًا تطبيقًا لقواعد الشريعة الإسلامية، كذلك أقيم فى جنوب مرو سد كان يشرف عليه أربعمائة غواص ليلاً ونهارًا، وكانوا يطلون أنفسهم بالشمع فى فصل الشتاء إذا احتاجوا دخول الماء لإصلاح أى عطب فى السد(١).

أما الأقاليم الواقعة شرق فارس البعيدة عن مجارى المياه الكبرى فقد كانت تروى بطريقة متقنة الصنع، فكان فى تلك المناطق نهيرات وجداول صغيرة تنحدر من المرتفعات بعد سقوط الأمطار فيتجمع هذا الماء فى تلك الأنهار والجداول لتجرى في طريقها عبر قنوات معقودة عليها قناطر إلى كل من مدينتى طوس ونيسابور، وكان يبلغ طول إحدى هذه القنوات خمسين كيلوا مترًا، كما بنيت بعض القنوات فى أماكن متفرقة فى خراسان لسحب المياه من الأنهار البعيدة وتوزيعها على المدن ومنها على الأهالى للشرب ولرى مزارعهم، واشتهرت نيسابور بقنواتها التى تجرى تحت الأرض لتسقى ضياعها، وتدور فى محلاتها وتمد أهلها بماء الشرب، وكان يظهر فى قنوات مدينة نيسابور دقة العمل واهتمام الولاة بشؤون العامة والمحافظة على مصالح الفلاحين آنذاك(٢).

هذا ويرجع الفضل فى تنظيم هذه القنوات إلى عهد عبدالله بن طاهر حاكم خراسان الذى أدخل نظام توزيع المياه من خلال القنوات، وعمل ديوانًا أسماه ديوان الماء، وعندما حدثت مشاكل حول عملية الإرواء بين الأهالى

---

١ - أبو عبدالله محمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى: مفاتيح العلوم، الطبعة الثانية القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص٤٥ . ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٥ .

٢ - آدم متز - الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى - الجزء الثانى - نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة ١٣٦٠هـ ١٩٤١م. ص٢٨٢، ٢٨٣ . الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٤٨، ١٤٩ .

وخاصة فى نيسابور، دعا فقهاء خراسان إلى وضع قوانين لنظام الرى وفق الأسس الفقهية فصنفوا له كتاب "القنى" وكان يتناول الأحكام الفقهية والإدارية لحل المنازعات بين الفلاحين بسبب عدم عدالة توزيع المياه لهم. وظل هذا النظام معمولاً به إلى زمن الكرديزى الذى أشار إلى ذلك الكتاب والذى يضم الكثير من المعلومات عن وسائل الرى والذى كان يمثل رمزًا لاهتمام الولاة بأمور الرى والزراعة فى خراسان(١).

أما الأنهار فكانت من أهم مصادر الرى فى خراسان وأكثرها إفادة للزراعة، فإقليم خراسان كان به عدد من الأنهار التى كانت تتفرع منها شبكة منظمة ودقيقة من الجداول والترع لسقى المزارع والبساتين القريبة من المدن أو القرى، وأهم الأنهار فى خراسان:

(١) نهر هراة: "هرى رود": وهو يسقى سهول ربع هراة برمته ومخرج هذا النهر من جبال الغور قرب رباط كروان ويجرى فى منبعه مسافة قصيرة نحو الغرب ويمر بمدينة هراة على سبعة أميال من باب الجنوبى قريبًا من مدينة مالين ويجتاز هراة باتجاه بوشنج قرب ضفته الجنوبية ثم ينعطف شمالاً إلى سرخس، ويتفرع هذا النهر إلى عدة فروع، أما الفرع الرئيسى فيذهب إلى هراة فتستخدم مياهه لسقى البساتين والمزارع(٢).

(٢) نهر مرو: ويسمى مرغاب وتفسيره مروآب أى ماء مرو، ومنهم من يزعم أن النهر منسوب إلى مكان يخرج منه الماء ويعرف بنهر مرغاب ومجرى هذا النهر على مرو الروذ وعليه ضياعه ومنابع هذا النهر من جبال الغور فى شمال شرقى هراة من وراء الباميان، ويمر بمرو الروذ ويدور شمالاً إلى مرو الشاهجان حيث يتشعب منه جملة أنهار، ثم يفنى ماؤه فى رمال مفازة الغز. وهو يسقى معظم المدن التابعة لكورة مرو، ثم يغذى هذا النهر أربعة أنهار فرعية وهى:

---

١ - الكرديزى: زين الأخبار، ص٢١٨ . الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٥٠، ١٥١ .

٢ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٦٧ .

١- نهر هرمزفرة. ٢- نهر الماجان.

٣- نهر الرزيق . ٤- نهر أسعدى[(١)]

ونستخلص من نظام الرى فى إقليم خراسان أن الأمراء والولاة اهتموا اهتمامًا بالغًا بتقسيم المياه إلى جميع المدن فى خراسان ولكن نرى مقسم ماء مرو كان يبدأ من قرية زرق من عدة مقاسم للماء بحيث جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر (نهر مرو) ساقية صغيرة عليها الواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يترك أحد يزيد فيها ولا ينقص، ويأتى كل قوم من شربهم بمقدار إن زاد الماء دخلت عليهم الزيادة وإن نقص نقصوا بأجمعهم لا إيثار لقوم على آخر . ومتولى هذا الماء أمير قوى وتحت إمرته أكثر من عشرة الاف رجل يرتزقون على هذا الماء، ولكل رجل منهم عمل معين يؤديه خلال وظيفته، فمنهم مكلفون بقياس علو الماء وقت الفيضان وكذلك انخفاض منسوب الماء وقت الجفاف، ومنهم مكلفون بصيانة الألواح التى بدأت تتأمل نتيجة قدمها وكان نظام قياس الماء كما هو معروف فى ذلك الوقت وأورده الخوارزمى فى كتابه مفاتيح العلوم هو "البُست" وكان هذا قياسًا تصالح عليه أهل مرو وهو مخرج للماء من ثقب طوله شعيرة وعرضه شعيرة، وعلى ذلك فقد بنى الجغرافيون هذه النظرية وهى إذا بلغ طول علو الماء ستين شعيرة، فإن ذلك العام يكون عام خصب، وإذا - كانت ست شعيرات فإن ذلك يدل على أنها قحط، وأخيرًا فإن هذا التقسيم الدقيق والفنى لعملية الرى فى خراسان لدليل على رقى نظام الرى فى دول المشرق وعليه فقد أثر ذلك على تقدم الزراعة والاهتمام بها فى هذا الإقليم[(٢)] .

---

١ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٣١ .

الاصطخرى: المسالك الممالك، ص١٤٨ .

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٥ .

٢ - الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٨١ .

الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٤٥، ٤٦ .

الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٤٨، ١٤٩ .

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٥ .

ومن هذين النهرين الكبيرين - هراة ومرو - تكونت السهول الممتدة فى عرض القسم الغربى من خراسان وإروائها، كما عرفت خراسان بأراضيها الخصبة وقراها الغنية العامرة بزروعها وبساتينها، وكذلك تميزت برساتيقها الواسعة الكبيرة الخصبة التى كانت تفى منتجاتها الزراعية باحتياجات المدن الكبرى.

أما المدن التى اشتهرت بالزراعة، فقد أشاد الجغرافيون بها، فكان صحيحة التربة والهواء، عامرة وعلى درجة كبيرة من الخصوبة، وعند ذكر مرو ونيسابور قيل عنهما "أحسن الأرض مستخرجة" وقيل أيضا عن نيسابور أنها "أزكى أرض خراسان السقى"، وتقع نيسابور فى سهل محاط شماله الغربى بمنطقة كوه جاه وبسلاسل جبال عالية فى الشمال الشرقى تدعى جبال بنالوت الذى يفصل نيسابور عن طوس ومشهد وهذا الجبل شديد الانحدار على جانب مدينة نيسابور ويفوق ارتفاعه أكثر من ١١,٠٠٠ قدم وينحدر شرقًا إلى سهل واسع عريض يبلغ ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قدم تنتشر فيه القرى والبساتين، وبهذا الموقع تعتبر مدينة نيسابور منطقة سياحية وتتمتع بجمال الطبيعة، وكان الأعيان يتخذون من مدنها وريفها مصيفًا للراحة والاستجمام وقد أقام الشيخ أبو سعيد فى قرية بوشكان - التى كانت تعتبر مصيفًا للنيسابوريين - وليمة فخمة لألفى شخص من نيسابور وقد أنفق فيها أموالاً طائلة، ولذلك قال عنها الجغرافيون "ليس بخراسان مدينة أصح هواء ولا أكبر من نيسابور"(١).

هذا ولم تكن جميع الضياع عامرة بالزراعة، بل كانت إلى جانبها أراض خربة غير معمورة نتيجة الإهمال أو الكوارث الطبيعية، فلذا كانت الأراضى الزراعية عندهم مرتفعة الأسعار، فنجد الأعيان يملكون أحسن الأراضى فى الأرياف لأن المدينة كانت مرتبطة بها، فكان لأبى نصر مشكان دار وحديقة فى قرية محمد آباد التى كانت تابعة لشادياخ، وكانت أراضيها

---

١ - الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٤٦ .

غالية الثمن فكان الجفت وار، الذى يسمى فى نيسابور وأصفهان وكسرمان جريبًا، من الأرض الغير مزروعة يباع بألف دهم، وإن كان عامرًا بالشجر والزرع بيع بثلاث الاف درهم، على أن أبا سهل الزوزنى اشترى فى هذه القرية ثلاثين جفت وار لكى يشيد لنفسه قصرًا وحديقة وقد دفع للجفت وار الواحد ومائتى درهم وكان ذلك فى عام ٤٣٠هـ/ ١٠٩٨م.

هذا وبعد معركة دندانقان كانت الإراضى فى قرية محمد آباد يباع منها الجفت وار بمد واحد من القسح ولا يجد من يشتريه، أما فى العام السابق على هذه المعركة فكان الجفت وار من الأرض يباع بألف درهم ثم بعد ذلك بمائتين لكنه بعد معركة دندانقان يباع بمد واحد من القمح ولا يجد البائع من يشتريه، هكذا كانت أسعار الأراضى فى الحرب والسلم فى انخفاض وارتفاع(١).

وكانت الأراضى الزراعية غنية بمحاصيلها فيروى بن البلخى أن قفيز البذر كان يربح منه المالك مائه قفيز، أما الفلاح الذى يعمل فى الأرض فكان يعين له راتب شهرى نظير تلك الخدمات التى يقدمها للأرض، وكان عليه معرفه أوقات السقى والرى، وكذلك يشترط أن يكون له خبرة بالفلاحة واللقاح والغرس والوصل والحصاد، لأن ذلك كان يتوقف عليه أخذ ضريبة الخراج فى النيروز والمهرجان من كل سنة(٢).

وكانت الزراعة تتعرض فى بعض الأحيان للكوارث الطبيعية مثل البرد والثلوج وكذلك الجفاف نتيجة عدم سقوط الأمطار فى موسمها، وهذه الظروف كانت تؤثر على القيمة الإنتاجية للأراضى الزراعية، مما كان يؤدى إلى النقص فى المواد الغذائية فى تلك المناطق، فكانت الدولة فى هذه الحالات تتخذ الإجراءات اللازمة من إرسال الإمدادات الغذائية والمادية لتوزعها على

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١ .

٢ - أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى، الآثار الباقية، ص٣١ - ٣٢، ٣٤١ . قحطان عبدالستار الحديثى - دراسات فى التنظمات الاقتصادية لخراسان، من رسالة دكتوراة الموسومة خراسان فى العهد السامانى - الباب الثالث - الفصل الأول ١٩٨٠، ص٦٣ .

المتضررين من الأهالى فى جميع أرجاء الأراضى المنكوبة، وحدثت سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠ - ١٠١١م مجاعة فى خراسان بسبب نزول الصقيع فى وقت مبكر من تلك السنة فأرسل السلطان محمود الإمدادات الغذائية وبذل أقصى جهده فى تخفيف المعاناة عن أهالى خراسان، وكذلك من المساعدات التى قدمتها الدولة للمنكوبين على هيئة قروض مالية ليتمكنوا من شراء البذور والماشية التى فقدوها وأيضًا أعادت إليهم خراج تلك السنة ليحلوا بها المشاكل التى نتجت عن والجفاف، ويسددوا منها الديون التى تراكمت عليهم[١].

(٥) المحاصيل الزراعية:

أولاً: الحبوب بانواعها:

كانت مدن خراسان تعتمد إعتمادًا كليًا على القرى والرساتيق فى سد حاجاتها من المواد الغذية للاستهلاك اليومى كالخضروات والفواكه والحبوب.

فكانت مرو تشتهر بزراعة السمسم كما يكثر فيها الحنطة والشعير، ويقال أنها من أطيب بلاد خراسان أطعمة، وخبزها ليس بخراسان أنظف ألذ طعمًا منه، أما نيسباور فيرتفع من رساتيقها أصناف الحبوب وخاصة من بست وكويان واستوا الذى يقوم بأكثر ميرة نيسابور، أيضًا كانت مدينة سرخس مشهورة بزراعة الحبوب كالحنطة والشعير والذرة بالرغم من أنها قليلة المياه، وقد قارن المقدسى كمية الحبوب المصدرة كل أسبوع من سرخس بكميات الحبوب المرسلة من القاهرة عن طريق القلزم إلى الحجاز، وهذا يدل على أن مدينة سرخس كانت بها صوامع لحفظ الحبوب وتصدر الكميات الكبيرة إلى المدن الأخرى فى خراسان عند حاجتها إلى ذلك، والذى يؤكد لنا ذلك أن مدينة نيسابور وما كان يحيط بها من القرى والأرياف كانت تجد النقص فى المواد الغذائية نظرًا للكثافة السكانية فيها وكذلك لازدياد طلب المستوردين الكميات الكبيرة من المواد الغذائية وغيرها لإرسالها إلى الأقاليم الأخرى حسب طلب التجار فيها.

---

١ - البيهقى: تاريخ، ص٦٧١.

كانت أراضى خراسان تنتج المحاصيل الأخرى غير القمح والشعير والذرة، فمدينة بلخ كانت مشهورة بالسمسم والجوز واللوز والأرز، أما أسفرائين فكانت مزارعها تشتهر بزراعة الأرز، وكذلك مدينة هراة بها مزارع الفستق والحنطة وكانت أيضًا موطنًا لزراعة الأرز، ويصدر منها هذا المحصول إلى بقية الأقاليم الأخرى[١].

ثانيًا: القطن:

اشتهرت أغلب مدن خراسان بصناعة المنسوجات القطنية، لأنها من المناطق المشهورة بزراعة القطن وتميزت مرو ونيسابور وقوهستان بأراضيها الخصبة لزراعة القطن المعروف بجودته ولينه فى جميع أرجاء الإقليم[٢].

ثالثًا: الفواكه:

اشتهرت خراسان بزراعة الفواكه فى جميع أرجائها، وقد وصف الجغرافيون فواكهها وخاصة الكروم والبطيخ، وكانت مدينة مرو بلد البطيخ المعروف "بألبارنك" وهذا النوع كان يحمل إلى الآفاق وخاصة إلى العراق فى قوالب من الرصاص معبأة بالثلج لرغبة المأمون والخلفاء من بعده، كما أن اليابس من فواكهها وخاصة الزبيب يفضل الأنواع فى الأماكن الأخرى لامتيازه بالطعم والجوده، وكذلك عرفت خراسان بكثرة أعنابها[٣].

وكذلك يذكر أن بطيخ خوارزم كان يقدد ويجفف فى الشمس فى القواصير ويحمل إلى بلاد الهند والصين، كما اشتهر هذا الإقليم بالعنب والرمان والزبيب والكمثرى، أما بلخ فكانت تشتهر بفواكهها مثل العنب والتين والرمان والبرتقال والزبيب، أما مرو الروذ فكانت تشتهر مدنها بالبساتين والكروم والفواكه الحسنة[٤].

---

١ - البيهقى: تاريخ، ص٦٧١ .

٢ - الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٤٩ .

٣ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٣١ .
عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الإسلام ص١٧٢

٤ - المقدسى: احسن التقاسيم، ص٣٣١ .

أما نيسابور فكانت تعرف بمدينة الفواكه الواسعة اللذيذة وبساتينها الكثيرة، فتشتهر أرباعها ورساتيقها بكثرة الكروم والأعناب الجيدة والريباس والمشمش والزيتون والتين والسفرجل والأجاص والرمان، ومدينة هراة وصفت بأنها "بستان خراسان ومعدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة"، وكانت مشهورة بالزبيب "الطائفى" والكشمهانى وفى مدنها ورساتيقها يذكر مائة وعشرون صنفًا من الأعناب وفيها صنفان لا يوجدان فى جهة أخرى هما "البرينان" و "الكلنجرى"[1].

٦- الثروة الحيوانية والرعى:

كانت معظم أراضى خراسان صالحة للزراعة والمراعى وحيث أن أمودريا (نهر جيحون) يعتبر الحد الفاصل بين إيران وتوران وتجتاز أراضى خراسان والسهول والوديان الخصبة، كانت سرخس تقع فى أرض سهلة والغالب على نواحيها الراعى، ومعظم حيواناتها الجمال التى تستخدم فى حمولة البضائع للمدن الخراسانية المحيطة بها[2].

أما الجوزجان فهى ناحية من إقليم خراسان اشتهرت بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة الخصبة وكانت لها قرى وبيوت للأفراد وهم أصحاب أغنام وإبل، ويرتفع من ناحيتها الجلود التى تحمل إلى سائر خراسان، وأكثر السوائم بخراسان من الإبل بناحية سرخس وبلخ فأما الغنم فإن أكثرها يجلب منها من بلاد الغزية، ومن الغور والخلج[3].

كذلك اعتبرت الأراضى الواقعة فى الشمال من بحر قزوين وبحر آرال من أخصب الأراضى للرعى حيث كانت مأوى لمجموعة من قبائل الأتراك المعروفة بالغز والذى عرفوا فيما بعد بالتركمان (السلاجقة)، على أن هذه

---

١ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٨ .
الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٥١ .
٢ - الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٥٤ .
٣ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٦ .

المساحات الكبيرة من الأراضى لم تستغـل استغلالاً نافعًا فى تربية المواشى بل استـغلت فى الإغارة ضـد بعضهم البـعض من أجل السيطرة والـتوسع على حساب الدول التى تأسست فى خراسـان وما وراء النهر، فهناك إشارات تدل على أن الصراعات الدامية بين الغزنويين والسلاجـقة حول خراسان فى الفترة من عام ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م إلى سقوط الدولة الغزنوية فى معركة دنندانقان عام ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م كان الهدف منها هو الحصول على أراضٍ رعوية صالحة لهم ولمواشيـهم وكان هؤلاء السلاجقـة قبائل بدو يغلب عليهم التـرحال من أجل الكلأ والعشب والماء[١].

فلما ضاقت بالسـلاجقة الأراضى الرعوية فى بلاد ما وراء النهر نـتيجة قيام الدولة القراخانية وظلم بعض حكام هذه الأقاليم عملت هذه الجماعة من التركـمان على أن يجـدوا مراعى لقطاعنهـم وأن يضيفـوا إلى ثرواتهم وذلك بالإغـارة على قطعـان الشعـوب المسـتقـرة، ولتـحقـيق هذا الهـدف أرسلوا مجموعات صغيرة من فـرسانهم فى عمق الأراضى الغزنوية حيث وقعت فى أيديهم مـجموعـة من حيـواناتهم وتفاديًا لهـذه الغارات المتكررة التـى كانت نتيجتهـا السلب والنهب لقطعان المواشى باع أبو نصر بن مشكان (١٠,٠٠٠ رأس من الأغنام فى صيف ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م) كانـت ملكًا له فى جوزجان، وكان أبو نصر على حق من تخوفه على هذه الكمية الكبيرة من الأغنام، كما اتضحـت له فيمـا بعد من الـتطورات الخطيرة فى خـراسان نتـيجـة الحروب واستيـلاء السلاجقة على قطعان الأهالى ومـا كان يقع فى أيديهم من الغنائم عندما كانت هدفًا لهجماتهم المتكررة على خراسان[٢].

ويرجع تحرك هذه الجـماعـات من التركمـان إلى إقليم خراسـان عندما منحهـم السلطان محـمود أراضى لكى تكون لهم مـأوى ومرعى لأنعـامهم، وكانت هذه الأراضى فى مدينة سرخس وفراوة وباورد.

١ – البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٦٣، ٦٦٥ .

٢ – البيهقى: نفسه.

كـذلك تنوعت الثروة الحـيـوانية فى الدولة الغـزنوية فكثـرت فى بلخ الجمال ذات السنامين وهى المسماة بالجمال البخاتى، وكذلك النوق السمرقندية والخيـول التى تسمى الشهـارى البخارية، وكذلك الخـيول العربيـة التى كانت تربى فى روابى إقليم خـراسان وبـلاد ما وراء النهـر، وقد أبدى أبو الحـسن عبدالجليل أحد زعـماء العرب عند ذهابه إلى غزنة للسلطان مسعـود استعداده لجلب الإبل والخيول للمشاركة فى حربه ضد السلاجقة[1].

كذلك شاركت هذه الثروة الحيوانية فى تسهيل مهـمة الفلاح فى حرث الأرض وزراعتـها، كـما اسـتخدمت الخـيول السـريعة فى حمل البـريد بين الأقاليم، وكـانت أيضًا أداة فعـالة فى جيوش خـراسان وقوافلهـا التى كانت تحمل البضائع والسلع من إقليم إلى آخر، هكذا شكلت الثروة الحيوانية مصدر دخل آخر مـن اقتصـاد خراسـان وكانت تدر على هذا الإقليـم منتجاتـها من الألبان التى كانت تشكل مـادة غذائية لا يستغنى عنها، إضـافة إلى الكميات الكبيرة من لحومها لإطعام سكانه، كما أن انتاجها من الأصواف والوبر والفرو والجلود ما يـستعـمل فى الصناعات المخـتلفة مما صـيز خراسـان مركـزًا هامًا للصناعات الجلدية لبلدان الخلافة الشرقية[2].

ثانيًا: النشاط الحرفى (الصناعات):

ازدهرت الصناعـة فى الدولة الغزنويـة، ولم يأل السلاطين الغـزنويون جهـدًا فى سبيل العمل على تقـدمها، وكـان إقليم خراسان من أكبـر المراكز والمؤسسـات الصناعية فى الدولة مما جـعل الحكام الغزنويون يحافظون عليـها ويعـملون على نموها وتـطورها، ويرجع ازدهار الصناعـة إلى وجـود الثـروة الطبيـعية لمـعظم المعادن، وكذلك مـهارة الصناع ووفـرة رؤوس الأموال التى أقامت هذه المصـانع بالإضافة إلى وجود السـوق الكبيرة التى كانت تسـتهلك

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٦٣، ٦٦٥ .

٢ - قحطان عبدالستار الحديثى: "دراسـات فى التنظيمات الاقـتصادية لخراسان (أولاً الزراعـة)، من رسالة دكتوراة الموسومة.

هذه الصناعات الكثيرة فى جميع أرجاء العالم الإسلامى سواء من الصناعات المعدنية أو المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية وغيرها من الصناعات الأخرى التى سوف نتكلم عنها بالتفصيل.

(١) الصناعات التى قامت على المعادن:

كانت خراسان مصدراً رئيسيًا للمعادن التى ساعدت على قيام الصناعات، وكانت فيها عدة مناجم فى جبالها ووديانها، فاهتمت الدولة الغزنوية باستغلال هذه الموارد كالحديد والذهب والفضة، وكان يوجد فى كابل ونيسابور وفرغانة كميات كبيرة من الحديد، مما أتاح لأهالى هذه المدن أن يظهروا براعة فائقة فى المصنوعات الحديدية مثل السيوف ورؤوس الرماح والسكاكين، فى ناحيتى مينك ومرسمندة وهما من أعمال فرغانة بإنتاج أحسن أنواع الحديد التى كان يجهز منها إلى العراق[١].

وكذلك كان الحرفيون فى نيسابور ينتجون أشياء كثيرة من معدن الحديد كالأسلاك الحديدية والإبر والسكاكين، كما كانت جبال خراسان الشمالية تحتوى على النحاس والرصاص والإنتيمون والحديد والفضة والذهب - ولكن الذهب لم يستغل بكميات كبيرة - فلذا لم يرد عند الجغرافيين إشارة حول هذا المعدن وأماكن وجوده فى إقليم خراسان[٢]، إلا أن ابن خرداذبة بين لنا كيف كان يستخرج معدن الذهب من مجارى الأنهار والوديان، ووصف قرية اسمها وخد فذكر أنها كانت تقع على نهر باخشوار وهى أحد أفرع نهر جيحون - وكيف يستخدم أهالى تلك القرية مسوك المعز والأوتاد فى استخراجه، وأيضًا ذكر أن ذهب بلخ كان من أجود الأصناف وأحمرها

---

١ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤١٦ . قحطان عبدالستار الحديثى: التنظيمات الاقتصادية فى خراسان فى القرن الرابع للهجرة (ثانيًا الصناعة) من رسالة الدكتوراة الموسومة (خراسان فى العهد السامانى) ص١١٥ .

٢ - ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٧٩ .

ابو الريحان محمد بن أحمد البيرونى: كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر، حيدر آباد - الركن ١٩٥٨، ص٢٣٢، ٢٣٣ .

وأصفاها وأن الذهب النيسابورى كان من أردأ أنواع الذهب وذلك لوجود بعض الشوائب من البلور وأن لم يكن صافيًا كالذهب البلخى.

والذهب من المعادن المستحبة منذ القدم لا سيما فى صناعة الحلى التى تتزين بها النساء وكذلك استخدم فى صناعة الأوانى وأدوات الزينة للقصور، وأيضًا دخل فى صناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب، وأخيراً استخدم فى ضرب النقود كدنانير ليكون القوة الاقتصادية التى تنافس بها الدراهم الفضية فى الدولة(١).

أما الفضة فكانت مدينة ينجهير بنواحى بلخ من أهم مواطن الفضة فى الدولة، ويحدثنا ياقوت عن هذه المدينة بقوله: "والدراهم بها واسعة كثيرة، لا يكاد أحدهم يشترى شيئًا بأقل من درهم صحيح، والفضة فى أعلى جبل مشرف على البلدة، والسوق والجبل كالغربال من كثرة الحفر والبحث عن الفضة كما كانت الفضة توجد فى سمرقند ونيسابور وفرغانة وزابلستان، أما فى باذغيس فقد تعطل العمل فى مناجمها وذلك بسبب فناء الحطب الذى يساعد على استخراجه وسبكه(٢).

ومن الصناعات التى اشتهرت بها مدن خراسان الأوانى وكيزان الماء وطاسات غسل الثياب المصنوعة من الصفر وهو "الأسفيذروى" أى النحاس الأبيض، وكذك كان يكثر فيها النحاس الأصفر فى كل مدن الباميان ونيسابور وزابلستان ومرو، هذا واشتهر إقليم خراسان بالمعادن مثل الرصاص والزاج والأنك والجراغ سنك وهى الأحجار التى تسمى "العوم الأسود"، وكذلك اللأزورد والبلور والزئبق وغيرها(٣) كذلك كانت الأحجار النفسية من بين

١ - ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٧٩

٢ - الاصطخرى: المسالك والممالك، ص٢٧١ .

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٥ .

٣ - ابو الريحان محمد بن أحمد البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، حيدر آباد الركن ١٩٥٨، ص٢٦٤ .

ابن حوقل: صور الأرض، ص٣٧٥ .

موارد الثروة الطبيعية التى اعتنت باستغلالها الدولة الغزنوية، فاشتهرت نيسابور بالفيروزج الأزرق، كما اشتهرت مدينتا طوس وفرغانة بالفيروزج الإيلاقى بجودته. ومن الأحجار النفيسة التى عرفت فى هذا العصر الياقوت والزمرد واللؤلؤ، ويعتبر أفضل أنواع اللؤلؤ ما كان يستورد من الصين، وهناك الجمست وهو حجر منقوش يشبه الياقوت وكان يوجد فى مرو الروذ، وأيضًا ذكر البيرونى وجود الماس فى الجانب الشرقى من خوارزم على جهة مرو وبخارى فى هضاب المنطقة، وكان يوجد أيضًا فى خراسان بعض أنواع المعادن مثل المغناطيس والكبريت والزرنيخ والمومياى(١).

(٢) الصناعات ومراكزها:

أ - المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية

اشتهرت خراسان بتعدد صناعاتها ودقتها، وذلك لوجود المواد الخام التى ساعدت فى قيام هذه الصناعات، ويدل على ذلك رواج تجارتها واتساعها لتشمل الكثير من الأصناف، وقد اعتمدت هذه الصناعة على العمال المهرة والصناع المتخصصين فى جميع مجالات الصناعة.

ومن أهم الصناعات التى أزدهرت بها خراسان فى العصر الغزنوى المنسوجات على اختلاف أنواعها، وكانت أكبر مراكز صناعة القطن فى شرق فارس، وهذه المراكز هى مرو ونيسابور وبم شرق كرمان) وقد اشتهرت هذه المدينة - بم - بثياب القطن الفاخرة، وعلى الأخص الطيالس، وكانت تحمل منها وتباع فى بقية مدن خراسان والعراق ومصر، وهناك أيضًا مراكز خاصة لنسيج الكتان، وقد اشتهرت مدينة كازرون بصناعة الكتان، حيث نقلت إليها هذه الصناعة من مصر عن طريق فارس حتى سميت مدينة كازرون "دمياط الأعاجم" والكتان من المنسوجات التى تحتاج فى البداية إلى أن يبل فى

١ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ٣٢٤، ٣٢٥ .
البيرونى: الجماهر، ص٩٥ .

البرك، ثم يفصل بعضه عن بعض ويغـزل ثم تفل خيوطه فى ماء نهر الرهبان الذى له خاصية تبييض خيوط الكتان[١].

ومن المدن التى اشتهرت بقطنها مدينة مرو، وهذا القطن تصنع منه أفخر الثياب وخـاصة الملاحم، وكان العرب يسمـون كل ثوب صفيق بالمروى وكل ثوب رقيق بالشاهجهانى، وإلى مرو ينسب القطن اللين والثياب التى تجهز إلى سائر الأقاليم الإسلامية وكانت من ألبسة الطبقة الارستقراطية.

أما مدينة نيسابور فلم تكن أقل شهرة من بقـية مدن خراسان فقد تميزت بالمنسوجـات القطنية والصوفيـة حتى وصفهـا ابن حوقل بقوله: "وبهـا فاخر ثياب القطن والقز ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلدان الشرك لكثرته وجودته" وأنتجت أيضًـا بعض المنسوجات مثل الموسلين والعـتابى والديمسق التى كانت لها الشـهرة الفائقة فى ذلك الوقت حتى انـتقلت هذه المصطلحات إلى اللغات الأوروبية فى صناعة الأقمشـة القطنية والحريرية، وكذلك أنتجت مصانع نيـسابور أقمشة لكل طبـقات المجتمع وبمختلف الجـودة فمنها الأقطان واللباد التى كانت لباس عامة الشعب، ومن الأنواع والأصناف الرخيصة الثمن والميسور شراؤها لجميع أفراد الطبقة الدنيا[٢].

كذلك اشـتهرت خراسـان فى العصر الغزنوى بصناعـة الحرير، ويرجع بعض الجغرافيين ذلك إلى وجود دودة القز فى بعض المدن الخراسانية، فكانت نيسابور من المدن الشهيرة بتربية دودة القز وصناعة الملابس الحريرية مثل العتبى والسقلاطونى التى كانت تضاهى ديباج بغداد وأصفهان. أما الحرير الخام فكان مصدره بساتين وحدائق التوت الواقعـة فى الأراضى الشرقية من بحر قزوين، وقد كان بعض مدن خراسان تستـورد منه لتصنيعه، بالرغم من أن مرو كانت مركـزًا لصناعة الحـرير والأبريسم لوجود القـز الكثيـر فيـها هذا إذا مـا قارنا

---

١ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٤٣٢ - ٤٣٤.

آدم متز: الحضارة الإسـلامية فى القرن الرابع الهجرى، نقله إلى العربية محـمد عبدالهادى أبور ريده، القاهرة ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م - الجزء الثانى ص٢٩٨.

٢ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٣.

بصناعة الحرير فى مدينة نيسابور التى كانت تتصدر المبيعات فى خراسان، نظراً للطب المتزايد عليها من البلاط السلطانى وفى المناسبات والاحتفالات والتشريفات الرسمية الخاصة بالدولة، وكذلك لسد احتياجات القصر من الملابس الحريرية التى كانت لباسًا للنساء(١).

ب - السجاد وأنواعه

رأينا كيف اشتهرت خراسان بالصناعات المختلفة نتيجة لوجود الثروات الطبيعية التى ساعدت على قيامها، وهذا أيضًا ما جعل أسواقها مصدراً لجميع متطلبات الحياة التى كان يحتاجها جميع أفراد الشعب، ومما هو جدير بالذكر أيضًا أن خراسان والأقاليم الأخرى فى المشرق كانت من أكبر المراكز لصناعة السجاد التى وما زلنا نعرف عنها أنها تنتج أجود أنواع السجاد منذ العصور القديمة إلى عصرنا الحاضر .

ويرجع سبب ازدهار الصناعة إلى تشجيع الملوك والأمراء ورجالات الدولة لها، بالإضافة إلى إنفاقهم الأموال الطائلة من أجل إبراز الأبهة والخبرة فى تطوير إنتاج أحسن الفرش والأبسطة وأفخرها على أيدى أحسن الصناع الذين كانوا يشتغلون ويكرسون جهودهم شهوراً طويلة لصنع أحسن أنواع السجاد ليزودوا بها قصور السلاطين وبيوتهم وكذلك طبقات الشعب المختلفة، وكانت أهم مراكز هذه الصناعات هى مدينة تون الذى ذكرها ناصر خسرو وكان بها ٤٠٠ مصنع للسجاد فى زمانه وكذلك مدينة بخارى التى كانت تشتهر بصناعة البسط والمصليات والخيام، هذا واشتهرت بعض المدن الأخرى مثل طالقان باللبود الطالقاشية. الشهيرة وغرج باللبود والبسط الحسان، وقوهستان بالبسط والمصليات(٢).

---

١ - المقدسى : أحسن التقاسيم، ص٣٢٤، ٣٢٥ .

٢ - المقدسى : أحسن التقاسيم، ص٣٢٤، ٣٢٥ .

زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، القاهرة ١٩٤٠، ص١٤٠ .

جـ - الصناعات الجلدية

دخلت صناعة الجلود فى خراسان كإحدى الصناعات التقليدية نظراً لوجود الكميات الكبيرة من الحيوانات التى كانت تربى فى مراعيها الخصبة وذلك للاستفادة من لحومها وجلودها، ولقد اشتهرت مدينة بلخ بدباغة الجلود وصناعتها، وكانت خوارزم مصدراً للفراء وسائر أنواع الوبر من السمور والفنك والوشق والسنجاب والثعالب، على أن مدينة مرو اشتهرت بالركب المروزية الشهيرة الأحذية والسراجة الكاعب والجعاب والمداسات التى اشتهرت بها عائلة الدغونى واختصوا بها، أما مدينة نيسابور فكانت تشتهر بصناعة السيور الجلدية والسراجة[١].

د - الصناعات الخشبية

أعتمدت هذه الصناعة على جذوع الأشجار وأغصانها، وذكر الجغرافيون أن خراسان كانت توجد بها غابات كثيفة من الأشجار فى القرون الأولى إبان الفتح الإسلامى، ولما كان الاستهلاك الكثير منها سواء فى الصناعة أو استخدامها كوقود للتدفئة، فقد استوردت خراسان خشب الساج الهندى وكان هذا النوع يعد أحسن ما يستعمل فى بناء البيوت، أما أثاث المنازل، فكان يصنع فى القرن الرابع من أخشاب غابات مازندران التى تتميز ببياض لونها المائل إلى الحمرة، ومع هذا كله فقد تفنن الصناع فى خراسان بصناعة الزخرفة الخشبية المحفورة والمنقوشة فى عمل التحف والأدوات والأوانى المنزلية، وأيضاً استخدم الخشب فى صناعات مختلفة، ولقد اشتهرت بلخ بصناعة الرماح، وخوارزم بصناعة النشاب والقوس والقسى وصناعة السيوف، ونيسابور بصناعة الصناديق والطرائف والتحف الخشبية[٢].

أما سمرقند فقد اشتهرت بصناعة الورق المعروفة فى ذلك الوقت "بكاغد سمرقند" وكانت هذه المدينة تعد من أشهر مدن خراسان وما وراء

---

١ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٠ . المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥ .

٢ - محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق القاهرة ١٩٦٥ . ص١٤٠ .

النهر بهذه الصناعة، فكانت الكواغد المصنوعة فى معاملها من أنعم وأحسن الورق، حتى كانت تضاهى الورق المصنع فى مصر من حيث الجودة والنعومة والكثرة، ومن أشهر الكواغد هى السليمانى نسبة إلى سليمان بن رشد ناظر بيت المال بخراسان فى عهد هارون الرشيد، والطلحى نسبة إلى طلحة بن طاهر بن الحسين والنوحى نسبة إلى الأمير نوح الأول من بنى سامان[١].

صناعات أخرى:

اشتهرت خراسان وبلاد وما النهر بصناعة الخزف والزجاج منذ زمن بعيد، وذلك لوجود المواد الطينية التى كانت تصلح لعجينة صنع الأوانى الخزفية، التى استطاع الفنان تشكيلها وحفرها كما يريد لتكون فى النهاية تحفة جميلة فى متناول الجميع وتوجد هذه الأوانى على أشكال مختلفة على هيئة كيزان وأدوات لحفظ الأطعمة والماء[٢].

أما الزجاج فقد ازدهرت أيضًا صناعته فى العصر الغزنوى ومنه كانت تصنع التحف المختلفة كالقوارير والزهريات وأكواب للاستعمال المنزلى أو لحفظ الزيوت والعطور، وقد اشتهرت طوس بصناعة الزجاج والأقداح والكيزان، كما تميزت مرو بهذه الصناعة وخاصة النوع الذى عرف بالمرى، أما نيسابور فكانت من أهم المراكز لصناعة الفخار ذى الزخارف والنقوش، كما كانت سرخس معروفة بصناعة الأوانى الخزفية والزجاجية[٣].

وأخيرًا اشتهر بعض مدن خراسان مثل بلخ ونيسابور وخوارزم وكش وولوالج بصناعة الأبخرة والأدوية والعقاقير والصباغة والعطور، فالنرشخى يذكر صناعة "القصارة" التى كانت تستخدم فى غسل الثياب وتبييضها، والصباغة لإعطاء الألوان الزاهية للمنسوجات، ويبدو أن عمال الصباغة

---

١ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٨٥.
المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٢٦ .
٢ - البيهقى: تاريخ، ص٦٨١ .
٣ - قحطان عبدالستار الحديثى: دراسات فى التنظيمات الاقتصادية لخراسان، ص١٣٢ .

والقصارة كانت لهم سوق خاصة بهم وكانوا يجيدون صناعتهم ويعد الأصناف المصبوغة فيها من إبداعهم، كما لبعض الصناعات دور خاصة ومؤسسات صناعية تضم معداتها وآلاتها ويعمل عمال متخصصون فى مختلف المجالات، فمثلاً مصانع النسيج كانت لها دار تسمى "دار الطراز" أو "دار الصناعة"، وعلى هذا الغرار يمكننا القول فى بقية المصانع الكثيرة كمعامل الصناعات الجلدية التى تحتاج إلى التجفيف والتقطيع والدباغة، والصناعات والمعدنية والصابون والسجاد والسفن وغيرها من الصناعات التى تتبعنا دراستها فى فصل الصناعات[1].

ثالثا: النشاط التجارى:

كان لموقع خراسان الاستراتيجى بين الأقاليم الإسلامية الأثر القوى فى الاستقرار السياسى والرخاء الاقتصادى فى المنطقة وذلك فى الفترة الممتدة بين القرن الثالث إلى السابع الهجرى / القرن التاسع إلى الثالث عشر الميلادى، ولما كانت خراسان تقع على طرق القوافل ومحطاتها التى تربط العراق وبغداد بالمراكز الرئيسية فى الشرق الأدنى ووسط آسيا وما يليها، فقد استفادت خراسان من هذه التجارة العابرة، وازدهرت مدنها بالبضائع والسلع التى كانت ترد إليها من جميع الأقاليم، حتى أصبح إقليم خراسان مستودعًا وسوقًا للتجارة بمختلف أنواعها.

(١) النشاط التجارى فى المشرق:

وكانت خوارزم تقع فى شمال خراسان التى تفد إليها من مناطق السهول والغابات السيبيرية والمنطقة الوسطى من نهر القوجلا بعض المواد التجارية كانت منها بضائع فاخرة مثل الفرو ولكن بعضها الآخر كان عاديًا مثل الجلود والشمع والشحوم والعسل، وهذه المنتجات كانت تأتى إلى خراسان ومن ثم توزع فى مناطق بلاد الإسلام وأهم هذه البضائع تجارة الرقيق إلى تبدأ من بلاد ما وراء النهر.

١ - النرشخى: تاريخ بخارى، ص٣٧ .

وكذلك كانت منتجات الشرق الأقصى تتكون من البضائع الفاخرة فى طبيعتها وكانت هذه البضائع تأتى من اسيا عن طريق القوافل تعانى المسافات الطويلة حتى تصل إلى أسواق خراسان، وقد كانت هذه الأنواع عظيمة القيمة لما فيها من البضائع ما خف وزنه وغلا ثمنه مثل اللؤلؤ والأحجار النفيسة والفرو والعنبر والعود وغيرها، وقد جمع يول كاله قدراً كبيراً من المعلومات عن الإنتاج وأهمية هذه البضائع بالنسبة للبلاد الإسلامية، ومنها سهولة الحياة فى بغداد والمراكز المدينة الأخرى خلال العصر العباسى مما يشجع على تلبية طلب المتاجر الفاخرة، وترفع من قيمة المتعهدين الذين كانوا يعدون هذه المتاجر ويتولون تنظيم القوافل التى تقطع مسافات طويلة وتتبع نظامًا دقيقًا فى التوزيع[١].

وفى أوائل القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى كان تجار نيسابور شركاء لتجار تمتد مناطقهم إلى بلاد البلغار فى الحوض الأوسط لنهر الفولجا، ولا شك فى أن هذه الاتصالات التجارية الوثيقة جعلت ملك البلغار أبا إسحاق إبراهيم ابن محمد التبر فى سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م يقدم على إرسال مقدار كبير من المال لإصلاح المساجد التى تقام فيها صلاة الجمعة فى سبزاور وخسروان ووجد فى واحات بيهق، ومن هنا فإن النهضة الاقتصادية والثقافية فى خراسان كانت جزئية وانعكاسًا لرخاء بلاد الخلافة عامة.

وبالإضافة إلى هذا المحور الشرق والغرب مع فروعه التى تمتد إلى خوارزم كان هناك طريق ثان لتجارة تسير من خراسان إلى كرمان وفارس والخليج العربى، وكان للكرمانيين فى نيسابور سوق خاص بهم مركزه بلد كرمان أو جيرفت وكانت هذه السوق مركزًا للاتصال وخاصة فى العصر السلجوقى فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل الثانى عشر عندما سكنت هناك جماعات من البيزنطيين والهنود[٢].

---

١ - البيهقى: تاريخ، ص٦٨٢ .

٢ - البيهقى: تاريخ، ٦٨٢ .

وبهذه الطريقة اتسع نطاق التأثير التجارى والاقتصادى لخراسان فى منطقة الخليج العربى كلها وقد لاحظ المقدسى العلاقات التجارية بين خراسان وبلاد العرب وقال: "إن بلدة قاين كانت مشهورة فى عمان"[١].

وفى أوائل القرن العاشر كانت عملة خراسان تعتبر عملة رخيصة فى العراق وبلاد الغرب (مصر والمغرب) ولكنها كانت ذات قيمة كبيرة فى رخاء خراسان فى عصور الدول المستقلة هذا ومع ازدياد تطبيق النظام الاقتصادى بقدوم القرن الحادى عشر، ارتفعت سمعة عملة نيسابور واتسع ميدان استعمالها.

ولذا عندما أراد الخليفة القائم أن يوجه ضربة للقوة الاقتصادية فى الدولة الفاطمية، أمر أن توقف العلاقات التجارية بين الدولة العباسية وبلاد المغرب، وبهذا الإجراء لم تعد دنانير نيسابورية تصل إلى هناك، وكذلك ليس للتجار القاشانيين والنيسابوريين والوسطاء من التجار وغيرهم الحق فى العمل هناك، إلا أن ناصر خسرو لاحظ وهو عائد إلى وطنه من الحج سنة ٤٤٣هـ/ ١٠١٥م. عن طريق الفلج واليمامة، أن الصفقات التجارية كانت تتم بواسطة الدنانير النيسابورية فى تلك المناطق، هذا ويصف الجغرافيون نيسابور فى النصف الثانى من القرن العاشر بأنها كانت مركزاً تجاراً عالميًا، ومقصد التجار من العراق ومصر، وأيضًا كانت محطة للتجارة مع خوارزم والرى وجرجان وفرضة التجارة لفارس والسند وكرمان وكان سكانها أغنى سكان خراسان[٢].

وهذا يعنى أن التجارة الإسلامية قد ازدهرت بازدهار إقليم خراسان ومدنها حتى بدت بهذه الصورة التى تحدثنا عنها فى منتصف القرن الخامس الهجرى وشهد بذلك الجغرافى ناصر خسرو الذى كان يعمل فترة من الزمن فى الإدارة الغزنوية ثم انتقل بعد ذلك مع سقوط خراسان فى العمل مع السلاجقة.

---

١ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٢١ .

٢ - ناصر خسرو: سفرنامة، ص١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) التجارة الداخلية:

وكان من سمات التجارة الخراسانية تلك الأسوق المحلية المتناثرة فى جميع أنحاء خراسان، فقد قام كل طائفة من التجار فى قسم معين من هذه الأسواق، فكانت توزع كل احتياجات الناس اليومية من المواد الغذائية الضرورية لهم، وقد ارتبطت هذه الأسواق ارتباطًا وثيقًا بالرساتيق والقرى. لما كانت تقدم الخدمات للمدن من توفير السلع والبضائع، لأن خراسان كانت تتمتع بصفات ممزوجة من الحياة المدينة والريفية فكانت الوحدة الرئيسية فيها هو الرستاق الذى كانت الممول الرئيسى للمدينة من المواد الغذائية المتمثلة فى الخضروات والفاكهة واللحوم وغيرها، وكان يعد الجغرافيون خراسان أربعة أقاليم وثلاثة عشر رستقًا، وكل رستاق كان يعتبر كيانًا فى حد ذاته وله لهجته الخاصة، ويحتوى على سوق مركزى ليس من الضرورة أن تكون كبيرة جدًا، كما كان للرستاق الأوزان والمقاييس الخاصة به[١].

وبالرغم من اختلاف وجهات النظر حول فكرة المعيشة كما رأينا فى كل من المدينة أو الرستاق إلا أن هناك تكاملاً وترابطًا وثيقًا بين المدينة والرستاق فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام، بحيث لا تستغنى الواحدة عن الأخرى لأغراض الازدهار والرفاهية.

ومن المدن التى اشتهرت بأسواقها مدينة "بلخ" وكانت أسواقها تحف بمسجد جامعها وهو معمور بالناس على مر الأوقات وتعاقب الأيام والساعات، كما اشتهرت بسوق الجمال التى كانت ذات شهرة بالنوق المتقدمة على سائر ما فى جنسها بصحة مراعيها وخلوص نتاجها، والبخاتى أشهر هذه النوق غير أن بخت سمرقند أصلب وأشد وأبدن من نوق بلخ ولا نظير لها فى جميع الأقاليم الأخرى[٢].

ومن أحسن الأسواق فهى خارج المدينة، وخير أسواقها سوقان:

---

١ - البيهقى: تاريخ، ص٦٨٢ .

٢ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٣ .

أحداهما تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة، وحولها الخانبارات والفنادق التى يسكنها التجار بتجاراتهم التى كان يتم فيها بينهم الصفقات التجارية، وكانت هذه الخانبارات والفنادق مبنية على نظام دورين، الدور العلوى لسكن التجار والدور السفلى كان كمخازن وخانات القوافل وكذلك يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصناع، كالقلانسيين والأساكفة والخرازين والحبالين إلى غير ذلك من أرباب الحرف الأخرى التى كان يخصص لها مكان فى هذه الفنادق المملوءة بذوى الصنائع منهم، أما فنادق البزازين هم الأكثر ثروة ومركز من المهن الأخرى، فكانت ساحات سوقهم ومخازنهم تستضيف تجاراً من كل البلاد الإسلامية وخاصة من مصر والعراق، الذين كان له وتعهدون فى مدينة نيسابور على مدار السنة[1].

وقد مدح المقدسى نيسابور بقوله هى خزانة المشرقين، متجر الخافقين، بضائعها تحمل إلى الآفاق، ولبزة نور وإشراق، يتجمل به أهل مصر والعراق، يجبى إليه الثمرات، ويرحل إليه فى العلم والتجارات، فهى فرضة فارس والسند وكرمان، ومطرح خوارزم والرى وجرجان[2].

إلا أن المقدسى كان له أيضًا انتقادات كثيرة على هذه المدينة، وإلا قد تأثر برخائها، فقد وصفها قائلاً " شوارعها قذرة، وخانات شعثة، وحمامات وضرة، وحوانيت منكرة، وجدارات وعرة قد عاندها البلاء، وخالطها الغلاء "[3].

وكانت البضائع - كما ذكرنا آنفًا - تباع فى أسواق مخصصة، فلكل بضاعة السوق الخاص بها، يقصدها من الناس، ولكل طائفة من التجار تعمل فى صنف معين - كالجلود أو التوابل أو الأقمشة - نقابة وتجمع النقابات كلها

١ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٢، ٣٦٣ .
٢ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣١٥ .
٣ - نفس المصدر: ص٣١٥ .

نقابة كبيرة تسمى "نقابة التجار"، يرأسها تاجر عظيم ذو مال الكثير يعرف باسم "الشاهبندر" وهذا الرجل كان دائما ذا مكانة مرموقة عند أهل الحكم والناس، فقد كان يتولى تزويد أهل الحكم بما يحتاجون إليه من البضائع وخاصة الغالية منها، وكان فى الوقت نفسه يقوم بخدمة النقابة بالوساطة عند أهل الحكم لرفع الظلم وتخفيف وطأة رجال الإدارة، وكان يساعد "الشاهبندر" عدد من التجار يتولون معه تصريف الأمور الخاصة بطائفة التجار، وهؤلاء هم الذين كان الناس يلجأون إليهم للسؤال عن التجار الأجانب ومراكزهم وقدراتهم المالية ومستواهم الخلقى فى المعاملة وما إلى ذلك . وكان هذا النظام موجوداً فى العالم الإسلامى، وبفضله نشطت التجارة وتشجع التجار على البيع وراء اكتساب ثقة التجار وحسن ظنهم، ولم يكن يمد يده إلى أموال التجار إلا حاكم قصير النظر، وكانت نقابات التجار هذه تبدو على أوضح صورها فى الخانيارات كما رأينا، حيث كانت النقابة قد جعلت من مهمة هذا المركز إنشاء لمخازن للبضائع وإقامة الحراس عليها، وتوفير السكن والإقامة للتجار التى كانت تسهل لهم الصفقات التجارية فيما بينهم(١).

وكان إقليم خراسان إقليماً منتجًا وافر النشاط، وشاهدت مدنها رخاء كبير فى تنظيم التجارة وجذبها للتجار من كل الآفاق، ولو أن النظم الإدارية منه كانت أصلح مما كانت لتضاعف إنتاجه واتسع نطاق الصناعة والتجارة فيه، وقد أنتج الصناع الخراسانيون فى كل ميدان تقريبًا، ولم يقصر التجار ما بين صغار وكبار فى توسيع مدى معاملاتهم التجارية، وعرفوا كيف ينظمون أمورهم المالية فيما بينهم دون حاجة إلى تدخل السلطات، فتعاملوا بالبيع نقداً ومؤجلاً، وعرفوا "السفاتج" وهى التى نسميها اليوم "الكمبيالات"، و"الصكوك" التى نعرفها اليوم باسم "الشيكات"، بل أن لفظ (Chek)، الإفرنجى محرف عن لفظ "صك" العربى، وعرفوا خطابات الضمان

---

١ - حسين مؤنس: عالم الإسلام، القاهرة، ١٩٧٣، ص٣٣١، ٣٣٢ .

والحسابات المفتوحة وغير ذلك من صور التعامل المالى، وإن لم يعرفوا المصارف أى البنوك، لأن المصارف لا يمكن أن تقوم إلا برعاية الدولة وضمانها، وكانت ثقة التجار فى دولهم قليلة، لأن رجال الدولة كانوا طامعين فى أموال التجار دائما، جديرٌ بالذكر أن المصارف فى البلاد الأوروبية كانت مؤسسات فردية، ولم تكن تقوم بعمليات واسعة النطاق، وإنما كان يقام فى كل سوق منضدة كبيرة يجلس حولها الصرافون للقيام بالعمليات المالية، وهذه المنضدة هى أصل البنوك الحالية، لأن الراغب فى المعاملة مع الصرافين كان يجلس على كرس طويل أمام المنضدة عرف باسم (Bank). وهذا هو أصل البنوك والمصارف، ولم تكن عمليات الصرف فى الأسواق الإسلامية تختلف كثيراً عن ذلك، ولكنها تطورت فى الغرب تبعًا لتطور لظروف السياسية العامة، فى حين أنها لم تتطور فى بلاد المسلمين لوقوف الأنظمة السياسية عن التطور(١).

وكان التجار ينظمون أمور التعامل فيما بينهم، فيضمن بعضهم بعضًا فى بضاعة أو قرض أو دفع مؤجل وما إلى ذلك، وتتولى النقابات تقديم الضمان اللازم إذا كان التجار من ذوى الأمانة المعروفة، وفى أحيان كثيرة كان التجار يعقدون معاملات مالية ذات حجم كبير، وكل منهم يعيش فى بلده بعيداً عن الآخر، ومع أن الجغرافيين يذكرون أمثلة على ذلك وأنه أمر غير عادى، فإنه فى الحقيقة كان شيئًا عاديًا بين كبار التجار، فإنهم كانوا يرسلون البضائع الكثيرة لتباع على ذمة التجار فى البلاد البعيدة، ويحتفظ لهم بالثمن عند أصحابهم من التجار حتى يستطيعوا التصرف فيه، وعن طريق التعاون والائتمان هذا استطاع تجار المسلمين أن يقوموا بعمليات واسعة النطاق دون حاجة إلى نقل الذهب والفضة من مكان إلى مكان(٢).

---

١ - آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ص٣١١، ٣١٢.

٢ - حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٣٣٠.

(٣) التجارة الخارجية طرقها ومراكزها:

وعلى ضوء هذا الازدهار التجارى فى العصر الغزنوى نجد أن خراسان كانت مركز الطرق الرئيسية التى كانت تعبر منها القوافل فى حمل البضائع بينها وبين الدول المجاورة وهى الطرق الرئيسية التى روجت منها تجارة الدولة ومن أشهر هذه الطرق:

أولاً: الطريق التجارى من شمال روسيا إلى الشرق عن طريق بحر قزوين ومنه تنقل التجارة إلى مرو فبلخ وبخارى وسمرقند ببلاد ما وراء ومنها إلى الصين، ويحمل التجار المسيحيون الذين يستعملون هذه الطريق جلود الخز وجلود الثعالب والسيوف والشمع والعسل والشحوم، وقد ازدادت أهمية هذا الطريق منذ أن دخل أهل البلغار إلى الإسلام فى أوائل القرن الرابع الهجرى، وعقدوا مع الولايات الإسلامية وخاصة خراسان تلك التجارات العظيمة حتى أرسل ملكهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التبر معونة مالية لإصلاح المساجد فى واحات بيهق كما أسلفنا، وكذلك يرجع ازدهار هذه الطرق إلى العهود السابقة والجهود التى بذلها السامانيون فى خراسان وما وراء النهر للمحافظة على الأمن والنظام فى هذه البلاد، ومع دخول خراسان فى حوزة الغزنويين والفتوحات التى حققها السلطان محمود وخلفاؤه فى الهند أصبح هذا الطريق أهم شريان تجارى بين العالم الإسلامى وبلاد الهند[١].

ثانيًا: الطريق التجارى الذى يسير من المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند متجهًا داخل فارس مارًا بولاية سجستان وإلى الشمال من هذا الطريق كانت قوافل البنجاب تنقل مقادير كبيرة من البضائع عبر هضاب أفغانستان، وتوصلها إلى كابل وغزنة وغيرهما. ومن هناك كانت القوافل تسير نحو خراسان غربًا وبخارى شمالاً . وكان ملوك الهند يحسنون معاملة التجار العرب، وانتشرت الجاليات العربية فى بعض مدن الهند. لذلك نشطت الحركة التجارية فى الملتان والديبل والديبل وكانت الملتان والديبل من أهم مراكز

---

١ - محمد جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق، ص١٤٩ .

التجارة فى الدولة الغزنوية فكان العرب فى الديبل يتبادلون البضائع مع التجار الهنود الذن يجلبون سلعهم من داخل الهند أو من المدن المجاورة، وكانت الملتان مركزاً هاماً للتجارة مع الأقاليم الداخلية فى الهند لأن فيها معبداً يقصده حجاج الهند من داخل البلاد(١).

ثالثًا: الطرق البرى من أوربا إلى المشرق، ويبدأ من الأندلس ويمر ببلاد المغرب حتى مصر، ثم يتجه إلى بلاد الشام، ومنها إلى العراق ففارس ماراً بالأهواز ثم إلى كرمان والهند والصين.

رابعًا: الطريق البحرى من أوربا إلى الشرق عن طريق مصر، ويقوم به فى كثير من الأحيان تجار من اليهود، وكان لهم مدينة بالجوزجان وكانت تسمى اليهودية وكانت مقتدرة جامعة للبضائع والتجارة وهؤلاء اليهود يأتون من مقاطعة بروفانس، ومن أكبر المنافسين للتجار المسلمين بفارس، كانوا يتكلمون عدة لغات مثل العربية والفارسية والرومية والفرنسية والصقلبية، ويجلبون من غرب أوربا الجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز(٢) والفراء والسيوف، وكانت رحلاتهم تبدأ من بروفانس، وترسوسفنهم عند الفرما، ويحملونها على الدواب إلى القلزم،ومنها تنقل عبر البحر الأحمر إلى السند والهند والصين ويعود التجار من رحلتهم محملين ببضائع المشرق مثل المسك والعود والكافور إلى القلزم، ومنها إلى الفرما أو الإسكندرية ثم إلى بروفانس، ويقصد بعضهم أحيانًا القسطنطينية(٣).

وثمة عامل آخر كان له وزنه فى انتشار الإسلام بين الأتراك الشرقيين، ونقصد به التجارة وقد لعبت التجارة فى هذا الميدان دوراً بارزاً إذ المعروف أن الاحتكاك التجارى بين مناطق البدو وأماكن الاستقرار احتكاك طبيعى، فالبدو الترك كان ينظرون إلى البلاد المستقرة المزدهرة نظرة إكبار، وهى موردهم

١ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٥.
عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٧٨.
٢ - ابن الفقيه الهمذانى: البلدان، ص٢٧٠.
٣ - محمد جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص١٤٩.

الطبيعى للمنسوجات أو غيرها من المنوعات التى لا تتوافر فى البيئات البدوية، ومناطق الاستقرار بدورها تتطلع إلى مناطق البداوة على أنها مورد طبيعى للمادة الخام والثروة الحيوانية(١).

وقد بدأ هؤلاء البدو أول الأمر يقبلون على أسواق المسلمين فى خراسان وبلاد ما وراء النهر ويألفون البضائع الإسلامية ويعتمدن عليها وتزداد حاجاتهم إليها باستمرار، وكان هؤلاء البدو يقودون قطعانهم إلى المدن الواقعة على الحدود دون انتظار رحيل التجار منها وكانت تسترعى انتباههم الأعشاب الطويلة على ضفاف الأنهار يأوون إليها زمن الشتاء(٢).

وهذا القول يصدق على خانات الأتراك الشرقيين وطريقة دخولهم فى الإسلام، فقد أعجبوا أول الأمر بأحوال المسلمين وحاصلاتهم وصناعاتهم وأتبعوا ذلك بالإعجاب بدينهم، ويبدو أن التجار المسلمين مع الصلات التجارية المتبادلة معهم، قاموا بدعوتهم إلى الإسلام، فاهتدى بعضهم بالدخول إلى، وليس من شك فى أن الدعوة إلى الإسلام والعلاقات الإنسانية بين المسلمين وهؤلاء الأتراك كانت تمضى جنبًا إلى جنب وتعمل على ازدهار حركة النشاط التجارى فى تلك المناطق(٣).

كان التجار المسلمون من الأتراك يحملون المنتجات الإسلامية إلى اتجاهات متعددة عبر المسالك التى فتحها الصغد قبل، وكانت أهم هذه الطرق تلك المؤدية إلى بلاد الصين ومنها تفرعت شمالاً إلى ديار الأتراك الشرقيين، وكانت المسافة بين طالاس وديار الكيماك مسيرة أحدى وثمانين يومًا.

وكان هنالك طريق آخر من إقليم ترخان حتى القرغيز والى حوض نهر نيس الأعلى، وتحفل المصادر الإسلامية بالمعلومات عن الطريق المؤدى إلى

---

١ - المستشرق الروسى و. بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان مراجعة إبراهيم صبرى، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨ . ص١٢ - ١٧ .

٢ - حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٧٤ .

٣ - حسن أحمد محمود: نفسه.

القرغيز، وتتفق هذه المعلومات إلى حد كبير مع ما ورد فى النقوس الصينية ونقوش أرخون، ويبدو أن العرب اهتموا بهذا الطريق البرى اهتمامًا عظيمًا ولهذا أفاض الجغرافيون العرب فى وصفه والإشارة إليه[١].

وقد وضحت سيطرة المسلمين على هذه الطرق التجارية منذ تمكن العباسيون من هزيمة الصين، وتشير الوثائق الصينية إلى أنه فى القرن الرابع الهجرى، نفذ التجار شرقًا حتى منغوليا، وكان فى إمكانهم أيضًا الوصول إلى بلاد الكيماك على طريق آخر من المجرى الأدنى لنهر سيحون، وكان هذه المناطق خارج نفوذ السامانيين ولكن المهاجرين من الأقاليم الإسلامية، أقاموا بها المراكز الصناعية، وكان هؤلاء المهاجرين من خوارزم الذين جنوا أرباحًا طائلة عن طريق التجارة مع هؤلاء البدو، وإذا كان هؤلاء التجار المسلمون قد استطاعوا أن يرفعوا المستوى الحضارى لدى الأتراك الشرقيين فإنهم أثاروا إعجاب هؤلاء البدو بالعقيدة الإسلامية[٢].

ومع نجاح الدعوة الإسلامية بين الأتراك الشرقيين يجب ألا نفعل عامل الهجرة فقد كانت الهجرات تتجه باستمرار من أقليم ما وراء النهر إلى مناطق البداوة وطن الأتراك الشرقيين وكان هؤلاء المهاجرون أكثرهم من عنصر الصغد الذى عرفوا بهذا النشاط، ولم يقطع الإسلام هذه الصلات بل استمرت هجرات الصغد بعد إسلامهم، وأخذوا يجتازون حدود ما وراء النهر باستمرار، وكانوا يؤسسون مدنًا أو مراكز سكنية خاصة بهم تنتشر خارج الأقاليم للقيام بعمليات المبادلة التجارية[٣].

وكان الأتراك كثيراً ما يحتكون بهذه التجمعات السكنية التى انتشرت على حدودهم، وكانت الدولة فى بعض الأحيان تجيز لبعض القبائل التركية عبور مناطق الحدود، وقد سمحت لبعض قبائل الأوغور بالمرابطة فى مناطقة

١ - ابن خراداذبة: المسالك والممالك، ص٢١ - ٢٩، ٣٤ - ٤١ .
٢ - حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، ص١٧٥ .
٣ - بارثولد: تركستان، ص٢٥٤ .

الرعى من إقليم ما وراء النهر فى مقابل التعهـد بحماية الحدود، كما سمحت لفريق التركمان بزعامة سلجوق بن دقـاق بالإقامة عند الأطراف الشمالية لنهر سيحون، ثم انحدروا إلى الحدود الخراسانيـة فى عهد السلطان محمود وطلبوا منه الإقامة فى الإراضى الواقعة بين نساوابيـورد وفراوة لوجود المراعى الخصبة هناك .

وكانت نتيجـة هذا الاحتكاك التقارب الكبير بين سكان المجـتمعات من المهاجرين وبين الأتراك الشرقيين الذى دخلوا الإسلام وقبلوا الدعوة الإسلامية من هؤلاء التجار الذين سعوا إلى تقريب الإسلام إلى هؤلاء بمعاملتهم الحسنة وعلاقتهم الطيـبة، وليس من قبيل المصادفات أن تكثر هذه المجـتمعات خارج بلاد ما وراء النهر فى العصر السامانى، فهو العصر الذى تدفقت فيه التجارات وتبودلت فيه الـبضائع بين تلك المناطق والدولة الغزنوية بعد العـلاقات الطيبة بينها وبين القراخانيين وهم من الأتراك الشرقيين[١] .

ويبدو أن السامانيـين والغزنويين كانوا قد وصلوا بالحيـاة الاقتصادية فى خراسان ومـا وراء النهر فى القرنين الرابع والخامس الهـجريين إلى درجة من الازدهار لم تشـهده المنطقـة من قـبل، وقد أشـار المقدسى بدوره فى عـرض الصادرات والواردات لكل الأقاليم المحيطة بخراسان وهى تلك التجارات التى كانت كل البلـدان فى حاجة إليـها، وقد صـرح المقدسى عن هذه التـجارات بقوله: وأمـا المتجرات فـترتفع من نيـسابور ثياب البـيض الخفيـفة والبيـباف والعمائم الـشهجانية الحـفية، والملاحم بالقز والصـمت والعتابى والسيـعيدى والظرائفى والمشطئ والحلل وثياب الشعر والغـزل المرتفع والحديد وغير ذلك، ومن نساوابيـورد القز وثيابه والسمـسم ودهنه وثياب الزنبفت ومن نسـا ثياب البنبوزية وفرى الثعالب والبزاة ومن طوس البرام الفائقة والحصر والحبوب ومن هراة البزاكثير وديباج والزبيب الطائفى والعنجد الأخضر والأحمر والفستق من مرو الملاحـم ومقانع القـز والإبريسم والقطن والبـقر والجبن والبزر والـنحاس

---

١ - حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، ص١٧٦، ١٧٧ .

ومن سرخس والجمال ومن سجستان التمور والزنابيل والحبال من الليف والحصر ومن بلخ الصابون والسمسم والأرز والجوز واللوز والزبيب والعنجد والسمن والعسل والتين ولب الرمان والزاج والرصاص والزرنيج والأبخرة[1].

أما واردات خراسان فهى من ترمذ الصابون والحلتيث، ومن ولوالج السمسم ودهنه والجوز واللوز والفستق والأرز والحمص والسمن والقرون وجلود الثعالب، ومن بخارى الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش الفندقية وصفر المناير والطبرى وحزم الخيل تنسج فى المحابس، وثياب أشمونى والشحم وجلود الضأن ودهن الرأس، ومن كرمينية المناديل ومن دبوسية ووذار ثياب الوذارية وهى ثياب على لون المصمت وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان، ومن ربنجن أزر الشتاء من اللبود الحمر ومصليات وطاسات اسبيدورى والجلود ومرير القنب والكبريت، ومن خوارزم السمور والسنجاب وقاقون وفنك ودله والثعالب وخزبوست وخركوش ملون وبزبوست والشمع والنشاب والتوز والقلانس وغرا السمك وأسنان السمك وخزميان وكهروا والكيمخت والعسل والبندق وأبوز والسيوف والدرع والخلنج والرقيق من الصقالبة والأغنام والبقر كل هذا من بلغار، ويرتفع منها عناب وزبيب كثير وملابن وسمسم وبرود وفروش وثياب اللحف وديباج بيشكش وقانع ملحم وأقفال وثياب آرنج ويحمل من سمرقند ثياب سيكون والسمرقندية والقدور العظيمة من النحاس والقماقم الجياد والأخبية والركب والحكمات وسيور، ومن دزك اللبوك والجياد والأقبية منها، ومن بناكث ثياب تركستان، ومن الشاش سروج الليمخت الرفيعة والجعاب والأخبية وجلود تجلب من الترك وتذبغ والأرز والمصليات والبنيقات والبرز والقسى الجيدة وأبر والقطن يحمل إلى الترك والمقاريض ومن سمرقند أيضًا ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تسمى ممرجل وسينيزى وقز كثير وثياب البندق والجوز ---، ومن فرغانة وأسبيجاب الرقيق من الأتراك مع الثياب

١ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٢٣ .

البيض والات السلاح والسيـوف والنحاس والحديد، ومن طراز بزبوست ومن شلجى الفضـة ومن تركستان إلى هـذه المواضع تخرج الخيل والبغـال وكذلك من الختل ---، وبطيخ مرو الكبير، ولا نـظير لحملان بخارى وجنس بطيخ لهم يسمى الساف ولا لقسى خورازم وغضائر وكاغذ سمرقند(١).

(٤) المعاملات التجارية:

كـان أساس المـعامـلات الماليـة فى خـراسان الديـنار الذهبى والدرهم الفـضى، والوزن الأساسى للدينـار مثـقال من الذهب الخـالص، أى ٤,٢٥ جرامات، وكان وزن الدرهم مثقالاً أيضًا ولكن مـن الفضة، والنسبة بين قيمة الدينار وقـيمـة الدرهم هى النسبـة بين قيـمتى الذهب والـفضة، وكـان من الطبيعى أن تختلف هذه النسبة بحسب ما كان فى كل من الدرهم والدينار من الفضـة والذهب الخالصين، فـأما الدنانير فمـا كان الناس يقبلون فى عـيارها الذهبى أى نقص، فـإذا نقص وزن الدينار حـبه واحـدة عـدوه زيفًا وأخـذه الصيـارفة بنسبـة ما فيـه من الذهب ولم يقبلوه على أنه دينار أصـلاً . وكان أولئك الصيارفة يعرفون الذهب وعياره بنظرة واحدة أو بحكة بمبرد دقيق، ولم يكن الناس يشترون الدنانير للتعامل بها للإدخال، فيما عدا الخلفاء والسلاطين وكبار رجال الدولة، ولهذا لم تكن الدنانيـر جارية فى الأوسواق للتعامل وإن كانت أساس النظام النقدى(٢).

أما المعاملة الجارية فكانت بدراهم الفضة، والفضة لا تحتمل التداول فى الأيدى إلا إذا خلط بهـا معدن آخـر كالنحـاس أو البرونز، ولهـذا فقـد كان المفروض أن الدراهم - حتى أعـلاها عياراً - ليست صافيـة، وكان العرف أن الفـضة لا بد أن تمثل ٧ / ١٠ من الوزن الصـافى للدرهم، ولهـذا فلم تكن نسبة قـيمة الدرهم إلى الدينار هى نسبة قـيمة المعدنين النفيسـين أحدهما إلى

١ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٢٣ - ٣٢٤ .

٢ - أحمد بن يحـيى بن جابر البغدادى الشـهير بالبلاذرى، النقـود العربية وعلم النميـات عنى بنشره الأب أنستاس مارى الكرملى
البغدادى، القاهرة، ١٩٣٩، ص٢٥، ١٠٧ .

الآخر، بل اختلفت بحسب ما فى الدرهم من الفضة وفى أول الأمر قدروا الدينار الصحيح بأربعة عشر درهما صحيحًا، ثم نقصت قيمة الدراهم الجارية فى المعاملات حتى وصلت نسبة الدرهم إلى الدينار إلى ١ : ٢٤، وكان هذا هو العرف الجارى إلى أواخر القرن الرابع الهجرى، ثم انفرط العقد وهبطت النسبة إلى ١ : ٤٠، وربما أكثر، وأخذت الفضة الصحيحة تختفى من التعامل، ولم تبق إلا الزيوف[١].

وفى عهد الغزنويين الأوائل وجريا على النظم والأعراف المتبعة فى الدولة التى قامت فى خراسان وبلاد ما وراء النهر سك السلطان محمود عندما قائدًا عسكريًا فى نيسابور الدنانير الذهبية والدراهم الفضية باسمه، وقد اعتبر توماس الدراهم السامانية ٥٠ - ٥٥ حبة، حيث كان وزن الدراهم السامانية ٤٥ حبة، أما الدنانير الغزنوية فتبدو أنها كانت على نمط العملات الموجودة فى المنطقة ولم تطرأ عليها أى زيادة أو نقصان فى الوزن المتفق عليه حسب الأنظمة والأعراف المتبعة فى تلك الدول المحيطة بالدولة الغزنوية[٢].

هذا وقد عرف المسلمون فى خراسان وبلاد ما وراء النهر كل صور التعامل المالى التى ظهرت فى العصور الحديثة ولكن فى صورة بدائية وغير منظمة تنظيمًا تامًا، فكان الصراف فى السوق يقوم بالكثير من أعمال البنوك الحالية، إذ يقوم بتغيير العملة سواء كانت محلية أم أجنبية، ذهبية أم فضية، وكان العادة أن التاجر إذا دخل السوق أودع ما معه من المال لدى أحد الصرافين وأخذ بدلها رقاعًا أو أوراقًا عليها طابع (ختم) الصراف يسجل منها الحد الأقصى الذى يستطيع التاجر أن يتعامل به، وبهذه الرقاع يشترى ما يريد ويعطى البائع منها ما يساوى قيمتها. ويذهب الناس بهذه الرقاع إلى الصراف ليأخذوا قيمتها النقدية، وكان الناس يفعلون ذلك تفاديًا لحمل مقادير كبيرة من العملة فى أثناء وجودهم فى السوق وترضهم للصوص فى الزحمة، وكذلك

١ - حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٣٣٧ .

٢ - حسن إبراهيم حسن: تاريخ، جـ٤، ص١٠٠ .

ليوفروا الوقت الذى يضيع فى فحص العملة للتأكد من سلامتها فى كل حالة الشراء، وفى آخر مدة السوق يعمل التاجر حسابه مع الصراف ويأخذ المتبقى له أو يدفع الزائد عليه وهذه أشبه بعمليات "خطابات الضمان"[١].

وكان "الجهابذة" - جمع جهبذ[٢] - أوسع ثروة وأقدر من الصرافين على القيام بالمليات المالية الكبيرة المعقدة، وكان بعض التجار يودعون لدى الجهبذ عشرات الألوف من الدنانير ويأخذون عنها رقاعا يتعاملون بها على مدى طويل، وفى بلاد شتى، وكان الجهبذ يقوم بعملياته فى بيته أو دكانه، حيث يعمل فى خدمته كتبه وحاسبون، وتوجد عنده خزائن، أما الصراف فكان يجلس على منضدة فى السوق، ومعنى ذلك أن "الصراف" كان أدنى مرتبة من "الجهبذ"، ومن الممكن اعتبار الجهبذ مؤسسة مالية تقوم بعمليات واسعة المدى وترتبط بمؤسسات مماثلة فى بلاد أخرى، ويقوم بين هذه المؤسسات نظام متعارف عليه فى الصرف والدافع، فكان التاجر يشترى فى نيسابور مثلاً ويدفع الثمن فى البصرة أو القاهرة عن طريق "الجهابذة".

وكان الجهابذة يقومون فى بعض الأحيان بالعمليات المالية للأمراء وكبار الحكام والأغنياء، ممن كان من العسير عليهم أن ينقلوا مبالغ مالية كبيرة من مكان إلى مكان أو يحتفظوا بأموالهم فى بيوتهم خوفًا من اللصوص أو رجال السلطة، فكانوا يكتبون "رقاعًا" (أى أوامر صرف) بأى مبلغ، فيقبض الناس قيمتها من "الجهبذ" فى المكان الذى يحدد فى الرقعة ثم يسوى الرجل حسابه مع الجهبذ فيما بعد، وكان الجهابذة يقومون بمهمة الوكلاء الماليين لكبار التجار والولاة، فكان التاجر إذا أراد السفر أخذ معه "سفتجة" (أى خطاب ضمان) يبين فيها المبلغ الذى يستطيع التاجر التعامل فى حدوده. وبهذه "السفتجة"

---

١ - حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٣٤٠، ٣٤١ .

٢ - جهبذ: كلمة معربة، أصلها الفارسى جهبذ، والجهبذ الناقد العارف بتميز الجيد من الردئ، وتأتى أيضًا بمعنى الصراف الماهر، وكانت مهمته الإشراف على المسكوكات فى الدولة ودور الضرب بها.

(انظر أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص٤٦ . فرهنك وأثره هاى فارس درزبان عربى، جمع محمد على إمام شوشترى، ص١٨٤، تهران ١٣٤٧ هـ.ش .

وفى حدود مبلغها، يستطيع التاجر أن يشترى ما يشاء على أوراق بقيم ما يشترى، ويتولى التجار تسوية الحساب مع الجهبذ فيما بعد، وكان ذلك كله يتم بضمان من نقباء التجار فى كل بلد، وقد اعتمد الرحالة الفارسى ناصر خسرو (ت حوالى ٤٥٢هـ) فى رحلاته على خطابات ضمان كتبها تجار من أصدقائه إلى وكلائهم فى بلاد بعيدة ليدفعوا له ما يحتاج إليه من المال[١].

المكاييل والأوزان:

من الألفاظ التى استعملت فى ديوان الضياع والنفقات واستخدمت فى قياس المسافات هى الأشل: وهو ستون ذراعًا طولا. ثم الجريب وهو أشل فى أشل ومعناها ذراعًا طولاً فى مثلها عرضها يكون تكسيرها ثلاثة الاف وستمائة ذراع مكسرة، والذراع المكسرة أن يكون مقدار طولها ذراعا وعرضها ذراعا[٢].

الجريب:

من المكاييل التى استخدمت فى خراسان الجريب، وكان يختلف عياره من مدينة إلى أخرى وهو عشرة أقفزة، فأما قفيز قصبة نيسابور فهو سبعون منا حنطة، وقفيز أريافها منوان ونصف والجريب على هذا خمسة وعشرون منًا، وفى بعض رساتيقها القفيز كان منا والجريب خمسة عشر منًا.

وكذلك الجريب فى بعض المدن الخراسانية كان يسمى جفت وار، كما أورده البيهقى عند حديثه عن أملاك أستاذه أبى نصر بن مشكان، وقد كان ثمن الجفت وار من الأرض فى قرية محد آباد ألف درهم للأرض غير

١ - الدكتور حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٣٤١، ٣٤٢ .

الدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف: دراسات فى النقود الإسلامية - العدد الثانى عشر (١٩٦٤ - ١٩٦٥) المجلة التاريخية المصرية - ١٠٦ .

٢ - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى: مفاتيح العلوم، الطبعة الثانية - القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

حسن أنورى: اصطلاحات إيوانى دوره غزنوى وسلجوقى- تهران - مهرماه ١٣٥٥ هجرى شمس ص٢٧٠ .

المزروعة، أما إذا كانت عامرة بالشجر والزرع فالجفت وار بثلاثة ألف درهم، ثم تدهورت هذه الأسعار أثناء الحروب التى اندلعت فى خراسان مع قدوم السلاجقة إلى أن وصل سعر الجفت وار إلى مائتى درهم، ثم احتاج صاحبها مع التدهور الاقتصادية فى خراسان إلى بيعها بمن من القمح فلا يجد من يشتريه[1].

القفيز:

فهو عشر الجريب وهو ثلاثمائة وستون ذراعًا مكسرة والعشير عشر القفيز وهو ست وثلاثون ذراعًا مكسرة، والفقير فى الأقطار الإسلامية كان يختلف باختلاف البلدان، فالقفيز هو مكيال يسع ثمانية مكاليك والقفيز الحجازى هو الصاع، وقيل إن عمر بن الخطاب قد صغر الدرهم وكبر القفيز، وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند، وترزق عليه الذرية طلبًا للإحسان إلى الرعية.

أما مكيال أهل خوارزم وطخارستان فكان السمخ، وعياره أربعة وعشرة منًا وهو قفيزان، ولأهل نسف مكيال يسمى أيضًا الغار وهو مائة قفيز والقفيز عندهم عياره تسعة.

أمنان ونصف[2]:

ومن الأوزان التى وردت فى ديوان الخزانة ما يأتى:

الدانق:

أربعة طهاسيج والدينار أربعة وعشرون طسوجًا والطسوج ثلث ثمن مثقال.

---

١ - الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٤٤ .

البيهقى: تاريخ البيهقى، ٦٦٩، ٦٧٠ .

حسن أنورى: اصطلاحات ديوانى دوبرة غزنوى وسلجوقى ص٢٧١، ٢٧٢ .

٢ - الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٤٤، ٤٥ .

محمد ضياع الريس، الخراج والنظم المالية لدولة الإسلامية - دار الأنصار - القاهرة - الطبعة الرابعة - ١٩٧٧، ص٣٠٨ .

الحبة:

هى سدس سدس مثقال وإن شئت قلت ربع تسع مثقال، والدينار ست وثلاثون حبة، أما الشعيرة فهى ثلث الحبة والدينار مائة وثمان شعيرات والشعيرة ثلث ربع التسع مثقال.

مثقال:

المثقال يوازى درهمًا ودانقين ونصف، والدانق ٢٤ قراط[1].

الرطل:

وهذه الكلمة مأخوذة من الكلمة Litre اليونانية ويقابلها Libra فى اللاتينية، وقد اختلف وزنه باختلاف الأماكن والمواضع فى العالم الإسلامى. والرطل كما هو معروف إثنتا عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهما، فإذا ضربنا ١٢ × ٤٠ نجد أن سعر الرطل بالدراهم يكن أربعمائة وثمانون درهما[2].

المن:

المن من الأوزان التى استخدمت فى العصر الغزنوى، وقد جاء عند الخوارزمى الرطل نصف المن، والمن وزنه مائتان وسبعة وخمسون درهمًا وسبعة دراهم، وبالمثاقيل مائة وثمانون مثقالاً، وبالإوقيات وعشرون أوقية.

أما المن واستخدامه فى الحياة العامة فقد ورد عند بعض العلماء مثل الغزالى الذى وجد أن كل أربعة أرغفة من الخبز كانت تزن منا، وكذلك لاحظنا فى السنوات الأخرية من الحكم الغزنوى فى خراسان أن ثمن المن من الخبز قد وصل إلى ثلاثة عشر درهما، على أن المواد الغذائية كانت فى غابة

١ - الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٤١، ٤٢ .
حسن أنورى: اصطلاحات ديوانى، ص٢٧٢ .
٢ - أحمد الشرباصى: المعجم الاقتصادى الإسلامى - دار الجيل - بيروت - ١٩٨١، ص١٩٥ .
حسن أنورى: اصطلاحات ديوانى، ص٢٧٣ .

الأهمية وأغلى من الأرض كما رأينا أن سعر جفت وار من الأرض وصل إلى سعر المن من القمح ولكن لا يجد من يشتريه[1].

وهذا وهناك مقاييس أخرى استعملت فى الأطوال والأبعاد مثل الميل والفرسخ والبريد والمنزل، واستخدمت هذه المسافات فى الطرق التجارية بين كل مدينة وأخرى ورأينا ونحن نتكلم عن النشاط التجارى أن نلقى الضوء على بعض منها:

البريد:

كلمة فارسية وأصلها بريدة أى مقطوع الذنب، فعربت الكلمة وخففت بعد ذلك حتى أصحبت: بريد. ويذكر ياقوت: حكاية تفسر كيف سميت خيل البريد بهذا الاسم تقول "بعض ملوك الفرس تعوق عنه رسل بعض جبهات مملكته، فلما جاءته الرسل سألها عن سبب بطئها، فشكوا مما مروا به من الولاة، وأنهم لم يحسنوا معونتهم، فأحضرهم الملك وأراد عقوبتهم فاحتجوا بأنهم لم يعلموا أنهم رسل الملك، فأمر أن تكون أذناب خيل الرسل وأعرافها مقطوعة لتكون علامة لمن يمرون به، ليزيحوا عللهم فى سيرهم فقيل: بريد أى قطع، فعرب فقيل خيل البريد.

وقيل البريد الرسول، وإبراده إرساله، كما قيل لدابة البريد، لسيرها فى البريد قال الشاعر:

وإنى أنص العيش، حتى كأننى، عليها بأجواز الفلاة، بريد

وكان يقدر مسافة البريد فى البادية باثنى عشر ميلاً، وبالشام وخراسان بستة أميال[2].

---

١ - الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١١ .
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١ .
٢ - الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٤٢ .
ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص٣٥ .

الفرسخ:

اختلف الجغرافيون فى أصل الكلمة، فقال قوم: هو فارسى معرب وأصله فرسنك، وقال اللغويون: الفرسخ عربى محض . فلذا يقال: انتظرتك فرسخًا من النهار أى طويلاً .

والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذارع، الفرسخ إثنتا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعًا والإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض[١] .

الميل:

الميل ثلاثة ألاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاثة أشبار، والشبر ستة وثلاثون إصبعًا، والميل جزء من ثلاثة أجزء من الفرسخ، وأما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر ومنتهاه، فسمى الميل ميلاً لأنهم كانوا ينصبون على الطريق أميالاً، لأنها بنيت على مقادير مدى البصر من الميل إلى الميل، وهذه البنية كانت على ارتفاع عشرة أذرع أو قريبًا من ذلك لتكون واضحة للمرئى من بعيد[٢] .

وكان لازدهار الحياة الاقتصادية فى خراسان أثره فى ازدهار الحياة الاجتماعية التى عاشها سكان خراسان، وهذا موضوع الفصل التالى.

---

١ - ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١ ، ص٣٥، ٣٦ .

٢ - ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١ ، ص٣٥، ٣٦ .

الدكتور أحمد الشرباصى: المعجم الاقتصادى الإسلامى - ص٣٣٨ .

الفصل الثالث
الحياة الاجتماعية فى خراسان فى العصر الغزنوى

- عناصر السكان ودور كل عنصر فى الحياة الاجتماعية.
- طبقات السكان.
- المناسبات الاجتماعية والأعياد.
- العادات والتقاليد.
- الاحتفالات.
- علاقة السلطان بأفراد أسرته.
- وضع المرأة ودورها فى الحياة الاجتماعية.

الحياة الاجتماعية فى خراسان فى العصر الغزنوى

أثر الجو السياسى والاقتصادى العام فى الحياة الاجتماعية:

فى العصور الإسلامية الأولى امتزجت الحياة الاجتماعية بالحياة السياسية والاقتصادية، حتى أصبح من العسير الفصل بين كل جانب منها، إذ امتزجت هذه العوامل كلها وتفاعلت، وأثرت الواحدة منها فى الجوانب الأخرى.

ولا شك أن السياسة الداخلية من أبرز العوامل التى تؤثر فى حياة جميع المجتمعات قديمًا وحديثًا، إذ أن استتباب الأمن، واستقرار الأوضاع السياسية يؤدى إلى انصراف الحكومة إلى الإصلاحات الاجتماعية والعناية بالمرافق العامة، وتحقيق رفاهية الشعب من الناحية الاقتصادية كما أن الصراع السياسى غالبًا ما يؤدى إلى صراع اجتماعى يفتت الوحدة الاجتماعية ويبعثر جهود أبناء المجتمع الواحد.

ولقد مرت خراسان فى العصر الغزنوى باضطرابات وعدم الاستقرار من الناحية السياسية وذلك من قبل السلاجقة فى فترة العشر سنوات الأخيرة من حكم الغزنويين، ولعل أصدق وصف يمكن أن يوصف به المجتمع الخراسانى فى تلك الفترة بأن مجتمع حرب وفساد بكل شروره وآثامه.

ففى هذه الرقعة من العالم الإسلامى التى كثرت فيها الدول والإمارات، كان السلام فيها أبعد ما يمكن تحقيقه، فالحروب بين هذه الدول لا تنقطع بسبب أو لآخر، فإذا انقطعت فلن تخلو من الاضطرابات أو الكوارث الطبيعية التى كانت تسبب بعض المشاكل الاجتماعية التى يعانيها الإنسان العادى بكل موارده وطاقته، كذلك تعرضت خراسان خلال السنوات الست الأخيرة من حكم الغزنويين لهجمات السلاجقة ونهبهم إلى أن وقعت البلاد فى أيديهم على أثر معركة دندانقان الشهيرة عام ٤٣١هـ، وهذه السنوات الست من الحرب خلفت وراءها آثار الدمار فى مدن خراسان بالإضافة إلى أنها خلقت فى الناس موجه من الرعب والخوف وعدم الاستقرار فى جميع أنحاء هذا الإقليم.

وكذلك نتج عن هذه الحروب الطويلة إهمال الزراعة وترك الأرض بوراً على فترات متقطعة من السنة نتية هرب السكان إلى مناطق آمنة وخالية من المصادمات المسلحة بين الجيش الغزنوى وقوات السلاجقة، وقد شهدت خراسان فى عام ٤٣١ / ١٠٣٩ - ١٠٤٠م موجة من القحط لم تشهدها فى فترات سابقة من الزمن، فكانت العائلات وأبناؤها يموتون من الجوع لسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، فمنهم من هدم بيته، ومنهم من فقد أرضه ومزرعته، ومنهم من بدأ ينزع سقف بيته ليبيعه ويعيش من ثمنه[١].

هكذا تدهورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وضاقت الحياة بالناس، وساءت أحوال المعيشة فى معظم المدن الخراسانية، فارتفعت أسعار والمواد الغذائية إلى حد أن بيع المن من الخبز بثلاثة دراهم إلى ثلاثة عشر درهما، أما الشعير فلم يجده أحد بعينه[٢].

إذا كانت الحروب والكوارث قد خلفت بعض المشاكل الاجتماعية وعدم الاستقرار فى خراسان فإن الحكام والأمراء كانوا يسلكون سبلاً من الوحشية للاحتفاظ بممتلكاتهم أو توسيعها على حساب الآخرين، ولعل من أغرب الأمثلة على ذلك ما قرأناه عن خلف بن أحمد الصفار ملك سجستان الذى قتل ابنه بيده ثم غسله وكفنه وصلى عليه، وذلك لأنه فشل فى تحقيق طمع والده فى الاستيلاء على إحدى الإمارات.

ثم ما كان من أمر عضد الدولة حين قتل ابن عمه بختيار بن معز الدولة واستولى على ملكه فى بغداد، استشرافًا إلى العظمة بتولى الملك فى حاضرة الخلافة[٢].

وفى العهد الغزنوى العديد من الأمثلة لما كان يحصل من القتل ومصادرة الأموال بين الأخوة حول الحكم، ولعل الخلافات التى وجدت بين

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٦٩ .

٢ - نفس المصدر، ص٦٦٩، ٦٧٤ .

٣ - ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٩، ص٢٩ .

السلطان محمود وبين أخيه اسماعيل بعد وفاة الأمير سبكتكين أصدق دليل على ذلك، لأن السلطان محمود لم يرض بحكم أبيه وبما أوصى به لأخيه من بعده، فأشهر سيفه على أخيه وأجبره على التنازل عن الحكم، وتكررت نفس المأساة فى عهد السلطان محمود نفسه حين سلم لابنه الأصغر الأمير محمد، ولم يعمل أى اعتبار لابنه الأكبر الأمير مسعود الذى كان وليًا للعهد، وأدى هذا الخلاف إلى انقسام الدولة فريقين - من يؤيد الأمير محمد كحاكم شرعى للدولة، ومنهم من يؤيد الأمير مسعود كولى للعهد والحاكم الفعلى للبلاد - وكادت الحرب أن تحس الموقف لأحد الطرفين، إلا أن هذا الصراع حسم لصالح الأمير مسعود بعد تراجع مجلس أمناء الدولة عن تأييدهم للأمير محمد، وقبض الأمير مسعود على أخيه وأودعه السجن فى أحدى قلاع غزنة، وسمل عينيه وصادر أمواله وفرق أسرته، إلا أن أحد أبناء الأمير محمد انتقم من عمه بعد هزيمته فى معركة دندانقان، فسلط عليه غلمانه فقتلوه وبذلك انتقل الحكم إلى الأمير محمد فترة من الزمن، فاستطاع السلطان مودود أن يعيد الحكم إلى أسرته مرة أخرى بعد أن انتقم لأبيه من عمه وأبنائه[1].

إذا كان الملوك قد استباحوا لأنفسهم قتل الأب والابن والأخ ليصلوا إلى الحكم ضاربين عرض الحائط بتلك القواعد والقيم الإنسانية متناسين أواصر القرابة والدم فما بالك بطريقة معاملتهم لمن لا يربطهم به هذه الصلة من رعاياه وحاشيته

كذلك حفل هذا العصر أيضًا بكثير من حوادث الحبس والمصادرة والقتل للوزراء والعمال، فالوزير أحمد بن الحسن الميمندى الذى شهد له عصره بإخلاصه وتفانيه للسلطان محمود، تعرض لمصادرة أمواله وأملاكه بعد وشاية من الحاقدين عليه، ولم يعط فرصة الدفاع عن نفسه، وكان جزاء إخلاصه السجن والاختفاء عن خدمة هذه الدولة فترة من الزمن، حتى أعاده السلطان

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٤ .

مسعود ثانية ليستفيد من خبرته وكفاءته فى مجال السياسة والإدارة إلى أن توفى سنة ٤٢٤[١].

أما الوزير حسنك الذى كان يعتبره السلطان محمود بمثابة أحد أبنائه، ودافع عنه أمام الخليفة القادر حين اتهمه بأنه قرمطى بعد عودته من الحج ومقابلته الفاطميين، يأتى السلطان مسعود ليطبق عليه حكم الإعدام بنفس التهمة إرضاء للخلافة العباسية وحرصًا على ممتلكاته الكثيرة من الضياع والأموال[٢].

كذلك تعرض الوزير الفضل بن أحمد الإسفراييني فى عهد السلطان محمود للعزل والسلب، وسبب ذلك أن السلطان محمود كان شغوفًا جداً بشراء الغلمان لخدمته، وأخذ هذا الوزير يسير على هذا المنوال عملاً بالقول القائل "الناس على دين ملوكهم" وعلم الفضل بن أحمد ذات مرة بوجود أحد الغلمان - وكان غاية فى الجمال - فى إحدى الولايات التركية، فبعث بأحد رجاله إلى تلك الولاية لشراء ذلك الغلام الجميل، وجاء به رسول إلى غزنة عن طريق الحريم، وعلم السلطان بهذه الحادثة، وبعث بغلام يطلب ذلك الفتى الجميل من الوزير، ولكن الوزير أنكر بشدة ما حدث، فنهض السلطان محمود وذهب إلى منزل الوزير ليتأكد بنفسه من ذلك، فاستقبله الوزير استقبالاً رائعًا، وأدى له جميع مراسم الضيافة وفى تلك الأثناء دخل على السلطان غلام حورى الطلعة، وبدأ فى الغناء والطرب، فأمر السلطان بالقبض على الوزير وسلب ونهب منزله، وخلال هذه الظروف توجه السلطان إلى الهند، فقام بعض الأمراء الأشرار بتعذيب أبى العباس الفضل بن أحمد إلى أن فارق الحياة[٣].

والسلطان محمود الغزنوى رغم ما وصف به من عدالة وبر، ورغم ما غنمه فى غزواته فى بلاد الهند من غنائم كثيرة لا تعد ولا تحصى، كان فى

---

١ - العقيلى: آثار الوزراء، ص

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٨٩ .

٣ - غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٥، ٢٣٦ .

حاجة إلى المال لمواصلة الحرب ضد الكفار والأعداء المحدقين به من كل الأنحاء، ولهذا نراه يتوصل إلى أخذ المال بكل سبيل، وقد بلغه أن رجلاً بنيسابور واسع الغنى فأرسل إليه وقال: بلغنا أنك قرمطى. فقال الرجل: لست بقرمطى، ولى يؤخذ منه ما يراد وأعفى من هذا الاسم، فأخذ منه مالاً وكتب معه كتابًا بصحة اعتقاده[1].

ولم يكتف سلاطين الغزنويين بجلب الأموال بالطرق السابقة، وإنما عينوا عمالاً وجباة للضرائب على خراسان، وكان هدفهم جلب الأموال وإرسال الهدايا إليهم فى المناسبات والأعياد، فأخذ هؤلاء العمال يظلمون الناس ويضربونهم لكى يحصلوا على الأموال المتكفلين بدفعها نهاية كل عام، وفى فترة حكم السلطان مسعود تعرض سكان خراسان لظلم العميد سورى بن المعز الذى أطلق يده فى هذا الإقليم، ولجأ إلى كافة أساليب القهر والهوان فى سبيل الاستحواذ على الأموال الكثيرة والهدايا الثمنية لإرسالها إلى غزنة فى إحدى المناسبات والأعياد. وكان السلطان سعيدًا جدًا بهذه الأموال والهدايا وتمنى أن يكون له خادمان أو ثلاثة مثل هذا الخادم الأمين حتى يحصل على فوائد عظيمة[2]، ويا ليت هذه الأموال التى أخذت من الناس قهراً وظلمًا تكفى هؤلاء السلاطين أو تروى ظمأ المتعطشين إلى جمعها من عمالهم وولاتهم. بل كان الأمر يزداد بهم سوءاً فى الاستغلال والإسراف، فقد كانوا ينغمسون فى أنواع الترف والنعمة، وفى ألوان المتعة والراحة، ولدينا من الأمثلة الكثير على إسراف الملوك فى بناء قصورهم وشراء الجوارى والقيان ومجالس اللهو التى كانوا يعقدونها بحضور الوزراء والندماء وغيرهم من خاصة الناس .

هكذا مرت خراسان فى العهد الغزنوى بمشاكل لاحصر نتيجة لسوء إدارتها والمطامع التى كانت لا تنقطع عنها من الولاة أو الدولة أو الغزاة

١ - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج٣، القاهرة ١٩٨٧، ص٩٦ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٣٦، ٤٣٧ .

السلاجقة الذين قضوا على خيرات هذا الإقليم وموارده، من أجل الصراعات والحروب التى دارت بينهم وبين الغـزنويين، وهذا بطبيعـة الحال انعكس على الحياة الاجتماعية بصورة مباشرة فى ظل الحكم الغزنوى لخراسان.

أولاً: عناصر السكان ودور كل عنصر فى الحياة الاجتماعية:

(١) الترك:

يجمع المؤرخـون على أن ظهور العنصـر التركى فى الحـياة العـامة فى المجتمع الإسلامى كان مع بداية حكم الخـليفة المعتصم سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، عندما استـقـدمهم من بلاد الترك ليـحلوا محل جنود بغـداد من الأبناء الذين بدأوا يثيرون القلق والشغب فى قلب الدولة بعد وفاة الخليفة المأمون، وخاصة عندما تعصـبوا للعباس ابن أخيه ونادوا به خـليفة للمسلمين، فعـول المعتصم على تأليف جيش من الأتراك لما اتصفوا به من شدة البأس(١).

ويرجع تاريخ هولاء الأتراك إلى أجناس عـاشت فى الشرق الأقـصى، وكان يطلق عليهم التورانيون، وكـانوا من البدو الرحل، وقد تناول الفردوسى فى الشاهنامة وصف الصراع بينهم وبين الإيرانيين.

ومن المعلوم أن الحدود السياسية بين إيران وتوران كانت عرضة لتغييرات على مر العصور التاريخية ولم تكن الحدود شديدة الوضوح، فكان من المناطق ما يدخل تارة فى حوزة إيران وطوراً فى حـوزة توران، وفى فترات السلم بين الإيرانيين والتـورانيين كان بعضهم يصـهر إلى بعض أما إذا ضاق أمـير ذرعًا بأحد القومين بالمقام فى أرضه، فكثير ما كان يغير ويحتل أرض جيرانه(٢).

وكان الترك على صلة بفـارس وبيزنطة والصين، فقـد تاجروا فى حرير الصين مع بيزنطة بعد أن ملك الفرس بإحـراق الحرير الذى كانت تحمله قافلة

---

١ - محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ١٩٦٥، ص٢٢ .

٢ - حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والـفرس والترك (دراسة تاريخية وأدبية). القاهرة، ١٩٦٩، ص٣٧٧ .

تركية، وهذه الحادثة جعلت الترك يتفقون مع البيزنطيين على احتكار تجارة الحرير شريطة ألا يمروا فى الأراضى الفارسية[١].

وظهر الترك فى تاريخ إيران منذ أوائل القرن الخامس الميلادى، ففى شمال شرق إيران سماهم الإيرانيون هفتال، وفى الشمال الغربى وراء جبال القوقاز عرفوا عند الإيرانيين على الدوام بالخزر[٢].

وأطلق العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة فى حوض نهرى آمور دريا (جيحون) ونهر سردريا (سيحون) بلاد ما وراء النهر، ولم تكن هذه المنطقة وفقًا لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان، لأن هذا الاسم الأخير إنما كان يقصد به بلاد الترك عامة، أى الأصقاع المترامية الأطراف التى تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين والتى كان يسكنها الرحل من الترك والمغول.

وفى العصور الإسلامية، كانت جميع بلاد ما وراء النهر جزءًا يتجزء من الشرق الأقصى، ولكن مع بداية القرن العاشر الميلادى: الرابع الهجرى، وقعت المنطقة نهائيًا تحت سيطرة شعوب اسيا الوسطى، بالرغم من وجود معاهدات صلح بين حكام إيران وتوران التى كانت تنص فى معظم الأحوال على أن آموردريا هو الحد الفاصل بين محيط نفوذ كل من الطرفين، وفى العهد الغزنوى نجد الدولتين التركيتين الدولة الغزنوية والدولة القراخانية - تقتسمان أملاك الدولة السامانية وتجعلان من شمالى نهر جيحون الحد الفاصل بين الدولتين[٣].

وتميز أتراك بلاد ما وراء النهر بالصفات الأصلية للبدو وهى حب الحرب والفروسية والتعلق بالنظام القبلى، على أن مجاورتهم للفرس الذين وصلوا إلى درجة كبيرة من الحضارة أثرت فى طباعهم وشجعتهم على مجاراتهم فى سبيل التحضر، ولكنهم مع ذلك احتفظوا بصفات البدو[٤].

---

١ - فامبرى: تاريخ بخارى، ص٤٩ .

٢ - سعيد نفيسى: تاريخ اجتماعى وسياسى إيران، تهران، ١٣٣٥، ص٦ .

٣ - بارتولد: تركستان، ص١٤٢. حسين مجيب المصرى: الصلات بين العرب والفرس والترك، ص٣٣٧ .

٤ - محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص٢١ .

وقد تدرج العنصر التركى فى الظهـور بالدولة الإسلامية، فظهر الأتراك فى أواخر العـهد الأموى فى بيـوت سادات العرب على شكل خـدم، وصار أمراء العرب يجلبون من ما وراء النهر الـغلمان والجوارى. ومما شجعهم على ذلك ما عرفوه عنهم من الشجاعة والفروسية وحسن التكوين، ثم أخذ عنصر الأتراك فى الظهور فى البلاط العباسى، فـوجد فى بلاطهم أبى جعفر المنصور نواة بسيطة مـن الترك واقتنى المأمـون عدداً قليلاً مـنهم. وكان هؤلاء الأتراك يجلبون إلى الدولة الإسـلامية عن طريق الأسر فى الحـروب التى وقعت بين العرب والترك على الحـدود الشرقية، وأيضًا بطريـق الشراء . ومنهم من كان يرسل إلى الخفاء العـاسيين مع الهدايا التى يبـعث بها الولاة من بلاد ما وراء النهر(١).

ثم أخذ الإسلام ينتـشر بين الترك حين بسطت الدولة السامـانية نفوذها فى أواسط آسـيا، ففى القـرنين الثالث والـرابع الهجريـين، التاسع والعـاشر الميلاديين، كانت معظم المناطق التى سمـيت ببلاد ما وراء النهر قد وقعت فى قبضتها، ومن المحتمل أن يكون بعض الأسرات التركية قد حكم بعض المناطق هناك. ويرجع دخول التـرك فى الإسلام إلى التعامل الإنسـانى الذى عامل به المسلمون هؤلاء الرحل فى مناطقهم النائية التى كانت فى حاجة إلى حاصلات البلاد المتحـضرة وإلى الملابس بخاصة، فقد لوحـظ ذلك فى البلاد بينها وبين البدو تجارات (الصين والبلاد الإسلامية) دائما على استيراد المنسوجات وكانت التجارة مع البدو مفيدة أيضًا للبلاد المتحضرة لأنها كانت تستورد منهم اللحوم والمنتجات الحيـوانية بأثمان منخفضة، بينما هؤلاء البدو كـانوا يألفون البضائع الإسلامية ويتـأثرون بطراز حياة المسلمين بوجه عام، كـما تأثروا بالإسلام لا من الناحية الدينية فحسب بل من الناحية الحضارية والمدينة بوجه خاص(٢).

---

١ - و. بارتولد: تاريخ الترك فى آسيـا الوسطى، ترجمة أحمد السعـيد سليمان، مراجعـة إبراهيم صبرى، القاهرة، ١٩٥٨، ص٣٧، ٣٨ .

محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢١ .

٢ - بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ص٥٧، ٥٨، ٥٩ .

وبدخول هؤلاء الترك الإسلام لم تنقطع الحروب القبلية التى كانت تقع بين القبائل المتفرقة والقاطنة على شوطئ نهر جيحون وسيحون، فموءسس مملكة غزنة البتكين قد بيع كعبد للأمير أحمد بن إسماعيل السامانى، نتيجة هذه الحروب التى كانت متواصلة بين هذه القبائل التركية، فقد خضع فى فترة وجوده فى البلاط السامانيين إلى أن تدرج فى سلك المناصب الكبيرة فى الدولة، وكان منها منصب كبير الحجاب فى عهد نوح بن نصر السامانى الذى بدأ يظهر نفوذه فى الدولة، وعندما توفى الأمير عبد الملك فى شوال ٣٥٠هـ/ نوفمبر ٩٦١م اتخذ من الصراع على الحكم فى البيت السامانى، موقفًا يمكن له تمرده على الدولة، ثم ساق غلمانه نحو غزنة، وأسس هناك مملكة سميت بمملكة غزنة، ونصب نفسه ملكًا عليها، وكانت هذه أول دولة تركية تقام على الحدود الإيرانية طبقًا لمعاهدات الصلح بين حكام إيران وتوران كما ذكرنا.

ثم ظهر على الساحة عدد من القادة الغلمان لحكم هذه المملكة، إلى أن استقر الرأى لسبكتكين[١]، بتوليه الحكم لهذه البلاد التى بدأت تتوسع فى عهده بعد ضمه كلاً من بست وقصدا وبعض الأراضى الهندية، وهذا ما جعل المؤرخين ينسبون إليه تأسيس الدولة الغزنوية، وسبكتكين من الغلمان الذين بيعوا لنصر الحاجى فى نخشب، ثم اشتراه البتكين كبير الحجاب فى بلاط الأمير عبد الملك، وكان ميالاً إليه، فرقاه إلى مراتب عالية دون أن يجتاز التدرج المعتاد وفقًا لترتيب غلمان السراى حسب الخدمة المعدودة لهم[٢].

ولما اتسعت الدولة الغزنوية ودخلت فى حوزتها خراسان ومعظم الأقاليم المجاورة للعاصمة غزنة، ازداد نفوذ العنصر التركى فى الدولة، وكان

---

١ – كان والده جق أو جوق كما يذكر الجوزجانى فى كتابه طبقات ناصرى وينسبه إلى يزدجر بن شهريار ملك العجم، وكان يشغل رئيسًا لولاية صغيرة فى تركستان، وله ثلاثة أبناء أحدهم كان سبكتكين الذى وقع أسيرًا فى إحدى الحروب التى دارب بين قبيلته وقبيلة مجاورة لها.

الجوزجانى: طبقات ناصرى، ص٢٦٧ .

٢ – نظام الملك: سياست نامة: ص١٤٤، ١٤٥ .

لزامًا على سلاطين الغزنويين أن يقضوا حاجات غلمانهم الأتراك الذين كانوا قوام جيشهم، فأعدوا هؤلاء إعدادًا جيدًا حتى اكتسبوا قوة جسدية وخشونة فى الطبع وحماسًا وقدرة على قيادة الجيوش فمنهم من أصبح من القادة العظماء، ودافع عن سلامة وأمن الدولة من الأعداء ومنهم من تمرد على الدولة وحالف القوى المضادة لها، ومنهم من تحمس لمذهب الدولة - المذهب السنى - وأخذ يناهض المذهب الشيعى والمذاهب التى تميل إلى الفلسفة والجدل مثل المعتزلة، تلبية لرغبة السلطان محمود الذى حمل على عاتقه محاربة هؤلاء، فقد نكلوا بالشيعة والمعتزلة، وأحرقوا كتبهم، ولاحقوهم فى كل مكان، ولما تولى الحكم السلطان مسعود أمر بإعدام الوزير حسنك أحد كبار رجال دولته بسبب ما نسب إليه من اعتناقه مذهب القرامطة[1].

(٢) الفرس:

يمثل هذا العنصر غالبية سكان خراسان، وقد استعان بهم العباسيون فى أواخر العهد الأموى لانتزاع الحكم من الأمويين، وكان أهل خراسان ككتلة عسكرية وسياسية من أهم الكتل فى المجتمع العباسى، وقد حافظ العباسيون على وحدة الفرقة الخراسانية منذ الأيام الأولى لقيام دولتهم، فسجلوهم فى سجلات خاصة بهم حسب قراهم ومدنهم لا حسب قبائلهم، وهذا يؤكد حرص العباسيين على تماسك أهل خاسان ووحدتهم فى الداخل، وبعدم السماح للعصبيات القبلية بتفكيك هذه الوحدة.

وقد اهتم الخليفة المنصور بهذا العنصر فبادر بتعيين بعض منهم فى مناصب إدارية، كما استغاث بهم فى عدة مجالات قائلاً لهم:

" يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا "[2].

كما أوصى بنى هاشم وأهل خراسان حين حضرته الوفاة بأن يتحدوا وراء المهدى فقال لهم: "وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدى، ولا يبددكم شيعاً

---

١ - عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الإسلام: ص٥٨ .

٢ - الطبرى: تاريخ الطبرى، ج٩، ص١٢٩ .

ولا يذيق بأس بعض يا بنى هاشم ويا أهل خراسان، ثم أخذ فى وصيتهم بالمهدى. . . وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده"[1].

ثم شارك أهل خراسان العباسيين فى إقامة دولتهم، ولقد أفسح لهم العباسيون كل مجال فغصت قاعدة الخلافة بهم، ووكلوا أمور الملك إليهم، وكان منهم الوزراء والأمراء والحجاب والجباة والندماء وأهل المشورة وأهل الأدب.

وعندما زادت سلطتهم فى عهد الرشيد، نكل بهم، وكان لقتل البرامكة أثر أى أثر فى إسقاط الفرس وإضعاف شأنهم بعد اتساع سلطتهم وعزة جانبهم، غير أنهم نهضوا من كبوتهم حين نشب النزاع على الخلافة بين الأمين والمأمون، فلقد كان للمأمون ميل ظاهر إلى أهل خراسان يبلغ أن يكون تعصبًا، ومصداق ذلك أن رجلاً من أهل الشام اعترض طريقه فقال له: أكثرت على والله ما أنزلت قيسًا عن ظهور خيولها إلا وأنا أرى أنه فى بيت مالى درهم واحد، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتنى قط، وأما قضاعة فساداتها تنتظر السفيانى حتى تكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على ربها مذ بعث الله نبيه من مصر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريًا أعرف فعل الله بك[2].

ولما تولى المعتصم الخلافة عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، أوجس من الفرس خيفة، وساءه يهيمنوا على دولته ويشركوه، الأمر الذى يحدُّ من سلطته فاصطنع الأتراك عوضًا عنهم وهكذا كان شأن الفرس بعد أن بلغوا المدى فى تسلطهم على الخلافة والخلفاء فى بغداد[3].

ولكن الفرس بمساعدة أهل خراسان لم يقفوا مكتوفى الأيدى إزاء ضعف نفوذهم واستبداد الأتراك بالسلطة والنفوذ دونهم، بل عملوا على استرداد مكانتهم، فحاولوا الاستقلال ببعض بلدان العباسية، فأقاموا دولاً

---

١ - فاروق عمر: التاريخ الإسلامى، ١٩٨٥، ص١٣١ .

٢ - ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٦، ص١٤٦ .

٣ - حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، ص٧٥ .

مستقلة عن الدولة الأم وهذه الدول - الدولة الصفارية (٢٥٤ - ٢٩٠هـ/ ٨٦٧ - ٩٠٣م) ثم الدولة السامانية فى خراسان وبلاد ما وراء النهر (٢٦١ - ٣٨٩هـ/ ٨٧٤ - ٩٩٩م).

وقد مهد الطاهريون لهذه الدول الاستقلال عن الخلافة العباسية بعد أن مكنهم الخليفة المأمون من حكم خراسان، واستطاع طاهر بن الحسين أن يؤسس أول دولة شبه مستقلة من الخلافة العباسية سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م[١].

ورغم أن هذه الدولة الفارسية لم تحقق انتصاراً على المسرح السياسى، فإنها اقتصرت على التفوق فى ميدان الحياتين العقلية والاجتماعية، وفى بلاط السامانيين ظهر رجال من عباقرة فى العلوم والآدب والفنون مثل الفيلسوف الشهير أبى على ابن سيناء ومثل الشاعرين الكبيرين الرودكى والدقيقى اللذين تنسب إليهما نشأة الشعر الحماسى فأحيا ذلك روح الوطنية الإيرانية[٢].

ولما استولى الأتراك على خراسان وبلاد ماوراء النهر شكلوا دولتين أحداهما الدولة الغزنوية التى قامت فى خراسان وبلاد الأفغان وأجزاء من الهند، والثانية الدولة القراخانية التى قامت فى بلاد ما وراء النهر، فساهم الفرس فى كلتا الدولتين بدورهم فى إدارة دفة هذه البلاد والعباد والجدير بالذكر أن الحضارة الإسلامية قد ازدهرت على أكتافهم فى العهود السابقة وخاصة فى العهد السامانى الذى ازدهرت فيه الحضارة حتى كانت بخارى وسمر قند وبلخ ونيسابور فى ظل حكمهم مناراً للعلوم والآداب والطب يفد إليها الطلاب والعلماء من كل أنحاء العالم الإسلامى.

(٣) العرب:

وهو العنصر الذى قامت على أكتافه الدولة العربية الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ فى المدينة، وبعد انتشار الإسلام فى الجزيرة العربية، حمل القادة

---

١ - عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٦ إلى ٢١ .

٢ - محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢١٨، ٢١٩ .
عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٣٠، ٣١ .

المتطوعـون منهم لواء الإسلام إلـى البلدان المجاورة، فـفتـحوا العـراق وبلاد الشام، وفـارس وخراسان، وكان انتـشارهم فيهـا تبعًا للضـرورات العسكرية والسيـاسية، وخراسـان لم تكن بينها وبين الجزيرة الـعربية صلة مبـاشرة، أو حركة دائمة، إذا نظرنا إلى ملامح خراسان فإننا نلاحظ أن مجموعات القبائل العربية أرسلت فى فترات متعددة للمشاركة فى حملات للتوسع أو للعون فى المعارك الدائمـة مع شعوب أواسط آسـيا، ونرى الاتجاه الـعام للمقـاتلة نحو الاستقرار فى ضواحى المدن، لإقامة الإسلام[١].

ومن العرب الكراميـون الذين استمروا فى السلطة والهـيمنة على حكم مدينة نيـسابور، إلى أن قصد القـاضى صاعد بن محـمد الحج سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١ - ١٠١٢م، وفى طريق عودته إلى خراسان حـمله الخليفة القادر بالله رسالة إلى السلـطان محمـود فبينمـا كان فى مجلـسه إذ ورد ذكر الكرامـية، فصارحه القـاضى ببعض آرائهم فى الاعتزال والتجسيم فى الصـفات البشرية على الله، فغـضب السلطان على هذه الطائفة، وعقـد لرئيسهم مـحكمة فى غزنة حـضرها كبار الـفقهاء ورجـال الدين وعلى رأسهم القاضى صـاعد بن محـمد، وفى أثناء المحـاكمة تبـادل كل من القاضى وأبى بكر الاتهـام حول مذهب المعتزلة، ولكن الأمير نصر بن سبكتيكن والى خراسا الذى كان يحضر هذه الجلسة برأ القـاضى صاعد من هذه الادعـاءات الباطلة وأكد للجـميع أن القـاضى مـا يزال رائدًا للمـذهب الحنـفي في نيـسـابور، بل فى كل أنحـاء خراسـان، ولكن أبا بكر عندمـا وجد نفسـه متـورطًا أنكر جمـيع الادعاءات المنسوبة إليه وبذلك أنقذ حياته من غضب السلطان، إلا أن السلطان طرده من مصب الكتـخدائية لمدينة نيسـابور وعين بدلاً منه حسنك الميكالى ليـعود هذا المنصب الإدارى إلى عائلة الميكالية مرة أخرى[٢].

وقد اتخذ حسنك تدابير شديدة قـاسية، وبناء على رأى العتبى فإن هذه

---

١ - البيهقى: تاريخ، ص٦١١ .

٢ - العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص٣١٣، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢١ .

التدابير والإجراءات فاقت تدابير زياد بن أبيه ضد الكرامية فى نيسابور، وقد تم سجن الطغاة فى القلاع الحصون وتم استرجاع ما نهبه أبو بكر من الناس، ثم حذر حسنك الطوائف الدينية الأخرى بأن مناصبهم الدينية والاحترام الممنوح لهم كلها تعتمد كلية على إطاعتهم للسلطة الدنيوية. وهم بدورهم يعتزمون بأن السلطان هو ظل الله فى الأرض ولا شىء ينفعهم سوى الخضوع والحذر[1].

هذه هى قصة الكرامية فى خراسان، فهى لا تزيد عن كونها حركة ظهرت فى فترة من الزمن بنيسابور، وكان أفرادها يكتمون آراءهم ويتظاهرون بالزهد حتى خفى أمرهم على السلطان محمود نفسه، ومما يدل على ذلك أن أبا الفتح البستى قد هجا معتقداتهم وكفر القائل بها، فهو يقول:

أشهد أن الله ذو قدرة　　　تحيط بالأصغر والأكبر
ولا تصفه أنه جوهر　　　فإنه من أنكر المنكر
من أبدع الجوهر عن قدرة　　　فإنه أعلى من الجوهر[2]

وكذلك من الفرق الدينية التى انتشرت فى القرنين الثالث الرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين جماعة الصوفية، وقد انتشر فى جميع أنحاء العالم الإسلامى وأخذ رجالها ينظمون أنفسهم فى جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها وسالكوها، وكانت هناك مدارس كثيرة للتصوف فى هذه الفترة، لكل منها طابع معين، ونسبت كل واحدة منها إلى شيخ من شيوخ القرنين الثالث والرابع الهجريين. والصوفية فى هذه الفترة قد وصلت إلى مرحلة النضج، وأخذت المسائل الصوفية التى ظهرت أول الأمر غامضة ساذجة تتضح وتدق، ذلك أن العناصر الغريبة التى بدأت تتسرب إلى الإسلام منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، أخذت تنفذ إلى التصوف

---

١ - نفس المصدر: ج٢، ص٣٢٢، ٣٢٥ .

٢ - محمد مرسى الخولى: أبو الفتح البستى حياته وشعره، بيروت، دار الأندلس، الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص٥٦ .

وتفاعل معه وكان من نتيجة هذا التفاعل أن تطور مفهوم التصوف وأصبح شيئًا جديدًا لا يقف عند حد الرياضة والمجاهدة، ولا يقنع فيه الإنسان بالمشاهدة، وإنما تجاوز هذا كله إلى غاية أسمى هى فناء الإنسان عن نفسه، وبقاؤه بربه، واتحاده به(١).

ومن الموضوعات التى تطرقت إلى التصوف فى هذه الفترة أن روح أحكام الشريعة وباطنا أهم من شكلها وصورتها الظاهرية، وأن النية مقدمة على العمل، وأن السنة خير من الفرض، وان الطاعة خير من العبادة، وقد أثارت هذه الأقوال انتباه الناس فى ذلك الوقت واسترعت أنظارهم، وخصوصًا طبقة الفقهاء الذين عدوا هذه الأقوال خطرًا على المجتمع الإسلامى، واتهموا الصوفية باختلاق البدع تارة، وبالكفر والإلحاد تارة، كما جرت عليهم أقوالهم فى المحبة والاتحاد والحلول سخط الفرق الإسلامية الأخرى(٢).

وكان من الطبيعى أن يقع الصدام بن الطائفتين لاختلاف وجهتى نظرهما وما لبث الفقهاء أن أعلنوا عن عدائهم للصوفية، فتصدوا لبعضهم بالمعارضة، واتهموا الآخر بالكفر والزندقة، وقد حفظت لنا الكتب المتقدمة أخبار سلسلة من الاضطهادات التى لاقاها الصوفية على أيدى الفقهاء، حتى أن مجموعات من شيوخ الصوفية سيقوا إلى المحاكمات وحكم عليهم بالموت، واستطاع بعضهم أن يفلت من العقوبة وراح البعض الآخر ضحية لهذا التعصب(٣).

ومع هذه التضحيات التى قدمها الصوفية فى الصراع مع الطوائف الدينية الأخرى، أخذ كبار الصوفية يتشبثون أكثر من ذى قبل بالقرآن والحديث والأدلة العقلية، واشتغلوا بالتأليف والتصنيف، ونهضوا للدفاع عن أنفسهم

١ - إسعاد عبدالهادى قنديل: "كشف لمحجوب للهجويرى" دراسة وترجمة وتعليق مراجع الترجمة دكتور أمين عبدالمجيد بدوى، جـ١، القاهرة، ١٣٩٤هـ: ١٩٧٤م ص٢٨، ٢٩ .

٢ - نفس المرجع، ص٢٩ .

٣ - أسعاد عبدالهادى قنديل، كشف المحجوب للهجويرى، ص٣٠ .

بسلاح الكتاب حتى مجئ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى الذى ظهرت فيه جماعة من كبار شيوخ الصوفية فى العالم الإسلامى عامة، وفى إيران خاصة، فكان هناك فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى أمثال السلمى والخرقانى وأبى سعيد أبى الخير وغيرهم ممن يرجع إليهم الفضل فى تربية جيل من التلاميذ والمريدين الذين صاروا أعلامًا فى تاريخ الحياة الروحية فى القرون التالية[1].

أما بالنسبة لمذهب أبى سعيد بن أبى الخير الميهنى فقد كان من أوائل المروحين لوحدة الوجود، ورغم أن مذهبه الذى يقوم على الفناء ووحدة الوجود لم يكن جديداً، فقد سبقه إليه الصوفى الفارسى بايزيد البسطامى وخليفته أبو الحسن الخرقانى، إلا أن أبا سعيد كان يعتبر من ناحية التطور التاريخى للصوفية مشرعًا مبرزًا فقد حدد معالم الطريق ووضع الشروط التى ينبغى توفرها فى الشيخ والمريد، كما شرع القواعد والرسوم لحياة الخانقاه حتى أنه ليعد بحق المؤسس الأول لنظام الخانقاهات فى الإسلام.

(٤) طبقة التجار والصناع والمزارعين:

مثل التجار ارستقراطية المال فى الدولة بعد ازدهار اقتصادها، وتعامل الأثرياء منهم فى السلع القيمة وفى بضائع الشرق الغالية، وارتبط بقصر السلطان والأمراء ورجال الدولة ارتباطًا مباشراً، لذلك مالوا إلى الثراء والترف، وكان أغلب التجار من أهل نيسابور منهم باعة السلع الثمينة والمجوهرات، وكانوا على اتصال دائم بالقصر ومتطلباته من هذه البضائع والسلع الفاخرة، كما زادوا من اتصالاتهم التجارية مع المدن الكبرى سواء فى إقليم خراسان مثل بلخ وهراه أو عواصم الدول المجاورة مثل بخارى وسمرقند، ليكون على مقربة من الأسواق الرئيسية وبضائعها المتنوعة.

أما النوع الثانى من التجار، فهم صغار التجار، ويتعاطون بيع المواد

---

١ - نفس المرجع، ص٣٣ .

الاستهلاكية لسد حاجات الناس اليومية، ومن ثم أصبحت لهم علاقة بالأسواق .

اتسع نفوذ التجار فى القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشرة والحادى عشر الميلاديين نتيجة ازدياد الترف والبذخ بين رجال الدولة وعلى رأسهم السلطان، ومع أنهم كانوا على اتصال دائم معهم إلا أنهم لم يصبحوا يومًا فى مصافهم اجتماعيًا، وإنما كان يعتبرون غالبًا من الطبقة التى تلى العلماء والأدباء، هذا ومما يدل على اهتمام الدولة بهذه الطبقة، إن الدولة اهتمت بإقامة الأسواق فى مدينة نيسابور وبقية المدن الخراسانية، وكان التجار والباعة يجتمعون بها، ويتعاونون فيما بينهم، لشعورهم بالرابطة المهنية التى تربطهم ببعضهم بعضًا وكثيراً ما كانوا يشتركون فى صد هجمات العيارين، والشطار والعامة، على متاجرهم، وكان التجار يتعرضون فى بعض الأحيان للمصادرة من الدولة والحبس والقتل، كما أن السلاطين كانوا يقترضون من التجار، وقد بين لنا نظام الملك فى كتابه، أن تاجراً أتى بلاط السلطان محمود وتظلم إليه، من ابنه مسعود فى حسرة وتوجع، وقال: "مضت على مدة هنا أرغب فى العودة إلى مدينتى، لكنى لا أستطيع، لأن الأمير مسعود اشترى منى بضاعة وأقمشة بستين ألف دينار دون أن يدفع ثمنها، أريد أن ترسلنى والأمير مسعودًا إلى القاضى ليقضى بيننا بالحق[1].

---

١ - بعث السلطان برسالة شديدة اللهجة إلى الأمير مسعود، أمره فيها بأن يقضى له حقه، وإلا فعليه أن يمثل أمام القضاء، لتطبق عليكما أحكام الشريعة، ومضى التاجر إلى مجلس القاضى، فى حين قصد الرسول مسعودًا وأدى الرسالة. وأسقط بيد مسعود، فقال لموكل الخزانة: "انظر ما فى الخزانة من الذهب نقدًا فذهب ونظر وعاد، فقال: "ليس ثمة أكثر من عشرين ألف دينار" قال مسعود: "خذها، وامض بها إلى التاجر، واستمهله ثلاثة أيام لباقى المبلغ، ثم قال لرسول السلطان: "قل لسلطان إننى لأقف الآن مرتديًا قبائى، منتعلاً موزجى فى انتظار ما يأمر به السلطان فذهب الرسول، لكنه عاد إلى مسعود مرة أخرى، وقال: "يقول السلطان أما أن نتوجه إلى مجلس القضاء، وأما أن تدفع مال التاجر إليه، واعلم أنك لن ترى لى وجهًا ما لم تؤد حق الرجل إليه كاملاً . ولم يجرؤ مسعود على أن يضيف إلى كلامه السابق حرفًا، وأرسل رسلاً إلى مختلف النواحى يطلب قرضًا، فما أن، أزف وقت صلاة العصر، حتى وصل إلى التاجر الستون ألف دينار، ولما تناهى هذا الخبر إلى أطراف العالم، أخذ التجار ينهالون على غزنين من الصين ومصر، وعدن يحملون إليها ما فى العالم من تحف ونفائس" .
نظام الملك، سياست نامة، ص٢٩٦ .

أما عن مستوى معيشة التجار فكان مرتفعًا، حتى بالنسبة إلى بعض التجار الصغار، الذين كانوا ينعمون غالبًا بكل ضروريات الحياة، كما أنه كان لبعض التجار، ثقافة عالياة استمدوها من اختلاطهم بالمعاماء، وبخاصة فى القرن الرابع الهجرى[1].

أما الصناع وأرباب الحرف، فكان العرب المسلمون ينظرون إليهم نظرة امتهان حتى القرن الثالث الهجرى، ثم تغيرت هذه النظرة، فأصبح ينظر إليها، إلى القائمين بها نظرة تقدير وأكد ذلك بعض الكتاب - كالغزالى - الذين قالوا أن الصناعات أصبحت من ضرورات ومستلزمات الحياة الاجتماعية، وذلك لتنوعها وتعددها والتفنن فيها[2].

وكان أرباب الحرف والصناع والمزارعين، فى القرنين الرابع والخامس الهجريين، على الرغم من اختلاف أجناسهم وعناصرهم ومذاهبهم، يتكتلون للدفاع عن المشتغلين بمهنتهم كذلك كانوا يستغلون التدهور الاقتصادى فى الدولة أو حدوث اضطرابات سياسية، كا حدث فى نيسابور عندما نشبت الحروب بين الغزنويين والسلاجقة فقد ترك المزارعون الأرض، وهاجروا إلى المدن الأخرى هربًا من السلب والنهب اللذين كانوا يتعرضون لهما[3].

كان للتقدم الحضارى الذى أصاب المجتمع الخراسانى، أثر فى ازدهار الصناعة فقد تطلب هذا التقدم، صناعات متعددة متنوعة متقنة، فكانت نتيجة ذلك ازدياد عدد الصنائع، والاهتمام بجودتها، وتركز التخصص فيها، كما جذبت الحواضر الغزنوية الكثير من الأيدى العامة، لتوفر فرص العمل والكسب فيها، وحاجة المدن إلى وسائل الترف، فانتقل حذاق أهل الصناعات

---

١ - مليحة رحمة الله: الحال الاجتماعية فى اعراق، بغداد، ١٩٧٠، ص٥٠ .

٢ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالى إحياء علوم الدين، أربعة أجزاء، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ج١، ص٢٣٠ .

صالح العلى التنظيمات الاجتماعية فى القرن الثانى الهجرى فى البصرة، بغداد، ١٩٥٣، ص٢٧١ .

٣ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٦٩ .

إليها. يضاف إلى ذلك أن الدولة الغزنوية أباحت الهجرة إلى المدن، فقد سمح مثلاً لأهل مرو وخوارزم وبخارى بالسكن فى مدينة نيسابور[1].

ولا شك أن هذه التجمعات قد أدت إلى خلق تكتلات عمالية واسعة فى هذه المدن، وقد استلزم ذلك إنشاء مناطق يتجمع فيها أصحاب الحرف والمهن، فيذكر ابن حوقل أن مدينة نيسابور كانت بها سوقان: أحداهما تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة، وفى هاتيت السوقين خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات، أما الخانات فكانت يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصناع، كالقلانسيين الأساكفة والبزازين والخرازين إلى غير ذلك من ذوى الصنائع منهم[2].

وأخيرًا يلاحظ على هذه التجمعات والتكتلات من الصناع والحرفين عدم وجود نقابات، منظمة بالشكل الذى نتصوره فى وقتنا الحاضر، فالمصادر والمراجع لا تشير إلى جانب التنظيم المهنى، ما يوحى لنا بروح التكتل الجماعى البسيط والمتقارب لأصحاب المهنة الواحدة والمتجانسة، ويبدو أن سياسة الدولة الغزنوية الخاصة مع أصحاب المهن كانت تقتصر على الإشراف على أعمالهم وصنائعم عن طريق المحتسب، هذا الإشراف لا يدل على الاضطهاد، بقدر ما يوحى لنا بمنع أصحاب المهن والحرف من الغش والتدليس فى سائر المعاملات التجارية والصناعية[3].

أما عن مستوى معيشة العمال، فكان دون مستوى التجار بكثير، ذلك أن مواردهم، كانت محدودة، يقول الدمشقى: "إن الصانع كان ليس بالفقير، ولا بالغنى، لشراء ضيعة، وكان متوسط أجر العامل، فى القرن الثالث الهجرى درهمًا ونصف درهم، فى اليوم لصانع الزجاج، وازداد

١ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣١٢ .
٢ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٢، ٢٦٣ .
٣ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٧١، ٢٧٢، ٣١١، ٣١٢ .
النرشخى: تاريخ بخارى، ص٣٧، ٤٥ .

الراتب فى القرن الرابع الهجرى، درهمًا، وكان أصحاب الحوانيت، لا يتعدى إيرادهم ٣٠٠ درهم فى الشهر(١).

(٥) أهل الذمة:

تمتع أهل الذمة بكثير من ضروب التسامح الدينى فى البلاد الإسلامية، فأقاموا الشعائر الدينية فى أمن ودعة، وشاركوا المسلمين فى وظائف الدولة، وفى ممارسة المهن الحرة كالتجارة والصناعة، ويقول بارتولد: "إن النصارى الذين عاشوا فى ظل المسلمين فى بلاد المشرق، لم يصبهم قط ما أصاب المسلمين فى إسبانيا من الظلم والعدوان "فقويت الروابط بين المسلمين وأهل الذمة، لمشاركتهم جميعًا فى نواحى الحياة العلمية والأدبية، فمن أهل الذمة من كان طبيبًا، ومهندسًا، وتاجرًا وصراما، وبزازًا، لم ينفصلوا عن بعضهم البعض إلا فى ممارسة الطقوس الدينية ومناطق السكن(٢).

أما اليهود، فوجدوا فى بغداد بكثرة، فكانت لهم فى عهد المعتضد مراكز مهمة، ظلت مزدهرة حتى القرن السادس الهجرى، حيث زارها الرحالة بنيامين، فوجد فى بغداد عشرة مدارس وثمان وعشرون كنيسة، منها واحدة مزينة بالذهب والفضة(٣).

---

١ - أبو الفضل جعفر بن على الدمشقى: الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، دمشق ١٣١٨، ص٤٣ .

مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية فى العراق، بغداد، ١٩٧٠، ص٥١ .

٢ - وفى بغداد أقام النصارى الشماسية كنيسة تعرف باسم دار الروم. وفى مدينة تكريت فقد سكنه النصارى فى حصن ذا مساكن ومحال. وهذا الحصن كانت قديمة أزلية وتجمع سائر فرق النصارى، وبها من البيع والأديرة القديمة التى تقارب عهد عيسى عليه السلام وأيام الحواريين، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٠٥ .

المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٢١ .

أبو إسحاق روفانيل: أحوال نصارى بغداد فى عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق بغداد، ١٩٦٠

بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، نقله من التركية إلى العربية حمزة طاهر - مطبعة دار المعارف - بغداد، ١٩٤٢ .

٣ - بنيامين بن يونه التطيلى النيارى الأندلسى ٥٦٩هـ: رحلة بنيامين، ترجمها عن الأصل العبرى وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد، المطبعة الشرقية بغداد ١٣٦٤هـ/ ١٩٥٤م.

لم يلعب الذميون دوراً كبيراً فى خراسان فترة الدويلات المستقلة وخاصة الدولة الغـزنوية بالمقارنة لدورهم فى العـراق وغرب إيران، ويصف المـقدسى هذا الإقليم باحتوائه على العديد من اليهود والقليل من النصارى، وبعض من الطبقات الأخرى مثل الـزرادشتية والبوذية[1]، فكانت الأطراف الشمالية من خراسان مـركزاً للبوذيين، وكان البوذية تـعتبر الدين الرئيسى والحـضارى قبل الإسـلام لهذه المناطق، وبذلك تركت العـديد من المعـايد والآثار على المواقع الجغرافيـة الإسلامية فى المنطقة ومن أشهر هذه الآثار منـطقة نويهار فى مدينة بلخ، كما كان للزرادشتين معبد بالقرب من مدينة نيسابور، أما الأجزاء الجبلية فى إقليم خراسان فكانت مـلاجئ للزاردستين الذين أقوموا فيـها لفترة طويلة بسـبب الحروب الـتى وقعت هناك، ويـذكر ابن فندق شـجـرتين قـديمتـين مقدستين فى واحـات بيهق كانتا موضع توقير وتبجيل للزرادسـتيين، وقد أمر الخليـفة المتوكل قـطع إحداهما وبـقيت الشـجرة الثانيـة حيـة إلى حلول سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢ - ١١٤٣م[2].

وفى الفتـرة الساسـانية، كان المسـيحيـون قد انتشـروا بشكل واسع فى الإمبـراطورية الفارسـية وكان تكتلهـم فى معظم المدن الرئيسـية فى خـراسان وسجستان، بينما كـان عددهم قليلاً فى كل من بلاد ما وراء النهر وخوارزم، وفى نهاية الدولة الساسـانية ازداد عدد جالياتـهم فى هذه البلاد وكانت تمارس طقوسها الدينية مع القساوسة والأساقفة الذين كانوا يشرفون على الكنائس فى هذه المدن، هذا ما جـعل تلك الجاليات تتـمتع فى شرق إيران بحرية واسـعة ببعدين عن الرقابة المباشرة للأباطرة والسلطات فى العـاصمة الفارسية الغربية، على أن مدينة مرو كانت من أهم مناطق المسيحيين فى العهود الإسلامية حتى

---

١ - حسب الإحصاءات التى أوردها المقدسى فى خراسان والأقاليم الأخرى كالآتى:
فى أصفهان بلغ عددهم خمسة عشر ألفًا، وفى شيراز عشرة آلاف، وفى غزنة ثمانين ألف، وقال كلما تقدمنا نحو الشـرق يكثر عدد اليهود إلا أنه لم يصلنا إلى إحـصائية عن اليهود فى خـراسان سوى أنهم كثيرون ولهم مدينة سميت باسمهم (اليهودية) وكذلك كانت لهم مدينة أخرى شرقى مرو .

٢ - البيهقى: تاريخ، ص٦١١ .

القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فى شرق إيران، وإنهم لم يشكلوا تجمعات كبيرة، بل إن عددهم قل على مر العصور فى خراسان(١).

ثم بدأ ذكر الجاليات اليهودية فى مدن خراسان مثل مرو وبلخ فى العهود الإسلامية مع أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وما بعدها، عندما كانت لهم مساهمات مالية فى مساندة مجمع علمى فى بلاد العراق فطورت هذه الجاليات طقوسها وقوانينها الدينية التى كانت تميزها عن إخوانهم فى الدين فى تلك المناطق، حتى أصبحت عددها أكثر من المسيحيين فى بعض المدن الفارسية، فعرفت مستوطناتهم باسمهم، فكانت "اليهودية" فى أصفهان، وأخرى فى إقليم جرجان، وأيضًا عرفت لهم مدينة باسم ميمنة وهى بين باميان والغور(٢).

كذلك كانت القوى الفكرية والدينية لدى الذميين فى شرق بلاد فارس ضعيفة بحلول القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، وذلك لأنهم لم يساهموا مساهمات علمية فى الحياة الثقافية، إذا ما قارنا ذلك بمساهماتهم العلمية والثقافية داخل المجتمعات العراقية والسورية أو المصرية، وربما يعزى ذلك لبعدهم عن مراكز الحياة الروحية والحماسية فى الغرب، لذا قام المسيحيون النسطوريون ببذل قصارى جهدهم فى محاولات التبشير الدينى فى أواسط آسيا والشرق الأقصى، ولكن انحلال الحياة الكنسية وضعف العقيدة لدى جماعة المصلين فى شرق إيران كان ظاهراً بوجود الأسباب المتعددة والفضائح المتفشية بين الأساقفة، ويرجع ذلك إلى إشراق وسمو الثقافة الإسلامية فى خراسان فى هذه الأمور جعلت العديد من الذميين يتخلون عن دينهم الخاص ويعتنقون الإسلام(٣).

ويذكر الشيخ أبو سعيد فى سيرته بعض المراجع المتعلقة بوجود

١ - الاصطخرى: مسالك، ص١٨٩ .

٢ - ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٥، ٤٥٣ .

٣ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢١١ .

المجتمعات غير الإسلامية فى نيسابور فى فترة حياته، وأظهر أبو سعيد فى مختلف المناسبات استعداد هؤلاء الذميين فى تقبل الإسلام، وبالفعل فقد وصف دخول أربعين نصرانيًا فى الإسلام بمدينة نيسابور، هذا وكان الذميون يزاولون المهن الطبية فى العصور الإسلامية واستمروا فى مزاولتها فى الشرق الإسلامى خلال الحكم الغزنوى، وكان الشيخ أبو سعيد فى فترة مرضه يتلقى العناية الطبية على أيدى طبيب زرادشتى ونتيجة لذلك فقد اهتدى هذا الطبيب واعتنق الإسلام محوطًا ببركات الشيخ أبى سعيد، وأيضًا استعان سلاطين الغزنويين بالأطباء الذميين فقد كان للسلطان مسعود طبيب يهودى اسمه يعقوب دانيال، وكان من أشهر ثلاثة أطباء فى بلاطه، وكان يستعين بخرباته الطبية والعلمية، كما كان لبهرامشاه طبيب مسيحى اسمه أبو سعد موصلى[١].

(٦) طبقة العامة:

كانوا يمثلون غالبية الشعب، ولم يكن لهذه الطبقة مكانة خاصة فى المجتمع فقد وصفهم البعض بالجهل فى الأمور الدينية، وفى النواحى الثقافية، أطلق عليهم المؤرخون، اسماء مختلفة، منها السفلة والغوغاء، والسقاط والجماهير الدهماء والأوباش والحرافيش إلى غير ذلك من النعوت وتألفت من هذه الجماعة جماعة العيارين والشطار الذين تميزوا بالطابع الثورى ضد الحكومة وكانت لهذه الجماعات التنظيمات المدينة والعسكرية، وكانت تشارك فى الثورات وتسبب فى الاضطرابات والفوضى فى البلاد، وكانت الدولة تتملقهم فى بعض الأحيان وتنعم عليهم ببعض الإنعامات اتقاءً لشرهم[٢].

وكانت تشكل العامة، من مختلف الأجناس، الموجودة آنذاك فى المجتمع الخراسانى، فكانت من بينهم العربى، والديلمى، والتركى،

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٥٦ .

٢ - أبو الفرج عبدالرحمن بن على المعروف بابن الجوارى: المنظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج٨، ص٤٨.
مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية فى العراق، ص٥٢ .
فهمى عبدالرزاق سعد: العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجرين، بيروت ١٩٨٣، ص٦٦.

والفارسى، والكردى، وغيرهم من الأجناس الأخرى وكان أغلبهم من المسلمين، وقليل منهم من أهل الذمة.

أما عن دور العامة، فلم تنل عناية المؤرخين والأدباء، مثل عنايتهم بذكر قصور السلاطين والوزراء والأمراء، لذلك قل أن يعثر الباحث فى التاريخ الإسلامى على وصف تفصيلى لبيوت عامة الناس، وكانت هذه الدور إما يسكنها مالكها، أو أن يؤجرها لغيره، ولم يكن إيجار البيوت أمرًا ميسورًا بالنسبة لفقراء العامة، بل كان تثقل كواهلهم، لهذا كان بعض الفقراء يؤجرون غرفة واحدة فى إحدى الدور ويسكنون فيها، مع أهلها أو مع مؤجرين آخرين يسكنون فى غرفة أخرى فى نفس الدار، وكانت بيوت العامة تبنى فى الغالب من طابق واحد، أو طابقين فى بعض الأحيان، وكان ينام بعضهم فى المساجد والربط .

ولم يكن للعامة لباس خاص، تتميز به عن الطبقات الأخرى، فمن الملابس التى اعتادوا اتخاذها لباس الرأس، وهو يتكون من العمامة الملونة والمدرعة المصنوعة من الصوف عادة، والسراويل البيضاء المذيلة، والإزار والفوط وهى خاصة بالخدم منهم[1]، وكان لباس الفلاحين، مصنوعًا من القطن الغليظ، ويعرف بالأسمال، والخلقان والخف والنعال.

وكان طعام العامة، وأغلبهم من الفقراء يتكون من خبز الشعير والدبس والخل مع قليل من التمر، وكان يتصدق عليهم فى مناسبات الأفراح والأعياد، ويدفع لهم الصدقات السلطان وكبار رجالات الدولة[2].

أما فيما يتعلق بعامة الناس الكادحين فى القرى والمدن، فإن نجاح الدولة الغزنوية من الناحية العسكرية، وخاصة تلك المعارك الحربية فى عهد السلطان

---

١ - مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية فى العراق، ص٥٣ .
فهمى عبدالرازق سعد: العامة فى بغداد، ص٢٣٢، ٢٣٣ .
٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ج٧، ص١٦٢ .
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٩٩ .

محمود، ليس أنها لم تحسن وضعهم فقط، بل صعبت معيشتهم أيضًا، ومهما كان حجم الغنائم التى غنموها من المعارك الحربية كبيرًا جدًا، فإنها لم تكن مطلقًا تفى بالتكاليف الباهظة للجند والبلاط والقادة العسكريين والإقطاعيين(١).

ولا شك أن الحمل الثقيل للخراج المتزايد الذى كان يؤخذ من الرعايا لا يفى بالنفقات الباهظة اللازمة لمواصلة المعارك الحربية فى الهند، وتتضح هذه الحقيقة فى تسجيل كتاب البلاط للوقائع المعاصرة لتلك الفترة، والذين ذكروا أن عمال السلطان محمود كانوا يجبرون الرعايا على دفع الضرائب ويشقون عليهم يعاملونهم كالخراف التى تسلخ جلودها.

كذلك يسجل المؤرخون أن كثيرًا من القرى والمناطق قد خلت من السكان، وخربت الترع والقنوات اللازمة للرى، وصارت مهجورة، ويمكن معرفة هذه الحقيقة من اختلال ميزان الخراج وسوء الاستفادة منه، والحصول على الرشاوى، والقسوة التى كان يتصف بها جباة الخراج وتسابقهم فى سبيل الحصول على مبالغ طائلة(٢).

(٧) الغلمان والرقيق وأثرهم فى الحياة الاجتماعية:

لعب غلمان الأتراك دورًا هامًا فى بنية الحياة الاجتماعية للدولة الغزنوية وذلك لعدة عوامل من أهمها، ارتفاع شأنهم فى الدولة لانتماء الغزنويين فيها، بالإضافة إلى ما وقع على كاهل هذا العنصر من أعباء الحكم والسيادة، فقامت الدولة الغزنوية على أكتاف قوة الغلمان العظام - أمثال ألبتكين وسبكتكين وأحفادهم - الذين خدموا الجيش والدولة السامانية فى كل من خراسان وما وراء النهر حتى قيام دولتهم ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م.

---

١ - تاريخ إيران "اردوران باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادى، تأليف، ويتكولوسكايا، أ. يو. باكوبوسكي، أى، ب. بطروشفسكي أ.م. بلنيتسكى، ل.و. استرويوا، ترجمة كريم تشاورز تهران ١٣٥٤ هـ.ش. ص٢٦٢.

٢ - تاريخ إيران: "اردوران باتان تاپايان سدة هيجدهم ميلادى" تأليف مجموعة روسيان، ص٢٦٢.

وهؤلاء الغلمان قد خضعوا لنظام صعب من التدريب والأعمال الشاقة فى ظل السامانيين حتى رفعوا من رتبة الغلام تدريجيًا وفقًا لخدماتهم وكفايتهم ثم لقيادة الجيش فى الدولة، كان ألبتكين مولى للسامانيين، ولى قيادة جيش خراسان العليا فى الخامسة والثلاثين من عمره، كان صادق العهد وفيًا شجاعًا وكان تركيا محبوبًا لدى الناس، محبًا لجيشه، جوادًا معطاء، يخاف الله ويتقيه، ولقد جمع كل خصال السامانيين وسيرهم الحميدة، وكانت أموال خراسان والعراق تحت تصرفه، كما كان له ألف وسبعمائة عبد وغلام تركي[1].

ثم تولى هؤلاء الغلمان حكم مملكة غزنة إلى أن أسس سبكتكين دولته، واستمد قوته منهم، فأصبحوا قوة لا يستهان بها فى الدولة، فتولى بعضهم قيادة الجيوش فى كل من خراسان والهند، ومنهم من كان فى سلك الأشراف - وهو الديوان الخاص الذى يشرف على أمن الدولة ومصالحها - ومنهم من أحاطه السلطان برعايته وكان يصاحبه في رحلاته ويشاركه في مجالس شرابه، ويستخدمه فى حراسة قصره.

ثم توالى على بلاط الغزنويين الكثير من الغلمان والرقيق والجوارى من بلاد ما وراء النهر سواء كهدايا أو عن طريق أسواق سمرقند التى اشتهرت بتجارة الرقيق، وكان لدى السلطان محمود العديد من الغلمان إلا إنه كان يعتز بأحدهم أياز بن أويماق[2] - الذى يقال أنه كان فى غاية الجمال ومحبوبًا منه - وكان يخدمه ويحضر مجلس شربه ويجالس ندماءه، إلا أن الشعراء قد

---

١ - نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٤، ١٤٥ .

٢ - كان اياز أحد الذين انتهزوا فرصة غياب الأمير مسعود عن قصر الحكم ودعوا الأمير أبا أحمد محمد من بلده جوزجان على مقربة من العاصمة غزنة، ليتولى عرش والده إلا أنه هرب، وانضم إلى مؤيدى السلطان الجديد مسعود، الذى جعله واليًا على مكران وقصدار، وتوفى سنة ٤٩٩هـ.

عنصر المعالى كيكاووس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار - قابوس نامة - به اهتمام وتصحيح دكتر غلام حسين

يوسفى - تهران ١٣٤٥ هـ.ش. ص٣٢١ .

البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١، ٨٣، ٢٩١ .

استغلوا هذه العلاقة البريئة وجعلوا منها قصصًا وخيالاً حتى تحولت إلى حب رومانسى مثير(١).

ومع ذلك فؤلاء الغلمان أصبحوا قادة عظامًا وسجلوا للدولة الغزنوية انتصارات كبيرة فى ميدان المعارك الحربية فى كل من خراسان والهند، وقد اشتهر بعضهم فى الجبهة الخراسانية، فكان القائدان بكتغدى وشباسى اللذان وقفا ضد الزحف السلجوقى فتراة ست سنوات على خراسان، كما اشتهر القائد أحمد ينالتكين فى الجبهة الهندية وسجل انتصارات عسكرية للدولة الغزنوية هناك، هذا وشكلت طبقة الغلمان عنصراً هامًا فى الدولة، واستطاعوا أن يحرزوا نصراً مؤزراً، ويفتحوا مناطق واسعة، ويحققوا لأنفسهم السلطة القيادية وأحيانًا السلطة السياسية للمناطق التى كانت تقع تحت سيطرتهم(٢).

أما طبقة الرقيق فكان الرقيق الصقلبى يفضل التركى، ويقول المؤرخون "كان يستخدم التركى عند غيبة الصقلبى "لما تصفوا به، من خلق، وطاعة، وهيئة وكانت سمرقند أكبر سوق لتدريب الرقيق، واشتهر رقيق ما وراء النهر بالجمال والذكاء(٣).

وكان يقوم هؤلاء الرقيق بأعمال وخدمات مختلفة فى بيوت الأمراء، والأغنياء ورجال الدولة وكان لدى السلاطين الكثير منهم، ما بين التركى الصقلبى، ومنهم من يقوم بحراسة النساء وخدمتهم، ويعرفون بالخصيان ومنهم من يقوم بحراسة القصور، ويطلق عليهم الفراشيون يتخذون من بينهم رئيسًا عليهم. وكان ديوان الوكلات أو مراقبة نفقات الإسلامية الحاكمة. يديره رجل ذو سمعة طيبة، لأن هذا المنصب كان حساسًا للغاية نظراً لما كان على عاتق شاغله من المسئولية فى خدمة القصر، ومع عدم وضوح مهام هذا

١ - البيهقى: تاريخ، ص٢٩٩ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٢٤ إلى ٤٣٠، ٥١٥، ٥٥٦، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٦ .

٣ - آدم متز - الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٨٢ .

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٨٧ .

المسئول على القصر إلا أنه كان يقوم بالإشراف على المطبخ الملكى والاصطبلات وعلى مواقع التسلية، كما أن هذا الوكيل كان مسئولاً أيضًا عن الخزانة الملكية الخاصة وتوزيع التموين والرواتب على الموظفين الذين كانوا يعملون فى قصر السلطان(١).

ثالثًا: المناسبات الاجتماعية والأعياد:

(١) الأعياد الدينية (عيد الفطر وعيد الأضحى):

كان المسلمون فى خراسان كسائر المسلمين فى الأقاليم الأخرى يحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية الكثيرة منها الاحتفال بحلول شهر رمضان وعيد الفطر والأضحى كما كانوا يحتفلون بالأعياد الفارسية القديمة مثل النوروز والمهرجان والسدق .

وكانت المدن الخراسانية تستقبل هلال شهر رمضان بالتكبير والتهليل، وكان المسلمون يقيمون الزينات والأنوار الخاصة بهذه المناسبة ابتهاجًا وفرحة بليالى رمضان المباركة، فكان السلطان يعد نفسه لهذا الشهر الفضيل فيلغى كل ارتباطاته الخارجية، ويستعد لاستقبال المهنئين من شتى طبقات الشعب، كما كان من المعتاد فى أول أيام رمضان أن يتناول طعام الإفطار مع الأمراء والأعيان فى قصرة ويحضر هذه المأدبة كبار القادة والفرسان والنقباء وغيرهم من كبار رجال الدولة(٢).

كما كان السلطان فى هذه المناسبة الكريمة يأمر المسئولين فى بداية شهر رمضان بأن تكتب قوائم بأسماء المسجونين فى سجون غزنة ونواحيها ومن فى القلاع لكى تعرض عليه، ويصدر به مرسومًا سلطانيًا للإفراج عنهم، وكان السلطان يأمر بتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين وقد وزع فى عام

---

١ - البيهقى: تاريخ، ص٢٩٩ .

عبدالعزيز الدورى: تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ص٦٣ .

٢ - حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٤٥٢ .

٤٢٢هـ/ ١٠٣١م، ألف ألف درهم على الفقراء والمحتاجين بغزنة ونواحيها، أما على مستوى الدولة فكان السلطان يبعث مع بداية كل رمضان الكتب والرسائل إلى كافة الأقاليم لتخليق المساجد للذكر وقراءة القران(١).

وصادفت سنوات الحكم الغزنوى لخراسان بعض المصادمات الدموية بين الغزنويين والسلاجقة وفى شهر رمضان من سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، كانت مدينة نسا قد وقعت تحت سيطرة السلاجقة الذين قاموا بنهب المدينة بما فيها من الالات والنعم والدواب والذهب والفضة والألبسة والسلاح لدرجة أنهم لم يصدقوا هزيمة هذا الجيش الغزنوى القوى بعدته وعتاده فى ذلك الوقت، ومع ذلك فقد خيم الخوف على السلاجقة من مغبة لجوء الغزنويين إلى الانتقام منهم، فلذا عقدوا مجلسًا وجلس الأعيان والمقدمون والشيوخ حتى يتشاوروا فيما بينهم، واستقر الرأى على أن يبعثوا رسولاً إلى السلطان مسعود، ويجددوا ولاءهم له ويلتمسوا العذر لما حصل منهم فى هذه المدينة من السلب والنهب على أيديهم، فقبل السلطان ذلك العذر وتفاوض مع رسولهم، ونظر فى شكواهم من والى خراسان، فأرسل وفداً مع رسولهم إلى هذه المناطق للتحقيق فيما أصابهم من ظلم وجور ذلك الوالى، ورأى أن يعطى المقدمين الثلاثة - داود وطغرل وبيغو - حكم المدن - نساو فراوة ودهستان - ترضية لهم وحقنا للدماء بين الطرفين(٢).

إلا أن هؤلاء القادة لم يرضوا بما عرضه عليهم، وعاشت خراسان فى حروب مستمرة حتى هل شهر رمضان عام ٤٣١هـ/ ١١٠٤م، وكان السلطان مسعود يريد أن يضع حدا لهذه المهاترات وينهى الحرب لصالحه، ودخل خراسان بكل ثقة من العتاد والأسلحة وجيش قوى إلا أن الهزيمة كانت تلاحقة فى كل مكان، ولم يستطع تحقيق رغبة وأمانى الخراسانيين وهى إنقاذ

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٩٩ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٢٨ .

بعض مدنهم من فساد هولاء الأتراك الذين نهبوا وسلبوا بيوتهم وهدموا دورهم وجعلوا تلك المناطق فى وضع اقتصادى سيء للغاية[1].

عيد الفطر:

أما بالنسبة إلى عيد الفطر المبارك، فكان الناس يحتلفون برؤية هلال شهر شوال وهى من المناسبات التى تسر النفوس حيث تقام فيها الزينات والأنوار فى جميع أنحاء الإقليم ابتهاجًا بهذه المناسبة السعيدة، وفى الصباح يخرج الناس لصلاة العيد، ثم يتبادلون التهانى فرحين بإتمامهم شهر رمضان، ثم يخرجون أفواجًا أفواجًا من المصلى إلى بيوت الأصدقاء لتبادل الزيارات ولتناول بعض الأطعمة التى أعدت خصيصًا لمثل هذا اليوم من الحلوى والأكلات الشعبية وغيرها.

أما على مستوى الدولة، فكان السلطان يجلس فى يوم العيد فى أحد بساتين القصر لتقبل التهانى من المهنئين بالعيد، وكانت تقام لهذه المناسبة الموائد السلطانية من جميع أنواع الأطعمة وكان السلطان يتناول طعام العيد مع قادة الجند وكبار رجال الدولة من وزراء ويدعى أيضًا كبير الحجاب وغيره.

ويصف البيهقى عيد الفطر فى مدينة هراة، وهى أحدى المدن الخراسانية التى كان السلطان يتخذها منتجعًا له فى بعض فترات السنة، فيقول: صادف وصول السلطان إلى هراة ليومين باقيين من رمضان، فنزل الجوسق المبارك حيث أقيمت مراسم عيد الفطر، وزينت مبانى القصر والحديقة بحيث شهد الجميع بأنهم لم يروا الملك عيدًا مثله، فقد مد سماط للسلطان فى المبنى الجديد الذى أنشئ فى الحديقة العدنانية، كما أعدوا موائد أخرى فى البساتين للقادة ومقدمى الفرسان، بينما كان الشعراء ينشدون الأشعار[2].

كذلك كان السلطان يحتفل بالعيد بين الجنود والقادة فى أحد المعسكرات كما حدث فى عام ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م، وقد أعدت العدة للاحتفال بيوم العيد

---

١ - نفس المصدر: ص٦٦٣، ٦٦٤ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٧، ٤٨ .

فى معسكر شابهار، وبعد أن أدى السلطان صلاة العيد مع كبار القادة والوزراء ورجال الدولة، حضر استعراض الجيش بجميع قواته، ثم جلس إلى المائدة ومعه الأمراء والوزراء والقادة وأمراء الديلم وعظماء البلاط، وجلس الآخرون على موائد أخرى، ثم أنشد الشعراء الأشعار وتلاهم المطربون بالغناء، ودارت الكؤوس بحيث انصرفوا من على الموائد وهم سكارى[١].

عيد الأضحى:

وهو من الأعياد الإسلامية التى كانت لها منزلة خاصة لدى المسلمين فى خراسان وكان يبدأ الاحتفال به ليلة التاسع من ذى الحجة بالوقوف على عرفة، يوم العيد يؤم أحد العلماء الناس لصلاة العيد، ويلقى عليهم خطبة فى فضائل العيد، وما يجب على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائره ولا عجب فقد كانت مظاهر الإسلام تتجلى فى الاحتفال بعيد الأضحى فى البلاد الإسلامية وخراسان، وخاصة فى نيسابور وهراة وبلخ .

وكانت بعثة الحج فى الدولة الغزنوية يرأسها أحد الأعيان قاضى القضاة، وكانت البعثة تعبر طريقها فى أراضى الخلافة العباسية للذهاب إلى الأراضى المقدسة فيعتبر المؤرخون أن موسم الحج كان من أعظم المناسبات فى بغداد، حيث كانت يهرع الناس فيه إلى الفرجة لقدوم ضيوف الرحمن وتستمر هذه المظاهر عدة أيام نظرًا لقدوم مجموعات جديدة من الحجاج، فيخرج البغداديون للترحيب بهم ومعظم هؤلاء الحجاج من مناطق خراسان الذين ينزلون فى بغداد ويجعلونها محطة لهم، ثم يتحركون من باب الكناسة فى مواكب تضم حامل الأعلام والطبول متوجهين نحو أراضى الحجاز[٢].

وكانت هذه المجموعات من الحجاج تسير على نظام القوافل ويحرسها عدد من المسلمين، إلا أنها كانت تتعرض لغارات الأعراب والقرامطة، وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى هاجم أبو طاهر القرمطى قافلة

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٦٧، ٥٦٨ .

٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ج٦، ص٢، ج٧، ص٢٦٢، ٢٧٦ .

الحجاج ونهب وسلب بعضهم ومات أكثرهم عطشًا وجوعًا، وفى عهد الخليفة الراضى تم الالتفاق مع القرامطة على خفارة الحج فكان يفرض على الجمال خمسة دنانير وعلى المحمل سبعة دنانير، وكانت مبلغ ما دفعته الدولة على بذرقة الحج خمسين ألف دينار، ومع ذلك فإن الاضطرابات عادت فى مطلع القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وبطل الحج من العراق، فتوقف فيها الحجاج الخراسانيون (٤٠٢هـ/ ١٠١٢م) - لفساد الطريق، وفى سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م هلك الحجاج بسبب المياه وفسادها فوصل إلى بغداد ستة ألاف من أصل عشرين ألفًا، وذكر ابن الجوزى أن الحج تأخر واضطرب لأن السلطة فى بغداد لم تتفق مع الأعراب على تأمين الحجاج(١).

والحج حسب المتعارف عليه زيارة وتجارة، فكان التجار الخراسانيون يتخذون من بغداد مركزًا تجاريًا هامًا، يحملون بضائع المشرق إلى بغداد، ومن ثم يحملون البضائع البغدادية إلى الحجاز، وذكر المقدسى أن الحجاج كانوا يدفعون مكسا فى بغداد عند عودتهم من الحج للمحمل ستين درهما، وكان الخليفة يتشاور مع الوفود ورؤسها فى أمور بلادهم، وأحيانا كان يتلو عليهم أوامره الإدارية، كما تلا المعتضد على مسامع حجاج خراسان ٢٨٥هـ أمره بتولية عمر بن الليث الصفار بلاد ما وراء النهر وعزل الأمير السامانى منها، وكذلك كان الخلفاء يحملون رؤساء الوفود رسائل إلى السلاطين والأمراء كما رأينا فى وفد القاضى الصاعد عندما اجتمع به الخليفة وحمله رسالة إلى السلطان محمود بعد عودته من الحج(٢).

أما الاحتفال بعيد الأضحى على مستوى الدولة فيذكر البيهقى فى أحداث عام ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨ - ١٠٣٩م أن السلطان مسعود قد أمر رجاله فى مدينة هراة بالاحتفال بعيد الأضحى بشىء من الأبهة والعظمة نظرًا لما حققه

---

١ - مؤلف مجهول: الحدائق والعيون، ج٤، ص٢٥٧ .
ابن الجوزى: المنتظم، ج٦، ص٢٩٦، ج٧، ص٢٦٢ - ٢٦٣ و٢٧٦ .
٢ - العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص٣١٣ و٣١٤ و٣١٨ و٣٢١ .
محلية رحمة الله: الحالة الاجتماعية فى العراق، ص١١٧، ١١٨ .

الجيش الغزنوى من بعض الانتصارات على السلاجقة فى عدة مواقع، فخرج إلى الميدان كثير من الفرسان والرجالة بكامل أسلحتهم، ثم أقيمت الموائد وقدم الشراب، وبعد ذلك استعرض السلطان الجيش فى صحراء خداهان، وقد أقر كل من رأى هذا الاستعراض أن يشيد بقوة الجيش وسلامة ما كان يقال عنه من حيث عدم استطاعته الصعود أمام السلاجقة لصد هجماتهم وعدوانهم على البلاد والعباد، وهذا ما جعل السلطان يخوض معارك ضارية ضد السلاجقة طوال العام. وعندما أقبل عيد الأضحى عام ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م كان السلاجقة قد أنهكوا الدولة الغزنوية، وألحقوا بها عدة هزائم فادحة وأدى ذلك إلى الغاء الاحتفال بالعيد، واختصر السلطان مراسم العيد بالصلاة، ونحر الأضحية، وكان العيد هادئًا وحزينًا، وعاد المهنئون إلى بيوتهم متشائمين(١).

(٢) الأعياد الفارسية القديمة (النوروز - المهرجان - السدق):

ورثت الدولة الغزنوية حضارة الفرس، وتأثرت بحضارة العرب وأساليب اللهو فى هذه الأمم، كما تأثرت بالأمم التى اتصلت بها من ترك وهنود وصينيين، وتجمعت الأموال فى أيدى سلاطينها وأمرائها وجباة الخراج فيها، فكثر المترفون المنعمون، فللقوم فى الاحتفال بأعيادهم آداب وفنون من الترف.

فالنوروز(٢)، كان أعظم أعياد الفرس وأجلها، يتميز على

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٤٨ و٧١٦.

٢ - النوروز: كلمة فارسية مركبة من لفظين: أولهما "نو" بفتح النون أى "الجديد" وثانيهما - "روز" أى "اليوم" إذن فكلمة "نوروز" فى اللغة تأتى بمعنى "اليوم الجديد". وأما فى الاصطلاح فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية الذى يقع فى اليوم الأول من شهر فروردين الموافق ٢١ مارس إلى أول فصل الربيع. ويعتقد الفرس بأن النوروز هو أول يوم من الزمان، وبه يبدأ الفلك فى الدوران - يقول زكريا القزوينى: "زعموا أن الله تعالى فى هذا اليوم أدار الأفلاك، وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب، واسم هذا اليوم هرمز، وهو - إسم من أسماء الله تعالى قالوا فى هذا اليوم قسم الله السعادات لأهل الأرض - من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر، وتدهن بالزيت، رفع عنه البلاء فى عامة سنته، ويتفاءلون بما وقع لهم فى هذا اليوم. زكريا بن محمد بن محمود القزوينى عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات نشر مكتبة محمود توفيق القاهرة بدون تاريخ، ص٧٣.

فؤاد عبد المعطى الصباد (دكتور) النوروز وأثره فى الأدب العربى، بيروت، ١٩٧٢، ص١٣، ٢٥

المهرجان[1]، بأنه استقبال السنة، وافتتاح جباية الخراج، وزمن تولية العمال واستبدالهم، وضرب الدراهم والدنانير، وتذكية بيوت النيران، ورش الناس بعضهم بعضًا بالماء، وتقريب القربان وتشييد البنيان، وما أشبه ذلك[2].

وفى عيد النوروز كان الناس يغتنمون الفرصة، ويلتمسون الراحة من عناء الأعمال التى كابدوها طوال العام، ويشعرون بأن بأبدانهم حقًا عليهم، فيأخذون نصيبهم من المتعة، ويشعرون بالسعادة والطمأنينة، ويتسلخون لفترة من حياة الهموم والعناء، ويخلدون للراحة والاستجمام حتى يعود للجسم بناؤه، وللفكر نشاطه، وللعقل قوته، لأنه متابعة العمل من غير راحة، ولو لفترات متباعدة يورث الجسم الكلل، والنفس الملل، وذلك أخطر شىء على حياة الإنسان وسعادته[3].

وكان من بين العادات المستحبة التى صاحبت عيد النوروز، تقديم الهدايا كرمز لتأليف القلوب بين الناس، وكوسيلة لتجديد الروابط المعنوية بينهم وبين حكامهم، وكان العميد سورى والى خراسان يغتنم هذه المناسبات لإرسال الهدايا القيمة، حتى يكتسب سمعة طيبة لدى السلطان لأن الهدية على حد تعبير الجاحظ تجلب المودة، وتنزع المحبة وتغنى الضغينة، وتصير البعيد قريبًا، والعدو صديقًا، والبغيض وليًا، والثقيل خفيفًا[4].

---

١ - "المهرجان" كلمة فارسية معربة أصلها "مهركان"، كان الأعياد الفلرسية الهامة. وليس أدل على ذلك من أن كلمة "مهرجان" صارت تطلق فى العربية على كل احتفال هام أو اجتماع عظيم. وهذا العيد فى الحقيقة يلى فى الشهرة عيد النوروز . وكان الإيرانيون يحتفلون بهذا العيد أيضًا منذ أقدم العصور، وذلك فى اليوم السادس عشر من شهر مهر
فؤاد الصياد: النوروز، ص٢٥ .

٢ - أبو عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب التاج، تحقيق أحمد زكى، طبعة المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، ص١٤٦ .
أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزج، ١٩٢٣، ص٢١٥ .

٣ - فؤاد الصياد (دكتور): النوروز، ص٢٦ .

٤ - أبو عمرو بن بحر الجاحظ: المحاسن والأضداد، نشر المكتبة التجارية القاهرة، ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م، ص٢٧٩ .

ويذكر البيهقى أن السلطان مسعود عندما عزم على السفر إلى خراسان على أثر وفاة أبيه أرسل رسولاً إلى علاء الدولة أبى جعفر كاكو - حاكم أصفهان - لمفاوضته فى إبرام معاهدة ود وصداقة، وبعد مفاوضات استمرت ثلاثة أيام، استقر الرأى على أن يكون خليفة الأمير مسعود فى أصفهان أثناء تغيبه عنها، وأن يؤدى عن كل عام مائتى ألف دينار هروى، وعشرة آلاف ثوب من منسوجات تلك البلاد، ومن الخيول العربية والبغال المسرجة، ومن كل نوع من معدات السفر، وذلك فضلاً عن أنواع الهدايا فى النوروز والمهرجان[1].

أما فى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م فقد جلس السلطان مسعود للاحتفال بالنوروز . وكما أعطى المحتفلون هذا اليوم حقه من الاهتمام، وقدم الموالى الهدايا، فبادلهم السلطان إياها اتباعًا للرسم، ودار الشراب واشتغل الطرب، فوق ما يتصور، لأن السلطان لم يكن يتناول الخمر منذ توبة جيلم[2] حتى هذا الوقت[3].

وفى سنة ٤٣١هـ/ ١٠٤١م جلس السلطان للاحتفال بالنوروز، وقدمت إليه هدايا كثيرة، وأقيمت زينات بهيجة، واستمع للشعراء، فقد كان منشرحًا مسروراً إذ خلت هذه الفترة من الأحداث . وفى هذا العيد أمر بالصلات للحاضرين، وكذلك للمطربين، كما شفعوا للشاعر مسعود الرازى فى هذا اليوم فأمر السلطان له بثلاثمائة دينار مع كتاب منه يتقاضى ألف دينار شهريًا من معاملات جيلم[4].

أما بالنسبة لعيد المهرجان، فكان الإيرانيون يحتفلون بهذا العيد منذ أقدم العصور وذلك فى السادس عشر من شهر "مهر"، والمهرجان هو دخول

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٥، ١٦ .

٢ - جليم نهر كبير بين بشاور ولاهور ويقطع ولاية كشمير وهو أحد أنهار البنجاب الخمسة الكبيرة. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٧٩ .

٣ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٨١ .

٤ - نفس المصدر: ص٦٧٣ .

الشتاء وفصل البرد، على عكس النوروز هو ابتداء فصل الربيع إذن بدخول الحر.

والقلقشندى يفسر كلمة "مهرجان" بقوله إن "مهر" بالفارسية معناها "حفاظ"

و"جان" معناها الروح، وفى ذلك يقول عبيد اله بن عبدالله بن طاهر:

إذا ما تحقق بالمهرجان　　　من ليس يعرف معناها غاظا

ومعناه أن غلب الفرس فيه　　　فسموه الروح فيه حفاظا

على أن البيرونى[(١)] يعطينى تفصيلاً أكثر دقة بالنسبة لعيد المهرجان فيروى فى كتابه "الآثار الباقية": "إن اليوم السادس عشر من شهر مهر عيد كبير يعرف بعيد المهرجان وفيه يلتقى إسم اليوم مع اسم الشهر، قيل أن مهر اسم الشمس - وأن - الشمس ظهرت للناس فى هذا اليوم، وهو لهذا ينسب إليها، وفى عهد الملوك الساسانيين كانوا يضعون على رؤوسهم فى هذا العيد تاجًا شبيهًا بالشمس، كما أنهم كانوا يقيمون أسواقًا واحتفالات كبيرة بهذه المناسبة السعيدة. وقد جرت العادة على أن يحتفل الإيرانيون بهذا متبعين فى ذلك رسومًا وعادات كثيرة تشبه ما كانوا يسيرون عليه فى الاحتفالات بعيد النوروز فهذا العيد مثل عيد النوروز قسمان: أحدهما يقال له مهرجان العامة ويقع فى السادس عشر من شهر مهر، والآخر مهرجان الخاصة، ويقع فى اليوم الحادى والعشرين من هذا الشهر وكان مذهب الفرس فى المهرجان أن يدهن ملكهم بدهن البان تبركا، وأن يلبس القصب والوشى، ويتوج بتاج عليه صورة الشمس، ويكون أول من يدخل إليه الموبذان بطبق فيه أترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وعناب وتفاح، وعنقود عنب أبيض وسبع طاقات آس ثم تدخل الناس على طبقاتهم لتهنئته بالعيد وتقديم الهدايا ثم يعم الفرح والسرور الجميع.

---

١٦٧ - أبو الريحان البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص٢٢٣، ٢٢٤.

وقد تجلت روعة الاحتفال بهذا اليوم فى العهد الغزنوى، إذ أبدى السلطان مسعود اهتمامًا كبيرًا بعيد المهرجان، فكان يجلس السلطان للمعايدة ولتقبل التهانى والهدايا من الوزراء والأمراء والولاة، ولذلك يروى البيهقى احتفالاتهم بهذا اليوم بقوله: "وفيه يأكلون الدجاج المشوى على السفور والخصى والبيض المسلوق وما يلزم فى المهرجان من المحمرات والسميط، وجلس أعيان الدولة والندماء فى المجلس وبادروا جميعًا إلى اللهو والطرب، وكانوا يتناولون الطعام على طريقة الاستلات (أى بأصابعهم)، ثم دارت أقداح الشراب، كما عزفت القيثارة وآلات الطرب وأخذ المطربون فى الغناء، فكان يومًا عظيمًا يليق يملك مثل السلطان مسعود[١].

ومن الأعياد الفارسية التى كانت تحتفل بها خراسان عيد السدق أو سده[٢]، فكان يحتفل به فى اليوم العاشر من شهر بهمن[٣]، وسنتهم فيه إيقاد النيران، وجاء فى بعض المصادر أن سبب تسمية هذا العيد "بالسدق" أو "سدة" يرجع إلى أنه لما كانت المدة بين هذا العيد وبين النوروز خمسين يومًا خمسين ليلة، أطلقوا عليه هذا الاسم.

أما عن الرسوم والعادات المتبعة فى هذا العيد، فإن الأمر الذى لا شك فيه أن هذا العيد فى مختلف العصور كانت له بهجة وروعة، فمن خلال الروايات العديدة والأشعار الكثيرة نستطيع أن نتبين أ السدق من حيث الأهمية والعظمة يضارع النوروز والمهرجان، وكانت تشعل فيه النيران بكثرة هائلة حتى كان يرى لهيبها على بعد فراسخ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى وقوعه

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٦، ٥٤٠، ٥٤١ .

٢ - ولفظة سدة: مركبة من جزأين الأل سد أى صد بمعنى مائة والثانى الهاء التى تفيد النسبة والانصاف . فمعنى الكلمة إذن المنسوب إلى العدد مائة، وترد هذه الكلمة فى المعاجم الفارسية بمعنى النار المشتعلة المتأججة التى كانت توقد قديمًا بمناسبة الاحتفال بهذا العيد، وربما جاء هذا المعنى المجازى لكلمة "سدة" بسبب النيران التى جرت عادة الفرس على أن يشعلوها فى هذا اليوم.

حسن مجيب المصرى: المعجم الفارسى العربى الجامع، القاهرة ١٩٨٤، ص٢٠٥ .

محمد التونجى: المعجم الذهبى، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٣٨ .

٣ - الذى يصادف ليلة الحادى عشر من شهر بهمن من شهور الفرس (يناير - فبراير).

فى فصل الشتاء واشتداد البرد. وفى هذا العيد كان الناس يلهون ويمرحون ويأكلون اللوز والجوز ويعكفون على الشراب فرحين مستبشرين، ويبادر الملوك والأمراء والناس على اختلاف طبقاتهم بتهيئة جميع وسائل الوقود ووضعها فى الميادين العامة وعلى أسطح المنازل وقمم الجبال وفوق التلال، والأماكن المرتفعة ثم تشعل فيها النيران فتنطلق ألسنتها إلى عنان السماء، بحيث أن لهيبها يرى على بعد عدة فراسخ، وذلك مثل عيد السدق الذى احتلف به السلطان مسعود فى ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، إذ يروى البيهقى روعة الاحتفال بهذه الليلة فيصور لنا لهيب النيران المتوهجة بأنها كانت ترى على بعد عشرة فراسخ . وإن هذا العيد كان من أهم أعياد النار، وإن الفرس فى مسائه كانوا يتبخرون لطرد السوء حتى صار فى كل رسوم الملوك، كما كان من عاداتهم إبقاء النيران فى ليلته، وإرسال الوحوش فيها وتطيير الطيور فى لهيبها والشراب والتلهى حولها.

كذلك يصف البيهقى هذا العيد فيقول: "وكان عيد سده قد اقترب فساقوا إلى الصحراء جمال السلطان، وكذا جمال الجيش، وأخذوا فى جمع حطب الطرفاء ليوم سده، ثم ساروا وأحضروا عيدان الحطب، وألقوها فى صحراء بها نهر كبير مملوء بالثلج فتراكمت وأصبحت كالقلعة، وأقاموا عرائس من الخشب وملأوها بالطرفاء، ثم جمعوا أكوامًا أخرى كثيرة حتى صارت كالجبل ارتفاعًا، وأتوا بكثير من المعدات والطيور وما يلزم ليلة هذا العيد من الحاجيات. ولما حل العيد جلس السلطان فى الليلة الأولى فى مخيم أعد له على شاطئ النهر، وجاء الندماء والمطربون، وأشعلوا النار، وأطلقوا الطيور المبللة بالنفط، وأطلقوا الوحوش التى أحاط بها الثلج فكانت تجرى وقد علقت بها النار[1].

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٦، ١٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٥٣٨ .

(٣) العادات والتقاليد:

هناك بعض المظاهر الخاصة لحياة الغزنويين لم يتحدث عنها أغلب المؤرخين بشئ من الدقة والتفصيل إلا أن البيهقى مؤرخ عهد السلطان مسعود قام بوصف هذه المظاهر الاجتماعية لنا سواء على الصعيدين الرسمى والشعبى، فوصف المراسم والعادات والتقاليد والمواكب فى العصر الغزنوى، وخاصة ما يختص بعصر السلطان مسعود.

وكان الخراسانيون يهتمون بإقامة حفلات كبرى لاستقبال مقدم السلطان أو الوفود التى كانت تفد إلى الدولة من الخلافة العباسية أو من الدول المجاورة، فحينما توجه السلطان إلى خراسان لتولى مهام الحكم فى غزنة، خرج أهل نيسابور بجمع طبقاتهم لاستقباله وألسنتهم تلهج بالدعاء له، فكان القراء يرتلون آيات الذكر الحكيم، بينما ازدانت الأبنية والعمارات بأبهى معالم الزينة، وفرشت بالفرش الثمينة التى أعدها الوزير حسنك خصيصًا لمثل هذه المناسبات[1].

كذلك لم يقتصر استعداد الجند على التعبئة والسير لرؤية السلطان، بل ارتفعت أصوات الطبول وعلانفير الأبواق وشقت نداءات الرجال عنان السماء تحية له، ثم بدأت الجنائب تسير بكامل أسلحتها ودروعها والغلمان المجهزون بالعلامات والمطارد وخيل الخاصة بكثير من الفرسان والرجالة، وفى اليوم التالى اعتلى السلطان العرش، فاستقبل القضاة والفقهاء والعلماء وتكلموا فى التهانى والتعازى ثم وعد الجميع بالعدل والإحسان بين الناس والنظر فى المظالم يومين فى الأسبوع على أن تفتح أبواب الولاية دون تفريق بين الشريف والوضيع، فيعرض كل صاحب مظمة ظلامته، فينظر القاضى فيها ويحكم بالعدل، ودن أن يتجشم أى عناء[2].

---

١ - الكرديزى: زين الأخبار، ص٣٢١.
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٦، ٣٧.
٢ - نفس المصدر، ص٢٦.

ومن مراسم المجاملة التى حرص عليها الخراسانيون فى العصر الغزنوى، استقبال الوفود ومنها وفد الخلافة العباسية، فعندما تولى السلطان مسعود مقاليد الحكم فى خراسان، جاءت الأخبار بوصول رسول الخليفة القادر بالله قرب بيهق، حاملاً التهنئة والصلات للسلطان بهذه المناسبة، فسعد السلطان مسعود بتلك الأخبار، وأمر رئيس مدينة نيسابور بإقامة أقواس النصر ومراسم الابتهاج، حتى أصبحت المدينة فى أبهى الحلى من الزينة، كما أقيمت المهرجانات وسرادقات الأنس والطرب من أبواب المدينة إلى مبنى مسجد الجمعة الذى أعد خصيصًا لنزول الرسول، وعندما قدم استقبل فى موكب عظيم وأبهة فائقة، وكان الناس ينثرون على الموكب الدراهم والدنانير والسكر وغيرها، فى حين أن أهل الطرب والمجون يبدون العجائب من فنونهم، بينما مدت السماط وكان فيه ما تشتهيه الأنفس ومما لذ وطاب، وبعد أن فرغوا من الطعام، جيء بما لا يحصى من النزل مع عشرين الف درهم من الفضة برسم هدية الحمام، مما أدهش الرسول لكثرة تلك الهدايا وأثنى السلطان على أهل نيسابور لنبلهم وكرم ضيافتهم لهذا الوفد[1]، ثم بدأ حفل تنصيب السلطان مسعود للسلطنة، فتلا رسول الخليفة المنشور والرسالة ثم فتحوا الصناديق وأخرجوا الخلع منها، وارتدى مسعود الخلعة وصلى ركعتين حمداً لله على توريث الخليفة إياه ملك أبيه بتمامه[2].

كذلك كان لتنصيب الوزراء فى الدولة الغزنوية مراسم خاصة لتعيينهم، فعندما أسند السلطان مسعود الوزارة للخواجه أحمد بن الحسن الميمندى، استقبله فى القصر، وتقدم الوزير نحو الحضرة يتبعه الوجوه والأعيان

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٢، ٤٣، ٤٤، ٣٩٢ .

٢ - وكان المنشور ينطق بأن ما كان فى حوزة أبيه، يمين الدولة وأمين الملة، قد فوض أمير المؤمنين أمرها إليك . وأن يكون لك كل ما فتحته من الرى والجبال وأصفهان وطارم والنواحى الأخرى، وكذلك كل ما تفتح بعد ذلك من ممالك المغرب والمشرق وحمل الرسل هذه الرسائل، وأقيمت الخطب فى كافة البلاد باسم السلطان مسعود.

البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٧ .

والمقدمون والموالى والحشم وأدوا جميعًا فروض الطاعة، ثم أقسم الوزير اليمين أمام السلطان قائلاً: "بسم الله الرحمن الرحيم" إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. أقسم بالله العظيم الذى يعلم السر والعلانية، بأن أكون صادقًا مع السلطان العظيم أبى سعيد مسعود بن محمود - أطال الله بقاءه - فى القلب والنية وأن أصادق أصدقاءه وأعادى أعداءه وأن أبذل سعيى وجهدى لكل ما يعود لصالحه وصالح أولاده والأمراء والحشم الخاص به، وأن أكون مخلصًا لجيشه وماله وملكه، ولا أتساهل مع العابثين والمرتشين والمخالفين، وإذا خالفت هذا اليمين يجب على الحج ثلاث مرات، ويكون كل مالى وأملاكى ملكًا للسلطان والدولة[١].

ومن العادات الاجتماعية ارتداء البياض فى مناسبات الحداد، ويذكر البيهقى أن الأمير مسعود جلس للعزاء فى وفاة أبيه مرتديًا قباء ورداء وعمامه بيضاء، وحضر كل الأعيان ورؤساء الجند للعزاء مرتدين البياض، أما فى أوقات العمل والمناسبات الخاصة والعامة. فكان الغزنويون يرتدون الملابس الفاخرة، فعندما وفد إلى السلطان مسعود رسول من الخلافة العباسية كان يحمل معه الهدايا والخلع الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى، وكانت من ضمن هذه الخلع الملابس من الديباج الأسود المطرزة بالذهب وألبسة بغداد الثمينة، وتيجان مرصعة بالجواهر والفيروز، وكان من عادة سلاطين الغزنويين أنهم لا يضعون على رؤوسهم التيجان إلا فى الحفلات الخاصة كحفلة تنصيب أحدهم للحكم، أما فى الأيام العادية فإنهم كانوا يضعون على رؤوسهم العمامة، فمن هنا نجد أن الخليفة القائم بأمر الله قد بعث ضمن الهدايا والخلع عمامة قد لفها بنفسه ليضعها على رأسه بعد التاج، ثم أمره بأن يسل سيفه على الزنادقة والقرامطة، وأن يحاف بهذه السيرة على البلاد والعباد، كما كان والده يمين الدولة يحارب به أعداء الدولة العباسية وأعداء الدين[٢].

١ - العقيلى: آثار الوزراء، ص١٨٥، ١٨٦ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٦، ٣٩٢ .

أما عن ملابس الأمراء فيذكر البيهقى أن الأمير مردانشاه لبس فى حفلة زواجه قباء من الحرير الأسود الموشى باللؤلؤ، وقلنسوة ذات أربعة أركان محلاة بالذهب ومرصعة بالجواهر، كما كان الوزراء يمنحون الملابس والخلع عندما تسند إليهم الوزارة، وكان البياض هو اللون الخاص بهم، وقد منح السلطان مسعود وزيره، أحمد بن الحسن الميمندى قباء سقلاطونيًا بغداديًا ناصع البياض عليه نقوش دقيقة[١]، أما السواد فكان اللون الرسمى لملابس الحجاب، وقد أورد البيهقى عدة إشارات فى كتابه عن الخلع والملابس التى كانت تمنح للحجاب فيقول: "عندما استقر رأى السلطان مسعود على منح منكيتراك منصب الحجابة، أمر بأن يلبسوه السواد ويخلعوا عليه خلعة فاخرة[٢].

أما خلعة العسكريين والولاة، فكانت تحتوى على عدة أشياء، فقد أهدى السلطان مسعود لقائده أحمد ينالتكين خلعة فاخرة من بيها حزام ذهبى وقبعة ذات ركنين مصاغة بألف مثقال، أما خلعة الولاة فكانت عبارة عن قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة وجواد وسرج وكمر من ذهب[٣].

كذلك كان الندماء يحضرون مجالس السلاطين والوزراء، ويلبسون الأثواب الزاهية المصقولة، أما الأعيان والفقهاء والقضاة، فكانوا يلبسون المبطنة، والطيلسان الأسود والدراعة السوداء، والقلانس المستديرة الضخمة، حتى منتصف القرن الرابع الهجرى، ثم أبدلت بالعمائم السود المصقولة، إلا أن علماء مدينة مرو ظلوا يحملون الطيالس على حد الكتفين، أما أهل خراسان بصفة عامة فكانوا يلبسون الملابس الثقيلة والخفيفة حسب فصول السنة وكان من عادتهم لبس الميارز لدخول الحمامات[٤].

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٦٥، ٥٧٠ .

٢ - نفس المصدر، ص٤٦ .

٣ - نفس المصدر، ص٣٩٥، ٥٢٨ .

٤ - الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٢، ص٣٥٢ .

عادات الغزنويين فى حفلات الزواج:

كان الغزنويون يبالغون فى حفلاتهم عند زواج السلاطين والأمراء، فحينما وافق السلطان محمود على تزويج ابنته لوالى جرجان - منوجهر بن قابوس - بالغ كل من السلطان ووالى جرجان فى الاحتفال بهذه المعاهدة، حيث سار موكب العروس بما يشبه المظاهرة من غزنة ماراً بأملاك الغزنويين، يتقدم هذا الموكب البهيج كبار رجال الدولة الغزنوية أمثال الخواجه على ميكائيل وأميرك البيهقى وغيرهما من المقربين للسلطان لتوصيل العروس مكرمة إلى مقر زوجها فى جرجان[1].

كذلك بالغ السلاطين والأمراء فى شأن الصداق، فيذكر ابن الجوزى، أن أحد الغزنويين دفع فى إحدى بنات أمراء السلاجقة أربعمائة ألف دينار، ويتجلى الترف والبذخ أيضًا خلال حفلات الزواج، فقد ذكر البيهقى: أن جهاز ابنة باكاليجار - والى طبرستان وجرجان - عندما زفت إلى السلطان مسعود فاق حد الوصف بما ضمه من تحف ونفيس الجواهر، فقد زفت العروس على سرير كأنه البستان، وكان ضمن جهازك أرضية من نسيج الفضة المزخرفة، وقد اجتمعت عليها ثلاث أشجار من الذهب، أوراقها من الفيروز والزمرد، وثمارها من أنواع اليواقيت، ويحيط بهذه الأشجار الثلاث عشرون من آنية النرجس وأصناف الورود والرياحين، كلها من الذهب والفضة وأصناف الجواهر، ومن حول هذه الآنية طبق من الذهب مملوء بالعنبر والكافور[2].

ومن عادات الغزنويين أنهم كانوا يزوجون أبناءهم فى سن مبكرة، فأورد البيهقى أن السلطان محمود خطب ابنتى أخيه يوسف بن سبكتكين لولديه محمد ومسعود، وكانت أحداهما قد بلغت سن الرشد، والأخرى لم

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٢٥.
٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص٢.
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤١٨، ٢١٩.

تزل صغيرة، ولما توفيت خطيبة الأمير محمد، اختار السلطان محمود الصغرى لتكون زوجة له بدلاً من أخيه مسعود، وكانت هذه الفتاة فى ذلك الوقت بلغت الرابعة عشرة من عمرها، وكذلك تزوج الأمير مردانشاه بن مسعود من ابنة القائد بكتغدى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦ - ١٠٣٧م، وكان حدثًا لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وقد عقد قرانه عليها فى ذلك العام، ثم زفت إليه بعد أقل من عامين فى أوائل سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م[١].

أما عن حفلات الزواج، فكان الغزنويون يقيمون الزينات وأقواس النصر لأستقبال العروس، وقد بلغت هذه الاحتفالات ذروتها فى مدينة نيسابور عندما استقبلت عروس السلطان مسعود وهى ابنة باكاليجار والى جرجان - فخرجت زوجات ونساء كبار رجال الدولة لاستقبال مهد بنت باكاليجار، فنثرن النقود عليها وأكرمن وفادتها، وكانت المدينة فى أبهى حليها فقد زينت السراى وبيوت حسنك بالزينة حتى بلغت حدًا من الجمال لا مثيل له، كما أضيئت الشموع والمشاعل، حتى بدت كأنها فى طلعة النهار[٢].

وكذلك لم يكن الاحتفال بزواج الأمير مردانشاه من ابنة الحاجب بكتغدى أقل من حيث المراسم والفخامة من زواج السلطان نفسه، فعندما تم عقد قرانه، نثرت الدنانير والدراهم على الناس، ولم يبق أحد سيداً كان أو خادمًا، وضيعًا أو شريفًا، قائدًا أو حاجبًا إلا ونال صلة السالار بكتغدى كما أصدر السلطان مسعود أوامره بالعناية الفائقة بهذا العرس، ليس كما يذكر البيهقى[٣]، لحب السلطان لابنه مردانشاه أو لتلبية رغبة زوجته والدة الأمير، وإنما رغبة فى تكريم بكتغدى وإعطائه وزنه السياسى وسط رجال الدولة وقادتها[٤].

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٧٢، ٥٧٠ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى: ص٤١٨، ٤١٩ .

٣ - نفس المصدر: ص٥٧٠ .

٤ - فتحى أبو سيف: المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٠٦ .

وخلاصة القول أن حفلات الزواج أو الأعياد والمناسبات الأخرى كانت تقام بشيء من الأبهة والعظمة لما كانت تتمتع به الدولة الغزنوية من الرفاهية والازدهار فى عهدها الأول من حكم السلطان محمود سواء فى إقليم خراسان أو فى الأقاليم الأخرى، إلا أن هذه الاحتفالات بدأ يقل نشاطها وفعالياتها من إحياء الزينة وإقامة المهرجانات العامة فى السنوات الأخيرة من حكم السلطان مسعود لخراسان، نظرًا للتطورات الخطيرة التى طرأت على الوضع السياسى والعسكرى، وكذلك الهزائم التى توالت على الجيش الغزنوى من قبل السلاجقة.

هذا وهناك عادات وتقاليد أخرى فى حياة الغزنويين منها:

(١) هبة الأسنان (مزددندان):

كان من عادة الخراسانيين عند استضافتهم ضيوف السلطان للطعام بأن يقدموا هبة أو هدية "مزددندان" أى تعب الأسنان، وقد قدم أهل بلخ سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٣١م عندما كان رسول الخليفة القادر بالله فى ضيافتهم هذه الهدية، فقد أعدوا له مأدبة فاخرة فأكلوا، ثم قدموا له مالاً طائلاً لقاء "تعب الأسنان" مما صار له وقع حسن لدى السلطان[١].

كذلك قدم عبد الرزاق بن أحمد بن الحسن الميمندى هذه الهدية للسلطان مسعود عندما استضافه فى ميمند، وقد أبدى من الخدمة والضيافة بما يليق بمقامه، كما قدم له الهدايا الكثيرة باسم منحة الأسنان، وقدم وكلاؤه منحًا كثيرة لما كانوا بصحبة السلطان[٢].

(٢) حفلة الختان:

يذكر البيهقى فى أحداث سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٣٦م أن السلطان مسعود عندما أقام فى الجوسق الجديد الذى شيده بمعرفته وكانت له البصمات الطويلة فى رسم تخطيطه وإتمام هندسته بيديه الكريمتين، احتفل ختان بعض

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٢٠ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٦١، ٥٦٢ .

الأمراء الأنجال يوم الإثنين التاسع من شعبان من نفس السنة، وكان يومًا مشهودًا، وامتد الحفل والشراب بهذه المناسبة سبعة أيام بلياليها، وكان السلطان سعيدًا ويتنزه فى هذا القصر ورياضه ويشرب طربًا بهذه الأفراح[1].

(٣) الهدايا والنثار فى المناسبات والأعياد:

كان الغزنويون يحرصون على تقديم والنثار فى المناسبات والأعياد وكان النثار أموالاً لا تحصى من ذهب وفضة وملابس غير مخيطة، وخيولاً . نجائب غالية، ويذكر الكرديزى أن السلطان محمود قد أمر رجاله بأن يقدموا من الهدايا والنثار عند التقائه بقدر خان من الأوانى الذهبية والفضية، والجواهر النفيسة، والطرائف البغدادية، والثياب الجميلة والأسلحة القيمة والجياد الغالية بسروجها الذهبية وعصيها المرصعة بالجواهر وغيرها من الهدايا القيمة والكثيرة[2].

وعندما أقيمت الخطبة باسم الخليفة القائم بأمر الله فى يوم الجمعة بأحد مساجد بلخ، جلس السلطان ومعه رسول الخليفة بعد الصلاة، فوضح عمال خزنة السلطان تحت المنبر عشرة آلاف دينار فى خمسة أكياس من الحرير نثارًا للخليفة ثم أخذت الأموال بعد ذلك تنهال من الأمراء وكبار رجال الدولة، وكان الموكلون باستلام الهدايا والنثار يضعون كل هدية فى مكان معد له، وكان ينادى المنادى باسم مهديها وبهذه الطريقة جمعوا مقادير كبيرة من الذهب والفضة، وحملت هذه الهدايا والنثار إلى الخزانة عن طريق السوق، فبدأ التجار يقدمون الكثير من الأموال والطرائف المختلفة حتى المساء، ثم ضم هذا كله إلى هدايا السلطان والأمراء وكبار رجال الدولة فيبعث بها إلى الخليفة، كذلك كان الوزير يبعث إلى السلطان بجميع ما يهديه إليه الأفراد حين يلى الوزارة[3].

---

١ - نفس المصدر، ص٥٣٧، ٥٣٨ .

٢ - الكرديزى: زين الأخبار، ص٣٠٤ .

٣ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٢، ٣٢٩ .

عصام الدين عبدالرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٨٨، ١٨٩ .

(٤) الاحتفال بختم القرآن:

هناك إشارات لدى البيهقى تدل على وجود شخصيات قاموا بتعليم الناس القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن، ومن ذلك يبدو أن الأمراء الثلاثة محمد ومسعود ابنا السلطان محمود ويوسف بن سبكتكين قد تعلموا على جدة عبدالغفار الشخص الذى وكل إليه السلطان محمود تربية أولاده وأخيه، فكانت هذه الجدة تستطيع القراءة والكتابة وتحفظ القرآن، وكان الأمراء الثلاثة يجتمعون بها دائمًا فتقص عليهم السير والأخبار والحكايات المسلية وتحفظهم القرآن الكريم، فإذا كان السلاطين يهتمون بتحفيظ أبنائهم القرآن، فإن عامة الشعب كانوا يلجأون إلى المدارس الخاصة التى تقوم بتحفيظ القرآن والعلوم الدينية فى المدن والقرى والطالب الذى يختم القرآن ويحفظه، تقوم المدرسة بعمل احتفال خاص له وللذين ختموا القرآن من قبله، ويخرج التلاميذ فى موكب خاص مع أفراد المجتمع إلى مقبرة البلد، وهناك يتلو الطالب عند قبر أحد أقربائه آيات القرآن، ويقرأ دعاء ختم القرآن ويدعى الجميع إلى بيت المحتفى به ليتناولوا بعض المشروبات والأطعمة الخاصة بهذه المناسبة[1].

(٤) المجالس الاجتماعية:

(١) مجالس الطرب والغناء:

كانت مجالس الطر والغناء تعقد فى قصور السلطلابن والوزراء ورجال الدولة وقد انتشرت هذه المجالس فى عصر السلطان مسعود لشغفه وميله الشديد لها، وكان يحضرها المغنون، والمغنيات، والندماء وتقام هذه المجالس أحيانًا فى مناسبات معينة منها الاحتفال بتولية أمير جديد، فيغنى المغنون فى هذا الاحتفال، ولعل أول مرة سمح السلطان مسعود بهذه المناسبة بعد مرور

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١١٥، ١١٦ .

تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب المعروف بالسبكى: طبقات الشافعية لكبرى الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٢٤هـ، ج٣، ص١١٣ .

بدر عبدالرحمن محمد: رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٨٧، ص١٤٥ .

خمسة شهور على وفاة والده فأمر بإعداد موائد الشراب والطرب، وأخذ المطربون فى الغناء والتوقيع، وبلغ الطرب غايته، وعم السرور الحاضرين جميعا[1].

كذلك كانت تقام مجالس الطرب والغناء فى الأعياد والمواسم، كعيد الأضحى والنوروز والمهرجان فيذكر البيهقى أن السلطان مسعود أمر بإعداد حفل بمناسبة عيد الأضحى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٥م فأعدوا الموائد الفخمة بما يليق بمقام السلطان وضيوفه من كبار رجال الدولة والموالى والحشم، ولما جلسوا حول المائدة، أنشد الشعراء الشعر، وأخذ المطربون فى الطرب والغناء، ودارت كؤوس الشراب فأصبحوا سكارى، وكان السلطان والندماء يتبادلون أطراف الحديث والشراب معًا، ولما مواصلة السهر والطرب معهم، أمر للشعراء بالصلات وللمطربين بخمسين ألف درهم، وقال لهم: "أشبعونا طربا ولهواً"[2].

وهنا مناسبات أخرى كعيد النوروز والمهرجان، وكان يجلس السلطان ليستمع للشعراء وللطرب، وأجاز فى عيد المهرجان للجميع الاحتفال به، فاجتمع أعيان الدولة والندماء فى مجلس واحد وبادروا إلى اللهو والشراب، فعزفت القيثارة وآلات الطرب. وأخذ المطربون فى الغناء، فكان يومًا عظيمًا سعد به الجميع[3].

وكانت تقام مجالس الطرب والغناء فى النزهات والرحلات الخاصة، فأقام السلطان مسعود مجلسًا للطرب فى رحلة على ضفاف نهر جيحون سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م واستقل سفينة وركب الخدم والغلمان والندماء والمطربون السفن الأخرى، وبعد أن تناول السلطان ومن كان بمعيته طعام الغذاء، دارت كؤوس الشراب بينهم، وعلت أصوات المطربين من السفن، بينما كان على

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٨ .
٢ - نفس المصدر، ص٦٠٦، ٦٠٧ .
٣ - نفس المصدر، ص٥٤١ .

الشاطئ أكثر من ثلاثمائة شخص من نساء ومطربى ترمذ يغنون ويرقصون ويضربون الدفوف ابتهاجًا بوجود السلطان مسعود بينهم.

سعد السلطان بهذا الاستقبال الرائع من العاملين وعامة الناس، وأمر رئيس ترمذ وعاملها بتوزيع خمسين ألف درهم على المطربين والراقصات، كما أمر بالصلات لعامة الناس ورجال القلعة الذين شاركوا فى استقباله[١].

وكانت هذه المجالس الغنائية تقام فى أغلب الأحيان للتسلية والترفيه، وفى هذه المجالس، يجتمع المغنون، والموسيقيون، والندماء والشعراء، وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالشنج[٢]، وعليه سبعة أوتار، وإيقاعه يشبه إيقاع الصنج[٣].

ويذكر البيهقى أنهم كانوا ينشدون الدوبيت ويأتى المطربون فيعزفون على العود والبربط[٤]، وكان الملوك ينامون على الغناء ليسرى السرور فى عروقهم، ولقد كانت عادة ملوك العجم وسلاطينها ألا يناموا إلا على غناء مطرب أو سهر لذيذة، أما العربية فكانت لا تنوم ولدها وهو يبكى، خوف أن يسرى الهم فى جسده ويدب فى عروقه، ولكنها تناغيه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله[٥].

(٢) الندماء:

كان سلاطين الغزنويين يتخذون الندماء الأكفاء فى مجالسهم، ذلك أن مجالسة هذه الفئة الملوك والكبراء وحكام الأطراف وقادة الجيش كثيرًا ما تؤثر فى هيبتهم وعظمتهم وتقديرهم وتزيد من جسارة أولئك معهم، ولهذا يشترط

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٦١، ٢٦٢ .

٢ - والشنج: ضرب من الجنك، ومنه الآلة المعروفة قديمًا باسم (جنكلة) وهى من ذوات الأوتار أقرب إلى الرباب.

٣ - أبو طالب المفضل بن سلمة النحوى اللغوى: كتاب الملاهى وأسمائها من قبل الموسيقى، تحقيق وشرح غطاس عبدالملك خشبة - القاهرة، ١٩٨٥، ص٣٨ .

٤ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٠٧ .

٥ - أبو طالب المفضل كتاب الملاهى وأسمائها، ص٤٤ .

نظام الملك فى النديم أن يكن كـريم المعدن فـاضلاً، وسـيمًـا، نقى المذهب، حافظًا للسـر، نظيف الملبس، عارفـا - بكثرة - الأسمـار والقصص والنوادر هزلهـا وجدها، حـسن الرواية يعرف لـكل مقـام مقـاله، جيـدًا للعب النرد والشطرنج، وجيدًا لو أنه يجيد الغناء والضرب على الآلات الموسيقية، وينبغى أن يكون موافقًـا للملوك دائمًا، يردد "بخ وأحسنت" ما أن ينطق الملك شـيئًا أو يفعله وألا ينصب مـن نفسه معـلمًا يقول "إفـعل هذا" و"لا تفعل ذلك" و"ولماذا فعلت ذلك" ويجب ألا تفعل هذا" . فهذه أمور يصعب على الملوك قبولها وتحملها، وهى تجر إلى الكراهية[(١)] .

وكان لكل نديم رتبة ومقام، إذ خصصت أماكن لجلوس بعضهم وأماكن لوقوف بعضهم الآخر، فيما كانت العادة قديمًا، فى مجالس الملوك والخلفاء، . ومـا زال هذا الرسم ساريًـا فى الأسرات العـريقـة إلى اليوم، فلـلخليفـة والسلطان من الندماء ما كان لآبائه قبل[(٢)] .

أما السلطان الغزنوى، فكان عشرون نديمًا، عشرة جلوس، وعشرة قيام وقد حذا حذو السـامانيين فى هذا، فكان الندماء يحضـرون مجالس الشراب والطرب، ويشاركون السلطان لهوه ومـرحه، فلا تتم تلك المجالس إلا بهم، واختلفت درجات هؤلاء الندماء من وزراء وكتـاب وشعراء ومغنين ومغنيات، ويقوم بتقديم الشراب عـادة غلمان من الترك ويفضل السلطان أن يكونوا على درجة من الجـمال، وربما فتن أحـد الندماء بجـمال أحد الغلمـان، لكن ذلك يظهر فى نوع من الحشمة تقديراً لهـيبة المجلس، وذلك بعكس مجالس الأدباء والأعيان إذا كان الشاعر يكشف قناع الحياء عندما تأخذه النشوة[(٣)] .

وكان الفـقيه أبو بكر الحـصيرى من أشـهر الندماء، فـقد اهتم السلطان

---

١ - نظام الملك الطوسى: سياست نامة، ص١٢٦، ١٢٧ .

٢ - نظام الملك الطوسى: سياست نامة، ص١٢٧، ١٢٨ .

البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٧٦ .

٣ - الراوندى: راحة الصدور، ص٥٦٣ - ٥٦٦ .

الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٢٦ .

مسعود به فأمر أن يخلعوا عليه خلعة فاخرة مما ينعم به على الندماء، ثم قدموه للسلطان فشمله بعطفه قائلا:

"لقد احتملت من أجلنا فى عهد أبينا كثيراً من المتاعب والهوان، فوجب الآن إداء حقك علينا لقاء ما أديت لنا خدمات، وهذه الخلعة هى باكورة الإنعامات التى سنشملك بها مستقبلاً.

وكذلك كان أبو نصر الطيب من جملة ندماء الأمير محمد بن محمود، كذلك كان أبو القسم خكيلك نديما للأمير يوسف بن سبكتكين، وفى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٣٦م، عين السلطان مسعود الفقيه "نوح" والخواجه محمد بن منصور مشكان لمنادمة ابنه الأمير مودود[١].

(٣) مجالس الوعاظ:

كان الوعظ يقوم المدرس، ويحضر حلقته جميع أفراد المجتمع دون تمييز فيشرح لهم المسائل الشرعية ويجيب على الأسئلة التى توجه إليه، وقد حافظت مجالس الوعظ العامة، على سمعتها الطيبة طيلة القرنين الأول والثانى بعد الهجرة لأن عامة الناس كانت لا تزال، متمسكة بأهداب الدين، كما أن الوعاظ كانوا مثقفين ولهم إلمام كبير بأمور الشرع الإسلامى، مما يؤهلهم لإرشاد الناس إلى طريق الدين السليم.

هناك مجالس أخرى تعرف بالمجالس الخاصة، يحضرها الواعظ مع نفر قليل من الناس، وقد لعبت دوراً كبير فى توجيههم نحو الخير والرشاد، على أن مجالس الوعاظ، لم تحتفظ بمكانتها فى القرن الثالث والرابع الهجريين، إذ تعرض الوعاظ للجهال من العوام والنساء كما يقول ابن الجوزى[٢]، فانصرفوا عن الانشغال بالعلم، واهتموا بالكسب المادى، وظهرت البدع على اختلاف أنواعها، وانتشرت الخرافات على ألسنة الوعاظ، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أن بعض الوعاظ، لم يكونوا على درجة كبيرة من الثقافة، كما أن

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧٢، ٢٧٩، ٥٤٣ .

٢ - جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى: تلبيس إبليس، بيروت، ١٤٠٣هـ ص١٢٠، ١٢١ .

فريقًا منهم، لبس الثياب الفاخرة، وخلع ثياب الزهد، وخير مثال أن السلطان محمود عندما توجه بطلب من الأمير نوح بن منصور الساماني إلى خراسان لقتال أبي على سيمجور قال له رجاله عند وصولهم إلى منطقة من المناطق التي يمرون عليها: ويوجد بالقرب من هنا درويش يتصف بالزهد والتعبد، وبإظهار الكرامات والخوارق، وهو زاهد يتخذ لباسه من جلد الغزال. ونظرًا لأن السلطان كان لديه اعتقاد قوي في الصوفية والدراويش، أبدى رغبته في لقاء هذا الزاهد وقال لحسنك - أبي على حسن بن محمد ميكال - الذي لم يكن يعتقد كثيرًا في هذه الطائفة: "رغم أني أعلم أنك لا تألف اللقاء بالصوفية وأهل الطريق، فإنني أريد أن توافق على مرافقتي لزيادة الزاهد فوافق حسنك وسار في صحبة السلطان، وبكل خشوع واحترام التقى السلطان بالزاهد وأخذ الزاهد يبين له أسرار المعرفة فازداد اعتقاد السلطان بالصوفية بسماع ذلك الكلام، وقال للزاهد: "لقد أمرت الخزنة أن يعطوك كل ما تريده من النقود والمتاع" فرفع الزاهد يديه في الهواء وملأ قبضتيه بالذهب المسكوك وضعه في يد السلطان وقال له: "كل من يستطيع الحصول على هذه الأموال من خزانة الغيب، أي حاجة له بمال المخلوق ؟ ! فسلم السلطان تلك النقود الذهبية إلى حسنك، ولما نظر فيها حسنك وجدها جميعًا من النقود المسكوك باسم على سيمجور، وفي الطريق قال السلطان لحسنك: "لا يمكن إنكار مثل هذه الكرامات"، فرد عليه حسنك قائلا له: "حقًا فكل ما جرى على لسان الزاهد هو عين الصدق والصواب، ولا يليق بك أن تتوجه لحرب شخص يضربون النقود باسمه في عالم الغيب"، فاستفسر منه السلطان عن حقيقة هذا الكلام، فاطلعه حسنك على تلك النقود المسكوكة، فتحير السلطان وتأثر(١).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن بعض الوعاظ في ذلك العهد، نظروا إلى الوعظ على أنه مهنة للمكسب أكثر منه مهنة للإرشاد، ومن ثم ضعفت القيمة

---

١ - غيات الدين ميرخواند: دستور الوزراء، ص٢٣٨ .

الثقافية للوعظ، واتخذ الوعاظ مجالسهم، فى أماكن متعددة بديلاً عن المساجد، منها المقابر وبعض المحال العامة وفضلاً عما تقدم، فإن الوعاظ أصبحوا خطراً يهدد سلامة المجتمع بإثارتهم الفتن، أو إذاعتها، وبخاصة بين أهل السنة والشيعة أو بين المذاهب السنية، كما حدث بين الحنابلة والشافعية فى نيسابور، وكثيراً ما أدت هذه الفتن، إلى مقتل كثير من أنصار الفريقين(١).

(٤) الألعاب والرياضيات العامة:

يذكر البيهقى أن السلطان مسعود قد مارس أيام صباه وصدر شبابه، أنواع الرياضات المختلفة كالمصارعة وحمل الأحجار الثقيلة والمبارزة، وبهذا يؤكد أن البيت الغزنوى قد أهتم بهذه الرياضيات حتى يتعود الأمراء على مثل هذه الأمور الشاقة وحتى لا يعز المرء منهم إذا قابلته مهام صعاب أو ساعات شداد، كذلك كان من الرياضات الصعبة التى مارسها السلطان مسعود الصيد فى أيام الثلج والبرد حتى أنه كان يترجل ويسير على الأرض، ويتحمل من هذه المتاعب ما لا يتحمله غير الحجر الصلد، لأن صيد الأسود كان يحتاج إلى شجاعة فائقة وقوة القلب ورباطة الجأش بحيث إذا ضرب أسداً ضربة واحدة أرداه قتيلا(٢).

والجدير بالذكر أن السلطان مسعود كان يبارز الأسود وحده، ولا يأذن لأحد بمساعدته فى ذلك من غلمانه إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك فى وقت الضرورة، ويصف عبدالغفار صيده للأسود ومغالبته لها بيديه ومصارعته إياها، وهو على ظهر الفيل ويروى قصة قتله لثمانية أسود دفعة واحدة الأمر الذى دعا أبا سهل الزوزنى لأن يكتب القصيدة التى يقول فيها:

---

١ - أبو الفداء - مختصر تاريخ أخبار البشر، ج٢، ص٧٤ .
مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية فى العراق، ص١٠١ .
٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٣١ .

السيف والرمح والنشاب والوتر   غنيت عنها وحاكى رأيك القدر
ما أن نهضت لأمر غير مطلبه   إلا انثنيت وفى أظفارك الظفر
من كان يصطاد فى ركض ثمانية   من الضراغم هانت عنده البشر
إذا طلعت فلا شمس ولا قمر   وإن سمحت فلا بحر ولا مطر(١)

ويبدو أن الصيد كان من الهوايات المحببة لدى سلاطين الغزنويين من أجل الرياضة والنزهة، وكان الصيد يتم أحياناً بواسطة الفهود والكلاب والطيور الجارحة وتكون هذه الحيوانات قد تم تدريبها على الصيد، حتى إذا اصطاد ثلاث مرات، لم يأكل ما يصطاده، أما الطيور الجارحة فكانت مدربة بحيث أن المدرب إذا نادى عليها فى وقت الصيد، فإنها تعود وتلبى النداء دون أن تأكل من الصيد(٢).

وفى أحداث سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦ - ١٠٣٧، أورد البيهقى أنه فى جوسق دشت لنكان على مسيرة فرسخ بست، وقرب صلاة الظهر أحاط الجند بساحة القصر لحشر حيوانات الصيد التى تجمع بها عدد كبير منه - وكانت هذه المنطقة تتوفر فيها حيوانات الصيد بشكل كبير حتى كان من السهل على الصياد اصطادها - وبعد أن صافت الساحة اندفع الصيد كله إلى داخل الحديقة أمام القصر، وكانت الحيوانات أكثر من خمسمائة أو ستمائة وكانوا قد اصطادوا كثيراً منها فى الصحراء بواسطة الفهود والكلاب(٣).

وكانت التسلية المفضلة عند الغزنويين ركوب سفن بعض الأنهار للنزهة وكانوا يصطحبون فيها الندماء والغلمان والمطربين وتنفخ الأبواق وتدق الطبول بينما الناس يرقصون ويطربون ويلعبون بالعصى والسلاح، وقد لفت انتباه

١ - نفس المصدر: ص١٣٣ .
٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى / ص٥٤٧ .
الراوندى: راحة الصدور، ص٥٩٦ .
٣ - ويذكر أيضاً أن السلطان محمود أمضى يوماً فى الصيد فى هذا المكان نفسه من بست صاد حمار وحش فقيدوه بالحبال وأمر السلطان بأن يوسم باسمه، فوسموه وأطلقوه لأطلقوه لأن أصحاب سير الملوك كانوا قد ذكروا له أن بهرام كور كان قد فعل مثل هذا.
البيهقى تارخ البيهقى، ص٥٤٣ و٥٤٤ .

السلطان مسعود ورأى أن يجعل للرياضة موظف يقوم بالإشراف على أدواتها مثل الصولجان والسلاح والحراب ورمى السهام والرياضات الأخرى.

وكذلك اهتم سلاطين الغزنويين برياضة سباق الخيل والرماية، لأنها كانت من الرياضات المحببة لدى عامة الشعب، فكانوا يحضرون ميدان السباق يشجعون المتسابقين لبلوغ أهدافهم وهم بهذا كانوا يشجعون رياضة أوصى بها الإسلام على لسان الرسول ﷺ علموا أبنائكم السباحة والرماية وركوب الخيل "فكذلك عمل المسلمون بهذه الوصية الكريمة فازداد حبهم واهتمامهم بتعليم الأبناء الرماية والفروسية حتى يستطيع الفارس منهم الدفاع عن أراضى المسلمين والدخول فى الجهاد ضد الكفار الذين كانوا يقفون بالمرصاد للإسلام فى تلك الأطراف .

أما الشطرنج والنرد فهما من الألعاب الفارسية القديمة التى أخذت من أصلها الهندى والشطرنج هو لعبة الحكماء وأرباب الفهم وذوى الخواطر السريعة فينبغى فيها الجهد لكى يتقنها اللاعب، لأن من يلعب رديئًا ليس له عذر إلا العجز والإقرار بأنه لعب رديئًا.

وقد عرف المسلمون الشطرنج فى عهد الرشيد، وأخذ الخليفة المأمون بعد قدومه من خراسان إلى بغداد ميلا إليه، فاستحضر كبار لاعبيه وكانوا يتوفرون بين يديه حتى ضاق بذلك، وقال "إن اشطرنج لا يلعب مع الهيبة. قولوا ما يقولون إذا خلوتم" كذلك رووا عنه أنه قال: "إذا لعبت النرد وخسرت فإننى أقول إن الحظ لم يكن مواتيًا أما لعبت الشرنج وخسرت فما عساى أن أقول غير أنى عجزت عن أن ألعب جيداً فلعبت رديئًا وكان الشطرنج يلعب على ورقة مربعة حمرء . أما النرد فيلعب على ورقة بها إثنا عشر واربعة وعشرين منزلاً . وقد شبه بعض الحكماء رقعة النرد بالأرض المهدة لسكانها، ومنازل الرقعة وهى أربعة وعشرون بساعات الليل والنهار(١).

---

١ - الراوندى: راحة الصدور، ص٥٧٦ .

محمد جمال الدين سرور: الحضارة الإسلامية، ص١٩٧ .

رابعًا: نظام الأسرة

دخلت معظم الأسر التركية الواقعة فى منطقة الشرق الأقصى فى الإسلام فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، وكانت الأسرة الغزنوية من الأسر التى دخلت الإسلام مع دخولها فى خدمة بنى سامان كغلمان وأسرى حرب، ولما استطاعت هذه الأسرة استيعاب الإسلام وحضارته كونت دولة لنفسها فى المشرق الإسلامى عاصمتها غزنة، ثم اندمجت مع المجمعات الإسلامية فى تلك الأطراف، وكان المجتمع الإسلامى فى ذلك الوقت قد اتسم بأنه مجتمع العقيدة الراسخة على مبادئ وقيم ومفاهيم لأرقى المجتمعات فى تلك المنطقة.

ثم بدأت الأسرة الغزنوية فى بداية عهدها بالتعاون والانضباط بروح الدولة القوية فى ظل الإسلام ومبادئه، فخضع لها معظم الأقاليم الإسلامية فى الشرق، بل دخلت فى حروب مع الكفار، وكان الفتح العظيم لبلاد الهند، ودخول جماعات جديدة من هذه البلاد فى الإسلام ودينه الحنيف، جعلت كل هذه الإنجازات الدولة الغزنوية تفرض احترامها على الدول المجاورة التى صارت تهاب قوتها وتخشى بطشها فسارع بعضها إلى توطيد العلاقات المتينة معها، وبعضها الآخر لجأ إلى المصاهرة مع أفرادها أو إلى عقد معاهدات وعهود تقضى بعدم إحياء الحرب فيما بينهم، لكى تتفرغ تلك المنطقة ومجتمعاتها للتقدم والرقى والبناء فى ظل الحضارة الإسلامية المزدهرة فى ذلك الوقت.

وبعد أن استقرت هذه الأسرة ونالت كل مقومات الدولة القوية، بدأت الخلافات الشخصية تسرى بين أفراد الأسرة الواحدة حول الحكم، فنجد أن هذه الخلافات تشتد فى بعض الأحيان وتتفاقم لتصل إلى المقاتلة فيما بينهم أو إلى قتل فرد من أفرادها ليصل الآخر إلى الحكم، وهذه الخلافات أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على كيان الدولة ومصالحها مما كان سببًا فى إيجاد مشاكل كثيرة طرأت على النواحى السياسية والإدارية والاقتصادية

والاجتماعية فى كل من خراسان والأقاليم الأخرى، هذا ما سوف نفصل فى الخطوات الآتية.

(١) النزاع حول الحكم فى البيت الغزنوى:

من البديهى أن الأسر الحاكمة فى العهود الإسلامية المختلفة كانت لا تخلو من المنازعات حول الحكم. فلقد ظهر بين سلاطين الغزنويين نزاع حول أحقية بعض أفرادها فى الحكم وهذه بطبيعة الحال هى سنة الحياة، فلعل أول خلاف ظهر حول الحكم فى الدولة الغزنوية كان بين الأخوين إسماعيل ومحمود - فالأول كان حفيد البتكين مؤسس مملكة غزنة، والثانى أمه من حرائر زابلستان - ويرجع بعض المؤرخين سبب هذا النزاع إلى الأب سبكتكين الذى غير رأيه فى أن يتولى ابنه الأكبر محمود حكم البلاد، فعين ابنه الأصغر اسماعيل كخليفة له فى مقاطعات غزنة وبلخ، وعقد اجتماعًا مع كافة أعيان الدولة وقادة الجيش وبقية الحشم ورجال الدولة، وجعلهم يقسمون يمين الولاء له ليكون الحاكم الفعلى للبلاد من بعده.

فأراد الأمير إسماعيل أن يكسب ود الجيش فى بداية عهد، فأنفق خزائن دفائن أبيه على طبقاتهم وعلى الرغم من كل ما أنفقه على الجنود، تطاولوا عليه طمعًا فى المزيد، ولم يستطع أن يكفى طمعهم وطلباتهم حتى وصل بهم الأمر إلى حد مضايقته، وبذلك فقد السيطرة عليهم، وكادت أن تقع الكارثة له ولدولته، لولا تأييد منصور بن نوح السامانيه وانقاذه من هذه الورطة فاستطاع الوقوف فى صراعه مع أخيه محمود الذى قدم بجيش من خراسان بعد ذلك لمطالبته بالحكم[١]، كذلك أراد الإمير إسماعيل أن يفرض نفسه على الدولة، والذى يوحى لنا أنه لم يكن القائد المحنك أو السياسى البارع حتى

---

١ - مير محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه الشهير بمير خواند: روضة الصفاء جلد جهارم، ص٩٣ .ويضيف العتبى أن الأمير سبكتكين قد عهد إلى ولده اسماعيل واستخلفه على أعماله، وأوصى إليه بأمور أولاده وعياله، وجمع وجوه قواده وحجابه على طاعته ومتابعته، والرضا بإيالته وولايته.

العتبى: تاريخ اليمينى، ج١، ص٢٦٥ .

يمسك زمام أمور الدولة، إنه لم يكن له خبرة كافية بقيادة الجيوش على العكس من أخيه محمود الذى رزق هذه الخبرة لأنه خاض مع أبيه الحروب الكثيرة فى الهند وخراسان، كما تعلم منه أسلوب السياسة، بالإضافة إلى أنه كسب أثناء فترة حكمة لخراسان تأييد الأمراء وحكام الأقاليم المجاورة للدولة كما كان مؤهلاً لأن يكون أميرًا للدولة أكثر من أخيه اسماعيل الذى بدأ ضعيفًا فى تسيير دفة البلاد[1]، ومع ذلك فإن الأمير محمد لم يتخذ فى بداية الأمر القوة كحل للموقف وإنما اتبع مع أخيه اسماعيل أسلوب المصالحة والمراسلة، فقد بعث مع أبى الحسن الحمولى بكتاب التعزية وتذكيره بحق الكبر وما يجب له بحكم الزعامة على أهل بيته وتعريفه أنه منه بمنزلة العين الباصرة واليد الباطشة، وأنه إذا أراد أن يبلى فى أمره فيفعل ما يرضاه ويهواه، ثم شرح له الأوضاع قبل موت أبيه قائلاً: إن الأمير سبكتكين إنما أفرد له بالوصية لأن المنية عاجلته فلم يجد أمامه غيره فبذلك وضع الإمارة فى موضع الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف المشقة، ثم اقترح عليه مقاسمة ملك أبيه فيما بينهم على أن يكون له غزنة العاصمة، على يحفظ عليه فى بلخ وما يليها أو ينقله إلى نيسابور على ما كان يدبره من أعمالها ونواحيها[2].

لم يرض الأمير اسماعيل بما جاء فى خطاب أخيه محمود من الاقتراحات والمطالب حول مقاسمة الحكم فيها بينهما، كذلك لجأ الأمير محمود إلى حل آخر تبناه حموه والى الجوزجان أبو الحارث الغزيغونى وهو التوسط بينهما حتى يسكن نابض الخلاف، ويقف بهما على نقطة العدل والإنصاف، ولكن الأمير اسماعيل لم يقبل ذلك الوسيط ظنًا منه أنه يعمل

---

١ - البيهقى: تاريخ، ص٢٩٩

ويضيف العتبى أيضًا إلى جانب أنه بدأ ضعيفًا، كان حديث السن وطرى الغض لم يحتمل صعاب الحياة.

العتبى: تاريخ اليمينى، ج١، ص٢٧٢ .

٢ - العتبى: تاريخ اليمينى، ج١، ص٢٧٤ .

محمد خواند، روضة الصفا، ج٤، ص٩٣، ٩٤ .

لصالح أخيه ولم يبق إلا أن يشهر الأخوان السلاح فى وجه الآخر حتى يحق بينهما فما كان من الأمير محمود إلا أن دعا عمه بغراجق وأخاه أبا المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين إلى مساعدته ومرافقته اشباع لمصلحة البيت الغزنوى لما كان يرى أنه على صواب فأوجب نفسه ذلك المطلب منها[1].

ولذا لم تستمر المواجهة العسكرية طويلاً لأنه كان الأقوى فى هذه المعارك، فلم يجد الأمير اسماعيل بدًا سوى الفرار والتحصن فى قلعة غزنة، ولكن الأمير محمود برغم انتصاره فى هذه المعركة، عفا عن أخيه وأنزله من القلعة بالعهود المواثيق وأخذ منه مفاتيح الخزائن واستولى على ذخائر ودفائن القلعة وتدارك الوهن الذى حدث، وعين العمال والولاة على الأعمال، وأعاد والى غزنة إلى العاصمة، وجعل إسماعيل تحت حمايته ورعايته[2].

تاريخ السلطان محمود حافل بالإعمال الجليلة والفتوحات الكثيرة فى بلاد الهند، وقد أمضى السلطان محمود أغلب مدة حكمة البالغ - اثنتين وثلاثين عامًا - فى قيادة الجيوش، وكان الهدف الأصلى من وراء ذلك فتح الجهات الواقعة فى شمال الهند، وكانت تتخذ حملاته سمة الجهاد ضد الهنود الوثنيين لنشر الإسلام وقد اتجه بجيوشه إلى تلك المناطق سبع عشرة مرة، ووسع بذلك الحدود الأولى لدولته، وكانت هذه الحروب والغارات التى لا نظير لها، والتى كانت تشن على هذه المناطق حتى الاستيلاء عليها متلازمة مع حمل الثروات إلى العاصمة "غزنة" وكذلك انتقال مئات الآلاف هناك .

ولا شكل أن أغلب انتصارات السلطان محمود إنما ترجع إلى حسن تنظيم قواته الحربية التى كانت تضم الغلمان والترك مثلما كان الحال فى عهد الخلفاء العباسيين والأمراء السامانيين، فهؤلاء كانوا يكونون العماد الأساسى لقواته الحربية، ولكن محمود على خلاف العهد الماضى، استطاع أن يوجد

---

١ - العتبى: تاريخ اليمينى، ج١ ص٢٧٥ إلى ٢٧٨ .

٢ - نفس المصدر: ج١، ص٢٨٢ .

ميرخواند: روضة الصفا، ج٤، ص٩٤ .

نظامًا محكمًا وإدارة حازمة لحكم هـؤلاء، كما استطاع بمساعدة هولاء الجنود الغلمان أن يحرز نصرًا مؤزرًا، ويفـتح مناطق واسعة. وفى الوقت نفسه نجح فى الاحتفـاظ بالكتل البشرية من سكان بلاده الواسعـة الممتدة الأطراف، وأن يدخلهم فى طاعته[1].

على عكس فترة حكم ابنه مسعـود الذى لم يهتم بهذه البلاد الواسعة، وكان همه الوحـيد الانغماس فى اللهـو والملذات، أما السلطان محمـود فقد وقف للأعـداء بالمرصـاد فى أى مكان، فعـندما جـاءت الأخـبار عن تحـرك السلاجقة نحو خراسان لم يهدأ له بال حتى حاربهم وقلص من قوتهم هناك، وساد جمـيع البلاد والعباد الأمن والأمان، وبهذه الحـقائق يجب أن نقول أن الحيـاة السيـاسيـة لذلك العصـر قد برهنت على أن مـحمودًا من حيـث القوة والصفات الممتازة كان - بلا شك - قائدًا محنكًا وحاكمًا جديدًا ولائقًا وممتازًا وكانت بلاده الواسعـة تجتذب قوافل التجار من جـميع النواحى وكان الصناع المهرة يزاولون هناك صناعـاتهم وفنونهم ولا مفر من الاعتـراف أيضًا بأنه فى عهد حكم السلطان محمود، نالت الحضارة والثقافة تقدمًا ملحوظًا ويجب أن نعترف بأن ذلك كان أوج قوة الدولة وسيطرتها[2].

هذا وكان للسلطان محمود سـبعة أبناء، أكـبرهم مسعـود، وكان أبوه يعتمد عليه فى خروجه وفى إدارة مملكتـه، أما محمد وهو الأصغر فكان أقل كفاءه من مسعود ولكنه كان حظيًا عند أبيه، وقد وقع محمود فى السقطة التى وقع فيها أبـوه فعين ابنه الأصغر ليكون خلفًا له، وتجـاهل الابن الأكبر الذى كان أعظم شأنًا وأعلى همة، وقد فسر مـسعود موقف أبيه منه بقوله إن ولدنا قد رغب عنا فى أواخر أيامه، وأسـاء الظن بنا، ولـم تكن هذه الظاهرة خاصة

---

١ - تاريخ إيران ازدوران باستـان تاباپان سدة هيجدهـم ميلادى، تأليف مجـموعة مؤرخى الروس، ترجـمة كريم كشاورز، ص٢٦١ .

٢ - تاريخ إيران ازدوران باستـان تاباپان سدة هيجدهـم ميلادى، تأليف مجـموعة مؤرخى الروس، ترجـمة كريم كشاورز، ص٢٦١ .

به، بل هى تظهر عند أكثر الملوك فى أواخر أيامهم بالنسبة إلى ولاة العهود إذ يسحون أن هؤلاء سيحلون محلهم[١].

وهكذا فإن مسعود كان يرى أن الغيرة هى السبب فى انصراف أبيه عنه، ولكن التاريخ يتجه اتجاهات أخرى فى هذه القضية فيذكر أن الصلة بين محمود وبين مسعود لم تكن طيبة، وإن الوشايات ظهرت بينهما فأعرض عنه أبوه: كما أن مسعود عرف عنه نوع من المجون جعل أباه يعرض عنه ويراه غير كفء لهذه المكانة[٢].

وكذلك يرى بعض المؤرخين أن الحقد قد ملأ قلب السلطان بعد توليه الحكم وبدأ ينتقم من بعض أفراد أسرته فقتل عمه يوسف بن سبكتكين، كذلك قتل بعض الإداريين الذين عملوا فى خدمة أبيه أمثال الوزير حسنك والأمير على قريب الذى كان من أقرباء السلطان محمود وكان يحبه حبًا جما، ولم يكتف بهذه الإجراءات بل سجن أخاه محمد وسمل عينيه هناك[٣] بهذه الإجراءات ونتيجة للنزاع بين السلطان مسعود وبين أخيه محمد تولى حكم الدولة بعد وفاة أبيه ـ، خلص له التاج والعرش، وصار مدينًا بعرشه لطائفة من قواد الجيش ورجال الحاشية الذين قدموا له يد المساعدة فى سبيل الوصول إلى العرش .

والمعروف عن السلطان مسعود أنه قد أمضى فترة شبابه فى التمتع بأسباب اللهو واللذة، وقد استمر على هذه الحياة الصاخبة، وزاد اتصاله بالنساء وعكوفه على الشراب وقلما كان يعنى بتصريف شئون الدولة. وبناء على هذا صار الحل والعقد بالفعل فى العاصمة والمدن بيد معاونية من الموظفين والأعوان الذين حرموا الكفاءة واللياقة. ولم يمض وقت طويل حتى ظهر فى جهاز الإدارة والحكم المرتشون والمعرضون، الذين يؤثرون مصالحهم

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٨٠ .

٢ - ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٩، ص١٤٩ .

٣ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٦ .

الشخصية على مصالح الدولة، فصاروا يعيشون فى الأرض فساداً، وكان من الطبيعى أن تجر هذه السياسة الدولة الغزنوية إلى هوة الانحطاط بل الانقراض والإفلاس .

ونحن إذا أردنا أن نحصل على معيار دقيق من الأنانية المفرطة، وقول للزور والخروج من القانون إلى آخر تلك الصفات التى كانت من خصائص عهد مسعود، فإنه يمكننا أن نلقى نظرة على حقيقة الأوضاع فى خراسان التى كانت تعد أهم إقليم فى الدولة الغزنوية، ففى ذلك الوقت كان حاكم ذلك الإقليم رجلاً يدعى "أبا الفضل سورى"[1].

ويتحدث أبو الفضل البيهقى عن الخصائص الأخلاقية لهذا الحاكم وعواقب تصرفاته الوضيعة فيقول: "إن سورى كان رجلاً مشهوراً بالظلم، فإنه حين أطلقت يده فى خراسان استأصل شأفة أعيانها ورؤسائها واستحوذ على أموال لا تحصى، وامتد ظلمه إلى الضعفاء، وكان يقاسم السلطان، يعطيه خمسة من كل عشرة دراهم يغتصبها. أما الأعيان فقد تقطعت بهذه الأسباب فكتبوا الرسائل إلى ما وراء النهر وأوفدوا رسلهم شاكين لأمراء الترك كى يغزوا التركمان بالغزنويين، وأما الضعفاء فإنهم بثوا الله آلامهم، ولم تجرؤ عيون السلطان على أن ينهوا إليه حقيقة ظلم سورى للناس، وكان السلطان، لا يصغى إلى أحد بشأن سورى، إنما كان ينظر السلطان إلى تلك الهدايا التى يقدمها له فى إسراف، إلى أن ضاعت خراسان بسبب ظلمه وعدوانه[2]، ونحن لا نملك دليلاً على أن الوضع فى سائر الأقاليم الأخرى فى دولة الغزنويين، كان فى حالة أفضل. هكذا بدأت الدولة تضعف نتيجة النزاع الأسرى فى معظم أنحاء الدولة، فنرى تمرداً فى بلاد الهند بقيادة أحمد ينالتكين، بالإضافة إلى الصراع الدموى بين السلاجقة والغزنويين حول إقليم

١ - تاريخ إيران ازدوران باستان تابان سدة هيجدهم ميلادى، تأليف مجموعة مؤرخى الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص٢٦٢ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٣٧ و٤٣٨ .

خراسان، الذى لم ينته إلا حين تمرد بعض الجنود على السلطان مسعود فى معركة دندانقان لكثرة ما خاضوا من حروب، ونادى بعضهم بإعادة الأمير محمد بن محمود للسلطة، وكان مسعود قد سمل عينيه وسجنه، فأخرجوه من السجن وسلموه الحكم، وقد أراد مسعود الاحتفاظ بأملاك دولته فى الهند، وعقد العزم على ذلك إلا أن أبناء أخيه محمد سلطوا عليه غلمانهم فقتلوه انتقامًا لعزل أبيهم وسمل عينيه، ولكن الأمير مودود بن مسعود لم يغفر لهؤلاء فعلتهم، بل انتقم لأبيه من أبناء عمه شر انتقام، وأراد استرجاع ما فقده الغزنويين من أملاكهم دون جدوى، لأن الدولة اتجهت إلى الضعف فاستولى السلاجقة فى الفترة بين ٤٢٨ - ٤٣٧ على ما كان فى قبضة الغزنويين من المناطق الإيرانية ومناطق ما وراء النهر ابتداء من بلخ وخوارزم إلى الرى وأصفهان، ثم استولى الغوريون على غزنة سنة ٥٥٣هـ، فنقل الغزنويون عاصمتهم إلى ما تبقى لهم الهند واتخذوا "لاهور عاصمة لهم، ولكن سرعان ما وقع "تاج الدولة خسرو" آخر حكام الغزنويين أسيرًا فى يد الغوريين، فسيق إلى غزنة وهناك أعدم، وآلت أملاك الغزنويين فى غزنة وفى الهند إلى الغوريين[١].

(٢) علاقة السلطان بأفراد أسرته:

يبدو أن العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الغزنوية لم تكن جيده إلى حد ما، وهذا ما جعلنا نستنتج من خلال دراسة العنصر السابق - النزاع حول الحكم فى البيت الغزنوى - فقد كان الأب ينشىء أبناءه نشأة عسكرية جيدة دون الاهتمام بتعليمهم وتثقيفهم لمواجهة الحياة والمجتمع أثناء توليهم الحكم من بعده، فنجد سبكتين فى بداية عهده قد كرس حياته لتنشئه ابنائه عسكريا لكى يكونوا عونًا له ضد الاعداء على حين أهمل تعليمهم وإعدادهم كإداريين فى الاقاليم التى كانوا يسيطرون عليها، بالرغم من أن هناك إشارات تدل على أن السلطان محمود قد اكتسب من أبيه خبرة إدارية فى ولايته

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦ .

لخراسان أثناء وجوده كقائد للجيوش السامانية فى نيسابور فترة الصراعات من أجل الحكم بين السامانيين والسيمجوريين، ولكن الحقيقة اتضحت بعد ذلك وهى تثبت أن الضعف الاجتماعى لأسلوب الإدارة فى الدولة التى أسسها السلطان محمد قد ظهر بسرعة بعد موته فى عهد ابنه مسعود الذى استمر فى الحكم (من ٤٢١ حتى ٤٣٢هـ/ ١٠٣٠ حتى ١٠٣١م[١].

ومع ذلك فإن سبكتكين كان محبًا لأسرته وبواظب على لم شمل أفرادها، إذ دعا أمه وإخوته وأخواته إلى العاصمة غزنة بعد توليه الحكم سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م، كما كان يحب الأطفال ويقال أن إثنين من أولاده، توفيا صفيرين، بينما عاش أبناؤه محمود وإسماعيل ونصر ويوسف طيلة حياته، ويذكر المؤرخون أن سمة بكتكتين العسكرية وفوتحاته فى بلاد الهد قد اكتسبته مكركزاً قويًا بين أفراد وحكام الأقاليم المجاور، وتقديراً لهذه المكانة الاجتماعية استطاع بعض الأعيان ورجال الدولة أن يوفقوا بين مصاهرة بين البيت الغزنوى والبيت الغريغونى، وكان نتيجة ذلك زواج السلطان محمود من ابنة أبى الحارث الغريغونى والى جرجان الذى كان يربط أسرته أيضًا بالسامانيين برباط المصاهرة.

كذلك كان السلطان محمود رحيمًا بإخوانه وأقاربه بعد وفاة أبيه سبكتكين فأخوه إسماعيل ومنافسه على العرش، بالرغم من ما حصل منه من إنكار حقه فى الحكم، عفا عنه السلطان محطود وجعله يتمتع بكل حقوقه فى الدولة، ولكنه مع ذلك خضع للمرة الثانية لمؤامرة غادرة ضد السلطان إلا أن محموداً لم يتخذ ضده أى قرار سوى إبعاده عن العاصمة غزنة، وإرساله إلى ولاية جوزجان ليقضى حياته هناك فى طمأنينة وسلام، أما أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين فإن كان من الذين انضموا إلى سلك أولياء، دولة محمود عندما دعاه عمه بغراحق لطاعته فى فترة المحنة التى قامت بين الأخوين

١ - تاريخ إيران ازدوران باستان تابان سدة هيجدهم ميلادى، تأليف مجموعة مؤرخى الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص٢٦٣ .

محمود وإسماعيل، وكان قرار أبى المظفر أن توجه إلى مواليًا مخلصًا تحت رايته، وتقديرًا لإخلاصه على ذلك العمل عينه قائدًا لقيادة الجيوش الغزنوية فى خراسان حتى توفى سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢١ - ١٠٢٢م[١].

أما أبو يعقوب يوسف بن سبكتكين فكان يافعًا أثناء وفاة أبيه، فلذا تولى السلطان محمود تربيته مع مسعود ومحمد فأسند إلى أبى الريحان تعليمهم القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، وعندما كبر كان نديمًا للسلطان محمود وقلده عدة مناصب فى الدولة وكان آخر منصب قيادة الجيوش فى خراسان بعد وفاة أخيه أبى المظفر نصر بن سبكتكين، كما منحه الخليفة القادر بالله لقب عضد الدولة ومؤيد المللة سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦، وعندما توفى السلطان محمود كان أحد أعضاء أمناء الملك وكبار رجال الدولة الذين كانوا قد كلفوا بأن يدعو الأمير أبا أحمد محمد، نجل السلطان محمود الأصغر إلى العاصمة غزنة، وأن يجلسوه على عرش والده[٢].

وكان للسلطان محمود سبعة أبناء أبو سعيد مسعود، وأبو أحمد محمد، وأبو داود سليمان وإسماعيل، ونصر وإبراهيم، وأبو منصور عبد الرشيد، كما كان له ثلاث بنات، وقد تزوجت إحداهن الأمير الزيارى عنصر المعالى كيكاووس بن إسكندر ابن قابوس صاحب كتاب قاموس نامة والثانية تزوجت حيفد قادر خان حاكم كاشغر، أما الثالثة فتزوجت حاكم طبرستان وكان يدعى منوجهر[٣]، وقد حكم من أولاد السلطان محمود الدولة بعده، الأمير محمد الذى تولى الحكم بناء على وصيته، ثم السلطان مسعود الذى استطاع الاستيلاء على العرش بمساعدة طائفة من قواد الجيش ورجال الحاشية أما بقية أولاده فلم ترد عنهم أخبار فى كتب التاريخ لعل ذلك يرجع إلى أنهم

١ - البيهقى: تاريخ، ص٢٩٩ .
٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١، ١١٥ .
٣ - عنصر المعالى ليكاووس بن قابوس، قابوس نامة، ص١٣ .

لم يعملوا مع والدهم أو مع الأميرين محمود ومسعود أثناء حكمهما الذى امتد أحد عشر عامًا[1].

هذا وكان السلطان محمود أبا حنونًا على أبنائه، كما كان أخًا عطوفًا على إخوانه، فلذا أسند تربية أبنائه إلى نخبة من العلماء والأساتذة، ومع ذلك كان يلاحظ تصرفاتهم وأعمالهم حتى لا يقعوا فى الهفوات والزلات، وعندما كان يجد أحدهم قد أخطأ يعاقبه أشد العقاب ويذكر البيهقى أن السلطان محمود عزم ذات مرة على أن يسجن ابنه مسعود لوشاية كان قد دبرها الأمير محمد مع أناس يعملون معه خفية ويقومون بالتحرى والتحقيق فى أعمال أخيه وكانوا يعملون دائمًا على إساءة سمعة الأمير مسعود لدى والده، ونتيجة لذلك كادت أن تحدث فتنة بين الأب والإبن إذا ما قصدوا الأمير بسوء لأن عددًا كبيرًا من غلمانه قد التحقوا به حين سمعوا بالخبر، وكانوا رهن إشارته إذا طلب منهم التدخل لفك حصاره[2].

ولكن هذا الإجراء لم يمنع السلطان محمود من أن يمدح ابنه مسعودًا فى كافة المحافل العسكرية ويطرى شجاعته وجرأته فى ميدان الحرب ويحدثنا البيهقى عن هذه الشجاعة فى أحداث سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م، بقوله: "زحف السلطان محمود من مدينة بست إلى خوابين وهى ناحية من بلاد الغور تتصل بأراضى بست وداور، حيث كان الكفار أعظم قوة خبثًا إذ كانت لهم المعاقل القوية والحصون العديدة، وقد صحب معه إلى تلك المواقع الأمير مسعود الذى أبدى خلال الزحف بالغ الجرأة وعظيم الشجاعة على مشهد من أبيه فكان يقلع الفرسان من فوق الجياد، ولما لاذ جمع من الأعداء بالمعاقل والحصون، شوهد أحد قادتهم فوق برج حصن يستهزى" بالمسلمين بما يؤلم شعورهم فسدد نحوه سهمًا أصابه فى حلقه فسقط عن الحصن ومات لساعته فانكسرت قلوب أصحاب وسلموا الحصن، وكل ذلك بفضل ضربة الأمير

---

١ - تاريخ إيران ازدوران باستان تاپان سدة هيجدهم ميلادى، تأليف مجموعة مؤرخى الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص١٣٩، ١٤٠ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٣٩ و١٤٠ .

النادرة وبعد أن فرغ السلطان محمود من الحرب وعاد إلى الخيمة، أنزل ذلك الشبل فيها فتناول معه الطعام وشمله بعطفه وحنانه البالغ، وقد كانت هذه المأثرة وأمثالها من أهم ما دعا السلطان لأن يختصه بولايته العهد صبيًا، إذ كان لا يعرف أحدًا يستطيع النهوض بأعباء ذلك الملك الواسع العظيم من بعده غير هذا الأمير . فلذا اتخذ السلطان محمود بعد ذلك ترتيب مجلسه على هذا النحو: يجلس الأمير مسعود فى صدر المجلس ثم يحضرون الأمير محمد ويجلسونه إلى يمينه ويأتون بالأمير يوسف يجلسونه خارج الصدر إلى اليسار، وعندما يأخذ جلستهم يشاهدون ألعاب الصولجان، كان الأميران محمد ويوسف يقومان بخدمة مسعود، ومعهم الحاجب الخاص بالمجلس[1].

وكان السلطان محمود قد عهد إلى ريحان الخادم بتربية الأمراء الثلاثة، فكان يصرخ فيهم ويحذرهم من عقاب أبيهم إذا لاحظ عليهم ما لا يليق بهم، وقد اعتاد هذا الخادم أن يأخذ الأمراء إلى الريف للتنزه مرتين فى الأسبوع، لكى يتمتعوا بجمال الطبيعة ويسعدوا بهواء الريف النقى وكان يهيئ لهم فى كل مرة الجو المناسب ليتمتعوا بأوقاتهم سواء أكانت فى ركوب الخيل والتدريب عليه أم فى تهيئة المأكولات اللذيذة لهم[2].

ويبقى أن نقول: إنه مهما حصل من خلاف وجفاء بين السلطان محمود وابنه مسعود فإن ذلك كان ماله إلى الزوال ويكفى أن نردد ما قاله السلطان مسعود عن والده عندما أراد الحاقدون أن يشرهوا سمعته إذ صرح غاضبًا: "ما هذا الكلام، إنه إذا جفانا فى آخر حياته لغاية فى نفسه فينبغى أن ننظر إلى آلاف من النعم أحاطنا بها وإلى زلات كثيرة لنا تجاوز عنها، تغمده الله برحمته ورضوانه، فقد عقمت النساء أن يلدن مثل محمود. . ."[3].

أما عن فترة حكم السلطان مسعود فقد ركز البيهقى حديثه على حياته

---

١ – البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١١٦، ١١٨ .
٢ – نفس المصدر: ص١١٦ .
٣ – نفس المصدر، ص٢٤ .

وأسلوب حكمة وما جرى للأمير محمد بعد النزاع القصير حول الحكم، ولكن المهم هنا أن مسعوداً بعد أن وصل إلى الحكم لم يحترم حرمة لأخيه الأمير محمد بل زج به فى السجن بقلعة كسوهتيز، ووضع عليه حراسة مشددة، وظل هكذا فى رعب وخوف فما وجد تهدئه لروعه سوى الشواب بغير انقطاع، هكذا كان حاله إلى أن صدر أمر بإيداعه فى قلعة منديش[١]، فسار هذا الأمير وفى حراسته ثلاثمائة فارس راجل مدججين بالسلاح وأركبوا النساء الهوادج وأركبوا الحاشية والخدم البغال والحمير، ولم يراعوا حرمة الأمير فى تفتيش رحله عند سفره، وهذا ما سبب لوم الناس واستياءهم، لأنه مهما يكن من شيء فإنه ابن محمود[٢].

كذلك أولى السلطان مسعود اهتمامه بعد توليه العرش الانتقام من أعوان أبيه من الوزراء والإداريين، واسترداد ما منح للناس من أموال البيعة والصلات إبان الفترة القصيرة التى حكمها الأمير محمد، واعتقال عمه عضد الدولة يوسف بن سبكتكين ثم قتله، ويرجع سبب اتخاذ السلطان هذا القرار إلى عدة أسباب منها اشتراكه فى لجنة أمناء الملك لتسليم عرش الدولة لأخيه - الأمير محمد - ثم تزويج ابنته الصغرى التى كانت خطيبته بعد وفاة ابنته الكبرى لأخيه، وآخرها غرور القيادة الذى اتهمه به بعض الحاقدين والواشين من قواد الجيش ورجال الحاشية للوصول إلى مركز مرموق فى الدولة، بعد أن اتجه الجيش إليه[٣].

هذا وكان السلطان متحاملاً على عمه لما لقيه منه فى السنوات السابقة، فأراد التخلص منه فأرسله إلى ولاية قصدار لتحصيل الضرائب المتراكمة على الناس منذ سنتين، وكانت تلك حجة ليبعد بها عمه عن وجهه وعن أعين الجند، فيظل فى تلك المدينة كالمحدد إقامته، يراقبه فيها أولئك المقدمون الذين رافقوه أثناء إسناد المهمة إليه، كما خدعوا سراً حاجبه طغرل الذى كان يعزه

١ - منديش إسم ولاية فى غور وكانت هذه القلعة بها.

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧٣، ٧٤ .

٣ - نفس المصدر، ص٦٨ - ٦٩ .

كأحد أبنائه بأن يكون عينًا على سيدة، وينهى إلى السلطان كل ما يجرى، حتى ينال ثمرات هذا بمنصب رفيع، وقد تبادل هذا الحاجب مع السلطان رسائل بكل صغيرة وكبيرة إلى أن بلغت به الوقاحة وكتب إلى السلطان هذه الرسالة يخبر "أن يوسف أخذ يدبر ليلقى بنفسه فى تركستان وهو يكاتب الخانيين" فكانت هذه الرسالة هى بمثابة إشارة ونهاية لهذا الأمير، ويصور لنا البيهقى هذه المأساة بقوله: "رأيت الأمير يوسف ينهض، وكان ما يزال بقلنسوته وحذائه ومنطقته، فاحتضن ابنه وبكى ثم حل منطقته ورماها جانبًا وتوجه إلى طغرل وقال له: لتهنأ أيها الكافر هل ربيتك لهذا ؟ لقد كنت أعزك أكثر من ابنى هذا فكان جزائى أن تدبر بخداعك لى هذه المكيدة ؟ فليكن جزاؤك ما تستحق، ثم ركب وسيق إلى قلعة سكاوند ولم أره بعد ذلك أبدا"[1].

(٣) علاقة السلاطين بالوزراء والولاة والعامة:

كان السلطان محمود ينظر إلى الوزراء على أنهم أعداء الملوك، إذا لم يكونوا كذلك فإنهم سرعان ما يتعرضون للحسد والشك اللذين يظهرهما الملك تجاه الوزير الطموح، فلذا نلاحظ أن التى قامت بين السلطان والوزير كانت تنحصر فى أن يكون هذا الوزير ذا عقلية خصبة، وله القدرة والخبرة فى حل المشكلة بمجرد ظهورها، بالإضافة إلى أن يكون له نفوذ وعمال مخلصون فى جمع الأموال الكثيرة لإرضاء السلطان وحاشيته، والأمثلة فى هذا المجال كثيرة، فالوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الاسفراينى كان من الذين استخدموا السياط والعنف ضد العامة فى جلب الأموال لسيدة، وعندما طلب السلطان منه المزيد، أدعى الإفلاس، ولم يستطع الإيفاء بالتزاماته تجاه الدولة، ولكن خصومه نصبوا له فخًا وبينوا للسلطان فساد واقعة، فغضب الوزير لذلك فذهب إلى السجن بمحض إرادته، ومات هناك دون أن يعرف الناس ما كان بينه وبين السلطان، ودفن سره معه[2].

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٧٠ - ٢٧٥ .

٢ - العقيلى: آثار الوزراء، ص١٥٠

أما الوزير أحمد بن الحسن الميمندى فكان أخا للسلطان محمود فى الرضاعة وقد تعلما معًا فى المدرسة، وكان هذا الوزير منذ صباه موضع كرم وسخاء السلطان وقد قلده كثيراً من الوظائف الإدارية، وكان آخرها اختياره كوزير له فى الدولة، ويعتبر الأستاذ الرئيس كما يسمونه إمامًا لفضلاء عصره ومحبوبًا لدى العظماء - بفضل جمال خطه ووفور فضله وكمال فصلحته وكثره كياسته - شمله السلطان بعين عنايته فأسند إليه مع الوزارة الشئون المالية وديوان العرض، وقد أبدى هذا الوزير مهارة فائقة فى إدارة شئون البلاد بحماس منقطع النظير، وأدى خدمات جليلة لا تعد ولا تحصى، وكان قوى الشخصية لا يهاب أحدًا، وهذا ما سبب له العداء من الأمراء والولاة فى فترة وزارته، ويروى نظام الملك خلافه مع التونتاش حول المسائل المالية لإقليم خوارزم بعد أن ندب السلطان محمود هذا الحاجب حاكمًا لخوارزم، وكان معدل دخل حاصلات خوارزم ستين ألف دينار، فى حين كانت رواتب جيش التونتاش ضعف هذا المبلغ، وعندما ذهب إلى خوارزن، وبعد سنة على وجوده فيها أرسل إليه من يطلب مالاً، فأرسل معتمديه إلى غزنة يلتمس: "اجعلوا ستين الألف دينا هذه (وهى أحمال خوارزم) رواتب الجند بدلاً عما يدفع لى، فرفض الوزير ذلك وبعث إليه برسالة شديدة اللهجة وحذره فيها من مغبة نيته، وأمره بإرسال ما تعهد به من أموال دون أن يتمادى فى تضييع الوقت، فخضع الحاجب لأمر الوزير، وأرسل مع أحد رؤساء الحرس وغلمانه الأحمال التى كانت تساوى ستين ألف دينار، ووزنت وأودعت فى خزانة السلطان محمود وبذلك حفظ للملوك سلطتهم على الأقاليم البعيدة، بعد أن تسربت فيها الفوضى من الناحيتين المالية والإدارية، فالوزير بذلك قطع دابر الأطماع فى أموال السلطان والرعية[١].

ولكن بعد أن ظل هذا الوزير مدة ثمانية عشر عامًا، يقوم بتدبير أمور الملك والمال فى الدولة، قامت فئة من الأمراء العظام مثل التونتاش الحاجب

---

١ - نظام الملك الطوسى: سياست نامة، ص٢٩٣، ٢٩٤ .

غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٦، ٢٣٧ .

العقيلى: آثار الوزراء، ص١٥٢، ١٥٣ .

والأمير على قريب بالدس لذلك الوزير الماهر فتقولا عليه زوراً وبهتاناً فى مجلس السلطان، ووجد هذا الكلام المهلهل مكاناً فى قلب السلطان، فأصدر أمره بعزل هذا الوزير الكفء، وسجنه فى إحدى قلاع الهند، ولما توفى السلطان محمود وتمكن ابنه السلطان مسعود من اعتلاء عرش السلطنة فى غزنة، أخرج الوزير أحمد بن الحسن الميمندى من تلك القلعة، وأسند إليه مرة ثانية منصب الوزارة، وظل يديرها فترة ثلاث سنوات إلى أن توفى عام ٤٢٤هـ/ ١٠٣٢ - ١٠٣٣م[١].

أما الوزير حسنك فكان يلازم السلطان محمود منذ بداية نشأته وأوائل صباه، ثم توطدت العلاقة بينهما عندما كان السلطان محمود قائداً للقوات السامانية فى خراسان، فقد وصف السلطان محمود بحلاوة الحديث، وحسن التصريف، كذلك كان حسنك يتصف بحدة الطبع، وثراء الذهن، ولكن لم يكن صاحب مهارة فى فن الكتابة والإنشاء، أو علم السياق والاستيفاء، وكان ينتمى إلى أسرة عريق فى نيسابور، وقد شاركت أسرته - الميكالية - الدول السابقة فى إدارة إقليم خراسان واكتسبت أفرادها الخبرة فى مجال السياسة والمال لأنهم كانوا من أثرياء وتجار وملاكى خراسان[٢].

وفى الفترة التى عزل فيها الوزير أحمد بن الحسن الميمندى من منصب الوزارة، أسند السلطان هذا المنصب إلى أبى على حسن بن محمد ميكال المعروف بحسنك، وبعد أن كانت اختياره من بين أكابر القوم ورجال حاشيته، وكان حسنك يتفوق عليهم جميعاً بعلو النسب وكمال الحسب والوقوف على دقائق الأمور، ولكن السلطان محمود ندم على هذا الاختيار بعد فترة قصيرة، وقد أسر هذه المعلومة إلى أبى نصر بن مشكان[٣]، إلا أن حسنك ظل يقوم

١ - غياث الدين خواندمير: (دستور الوزراء)، ص٢٣٧ .
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٨٩ .
٢ - غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٧ .
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٨٩ .
٣ - العقيلى: آثار الوزراء، ص١٩١، ١٩٢ .
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٨٩ .

بأعمال ذلك المنصب حتى آخر أيام حياة السلطان، ولما توفى السلطان، استطاع هذا الوزير أن يجلس الأمير محمد على عرش السلطنة ويقوم بخدمته عدة أشهر، وفى تلك الفترة تعود حسنك إرضاء الأمير محمد وأن يتقول بأقوال غير مهذبة على السلطان مسعود الذى كان بأصفهان وقتها - وذلك مثل قوله ذات مرة أمام موظفى الديوان: "حينما يصبح مسعود سلطانًا، وعليه أن يتخذ حسنك شقيقًا له. دارت الأيام على هذا الوزير، ولما تولى السلطان مسعود عرش السلطنة، كانت نهايته على يده إذ شنقه بحجة أنه لبس خلعة الفاطميين وأنه من القرامطة[١].

يعتبر المؤرخون عصر السلطان مسعود عصر تدهور العلاقات بين كبار الشخصيات فى الدولة مع السلطان وقد لعب أبو سهل الزوزنى دورًا كبيرًا فى التخلص من رجال السلطان محمود الذى اعتبرهم سببًا فى تولية الأمير محمد السلطنة - ومنهم الوزير السابق حسنك الذى تحدثنا من شنقه آنفًا - ويرجع علاقة أبى سهل الزوزنى بالسلطان مسعود إلى أنه وقف إلى جانبه فى فترة انتقال السلطان من السلطان محمود إلى ابنه الأمير محمد، فلما تولى الحكم كافأه بأن عينه عارضًا، وجعله فى مقام الوزير الأول فى الدولة قبل أن يخرج الوزير أحمد الميمندى من السجن ويعينه فى الوزارة، فلذا نجد أن الزوزنى قد اغتنم الفرصة ووضع نصب عينيه أن يقضى على أنصار السلطان السابق وأن ينكل بكل من يستطيع منهم دون رحمة، بل إنه تمادى فى حقده على أقرانه فأساء إليهم عدا الوزير أحمد الميمندى الذى كان يخشى بأسة ويهاب غضبه، وكان له الدور فى اتهام واعتقال كبير الحجاب على قريب[٢]، وأخيه منكيتراك وكذلك فى محاولة القبض على التوتناش حاكم خوارزم[٣].

٢٤٥ - غياث الدين خواندمير: "دستور الوزراء، ص٣٠٩" .

٢ - وكان يسميه السلطان محمود على خويشاوند - ويعنى القريب - وكان يعمل كبير الحجاب فى عهده وعندما توفى شكل أمناه الملك من كبار رجال الدولة، وذلك ليجلسوا ابنه الأمير محمد على العرش، على أن يتولى كبير الحجاب الأمير على قريب تدبير شئون الملك فى خدمته.
البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١ .

٣ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٥، ٢٦ .

وقد أدرك هؤلاء الرجال موقف السلطان فى بداية حكمة وعلم كل منهم بما ينوى السلطان له، وكان على قريب يعرف مصيره بعد استدعائه إلى هراة وقد قال لأبى نصر بن مشكان: يجب أن تعلم أن الأمور قد تحولت إلى وجهة أخرى، فإنك عند بلوغك هراة سوف تعتريك الحيرة بمجريات الأحداث ومتغيراتها وستشاهد رجالاً حديثى النعمة والعهد قد ألت إليهم حتى أصبح أصحاب محمود فى حكم الخونة والغرباء، ولا غرو فإن أبا سهل قد أصبح المرجع فى كل أمر، فتحكم فى الرقاب وملك ناصية الأمور، وستسير الأحوال مع السلطان مسعود على هذا المنوال، مالم يستح ذلك السلطان فأنتم على شفا حفرة يقع فيها كل واحد منكم دون أن يعرف ما التهمة الموجهة إليه فى مثل هذه القضايا العامة والاتهامات الغادرة(١).

وحين التقى الأمير على قريب كبير الحجاب بالسلطان مسعود وكان التونتاش فى حضرته، أراد (التونتاش) هذا أن يسدى النصح بعدما أحس بما يدبر له ولأصحابه من أنصار السلطان محمود من الغدر، فقال للسلطان: "... إن فى الخدمة كثيرين من حديثى العهد الجذيرين بالثقة، وسيلحق بهم آخرون، إلا أنه فى الحضرة الآن كذلك نفر من المعمرين الذين شاخوا فى خدمة السلطان محمد فإذا شاء الرأى العالى بقاءهم فى الخدمة فذلك أمر حكيم، لكيلا بتشفى فيهم أعداؤهم، فإن الشيوخ زينة الملك، ولس أقول هذا مستعطفًا لنفسى، فواضح أن أجلى قريب، ولكنها نصيحة أسديها، وأنا أعرف أن ملكنا أعظم من أن يحتاج إلى نصح العبيد، بيد أنى أرى من الواجب على أن أعرض أمثال هذه النصائح ما حييت"(٢).

ولكن لم يكد التونتاش يخرج من الحضرة، حتى قبضوا على قريب ثم على أخيه منكيتراك، ولم يقدم السلطان على هذه الخطوة فى قوة صراحة ولكنه استخدام المكر والغر، وكان السلطان يتلذذ بهذا الأسلوب الخادع فى

---

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٥٢، ٥٣ .

٢ - نفس المصدر، ص٥٥، ٥٦ .

معاملة رجاله أبيه ورجاله، يروى البيهقى أن منكيتراك سأل السلطان مستئذنًا فى أن يقوم بواجب الضيافة تجاه أخيه فهش السلطان إلى سؤاله بكلمات تعنى عدم الرضا لما طلبه، وخرج منكيتراك ليرى أخاه مصفدًا بالأغلال وليرى نفسه وقد أخذوه فغلوه وساروا بهما إلى حيث لا يعرف أحد[1].

أما خوارزمشاه (التونتاش) الذى كان يحمى الدولة بحدودها الشمالية من الأعداء، فإنه لم ينج أيضًا من المؤامرة الدنيئة التى دبرها له أبو سهل الززوزنى، فعندما أدرك من البداية أن أحوال الدولة والمؤامرات على رجالها لا تبشر بالخير، عقد العزم على أن يبادر بالسفر إلى خوارزم ليكون فى مأمن من الغدر الذى حل بعلى قريب وأخيه، وقد أسر هذا القائد برأيه لرئيس ديوان الرسائل - أبى نصر مشكان - قائلاً: إن السلطان رجل عظيم ولكن الذين أحاطوا به يعد كل واحد منهم نفسه وزيراً، وهو يسمع لهم ويعمل بقولهم فيزينون له الباطل ويصدونه عن الحق، وإنهم يهدمون بدسائسهم هذا الصرح المشيد، وتوسط أبو نصر فى توضيح السياسة التى يجب أن تتبع واستمع إليه السلطان وقال له إنهم لا يريدون أن تسير الأمور فى مجراها السليم بوشاياتهم وأمر السلطان بكتابة رسالة إلى التونتاش حتى يعود، ولكن هذا أدرك ما انطوت عليه نفس مسعود من الغدر فلم يذعن لطلبه ويسير كى يبقى آمنًا فى خوارزم ويتعهد له بألا يخرج عليه، وبأن يمده بمن يشاء من الجند، وأن ينفر للقتال حيثما يوجهه، ولم تقف دسائس الزوزنى عند هذا الحد بالنسبة لالتونتاش بل وجه إلى منجوق[2] كتابًا بإمضاء السلطان لقتل التونتاش،

---

١ - نفس المصدر، ص٢٦، ٢٧ .

٢ - كان من المتبع فى ذلك الوقت أن الدولة يمثلها فى كل إقليم رجل يسمى بأمير للجيوش بالإضافة إلى الوالى، وكان منجوق يشغل منصب أمير جيوش الغزنويين فى بلاط خوارزمشاه، بينما كان السفير محمد مسعدى يمثل سيده خوارزمشاه فى بلاط السلطان مسعود، وقد كان هذا التمثيل المتبادل بين الطرفين فى ذلك الوقت لحل المشاكل التى تحدث بين الطرفين فى حينما، والمصارحة فى وضع القضايا التى تهم الدولة وهذا الإقليم على الطبيعة دون اللجوء لاستخدام المكيدة والدسيسة ضد الوالى ورجاله المخلصين، وكان يستخدم كل منهما فى السر مشرفًا على الآخر لمعرفة الأسرار والخبايا وقد نمى إلى هذا الوكيل أن هناك مؤامرة قد دست ضد ولى نعمته خوارزمشاه، فلم يستطع هذه المرة أن يجد حلا غير أن يحذر سيده مجريات هذه المؤامرة، وكان مضمون هذه المؤامرة أن السلطان مسعود قد أمر بإيعاز من=

فامتلأ منجوق غروراً وتطاول على التونتاش ولكن وزيره أحمد عبد الصمد فطن إلى القصد من هذا التطاول فأمر بإقصائه ووكل رجاله حتى قضوا عليه وافتضح أمر كتاب السلطان، ولولا حرص الوزيرين، الميمندى وزير السلطان مسعود وعبد الصمد، وزير التونتاش، وهما أعظم رجلين فى العد الغزنوى، لخرج التونتاش على الدولة ولفقدت الدولة بخروجه أخلص الرجال لها، ويبين الميمندى الوزير للسلطان سوء النصح الذى لقيه من الزوزنى ومدى ما ترتب عليه من الحرج ولكن السلطان أسرع بالاعتذار بأنه كان مخموراً حين وقع الكتاب لمنجوق: ومع ذلك لم يتعظ من سياسة السير وراء الزوزنى فى التخلص من الساسة والقادة العظام أمثال أريارق والغازى[1].

أما فيما يتعلق بعامة الناس الكادحين فى القرى والمدن ـ فإن نجاح معارك محمود الحربية، وروعة بلاطه ليس أنها لم تحسن وضعهم فقط، بل صعبت معشيتهم أيضًا.

ومهما كان حجم الغنائم التى غنموها من هذه المعارك الحربية كبيراً جداً فإنها لم تكن تستطيع مطلقًا أن تفى بالتكاليف الباهظة للجند والبلاط . وأن الحاجات المتزايدة يوميًا للبلاط والقادة العسكريين وكبار رجال الدولة.

وكذلك تحمل الناس الضرائب الكثيرة التى كانت تؤخذ منهم وذلك للإيفاد بالنفقات المتزايدة لمواصلة المعارك الحربية فى خراسان ضد السلاجقة، وتتضح هذه الحقيقة فى تسجيل كتاب البلاط للخسائر التى منيت بها القوات الغزنوية فى هذا الإقليم، وما ذكروه من أن عمال السلطان مسعود وعلى رأسهم العميد سورى كانوا يجبرون الرعايا على دفع الضرائب، حتى انتشرت

=سهل الزوزنى قتل خوارزمشاه وذلك عن طريق خطاب وجهه إلى القائد منجوق بخط يده يأمره بالتنفيذ والنفاذ وبعد أن انكشف هذا السر كاد أن يؤدى هذا العمل إلى كارثة فى الدولة، وإلى خروج هذا الوالى عن طاعة السلطان، فلذا تدارك السلطان الموقف وأصلح هذه الجفوة بإرضاء خوارزمشاه وتطييب خاطره، وذلك بالقبض على أبى سهل الزوزنى وإيداعه السجن، معاقبة أبى الفتح الحاتمى بجلده خسمائة جلدة وعزله عن منصب الإشراف الذى كان يشغله فى مدينة بلخ.

البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٣٣ - ٣٣٧ .

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٧، ٢٨ .

هذه الظاهرة الخطيرة فى كل النواحى الهامة للبلاد مما أدى إلى انخفاض أسعار الأرض إلى أقصى حد، ونـادراً ما ترى هذه الظاهرة فى الأراضى التى تكون فيها الزراعة متقدمة، وهناك ظاهرة أخرى تتضح فى سنوات الجفاف المتتابعة، والتى أدت إلى أن السكان كانوا يمرتون جوعى فى المدن والقرى(١).

وقد ذكر بارتـولد أن السلطان محمود كـان يبذل قصارى مـا فى جهده على أن يكون أصل الإقطـاع ممثلاً فى كـبـار الفـلاحـين والمدنيـين المرتبطين بموضوع الخراج وكان يعمل على تحقيق هذا الأمر(٢).

يقول أبو الفضل البـيهقى أن سكان بلخ نصيبـهم التجريح من السلطان محمود على مقـاومتهم للقراخانيين، فقد قال لهم: "مـا للرعية والقتال ! لا جرم قد هلكت مدينتكم وأحرق من أملاكى بلد يغل على أموالاً طائلة، وإنى أحملكم غرامـة هذه الخسارة، ولكنى أعفو عنـكم فانظروا واحذروا أن يتكرر هذا فإن كل ملك يتسلط عليكم ويلزمكم بالخراج ويؤمنكم، عليكم أن تدفعوا له الخراج وتحافظوا على أنفسكم"(٣) وبهذه الطريقة كانوا ينظرون إلى الناس على أنهم قوة ينبغى أن يدفعوا الخراج .

(٤) وضع المرأة ودورها فى الحياة الاجتماعية:

لا شك أن المرأة فى المجتـمعات السابقـة الإسلام كان ينظر إليـها نظرة احـتـقار وازدراء، لدرجـة أن أهل الحـضـارات منهم قـد وصلوا إلى المجـد والرقى، ولكنهم عاملوا المرأة مـعاملة سقط المتاع، تباع وتشـترى، وعلى أنها ليست مؤهلة لـلعمل سوى خدمة البـيت، ولكن الإسلام نظر إلى المرأة على أنها جزء مكمل للرجل، وتشاركه حياته، وتقف إلى جانبه فى مواجهة المحن والعقبات التى تقع عليهمـا فى المجتمع، فالناظر إلى وضع المرأة بعد الإسلام

---

١ - تاريخ إيران ازدوران باستـان تاپايان سدة هيجدهـم ميلادى، تأليف مجـموعة مؤرخى الروس، ترجـمة كريم كشاورز ص٢٦٢ .

٢ - بارتولد: تركستان، ص٢٣٤ .

٣ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٦٠١ .

لا يجد صعوبة فى استنتاج ما وصلت إليه من مكانة سامية فى العقيدة الإسلامية التى بنيت عليها حضارة المجتمع الإسلامى لأنها وجدت نفسها مع الرجل متساوية فى الحقوق والواجبات، ولها حرية المشاركة مع الرجل فى العمل والتعلم كما جاء على لسان رسولنا الكريم ("طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" وهذا ما جعل منها بعد ذلك عنصراً فعالاً فى المجتمع، وسقطت عنها المقولة السابقة بأنها لا تصلح إلا لخدمة البيت، وبدأت تغير حياتها العملية والتطبيقية، ولم تبخل بجدها كإنسان فى داخل المجتمع الإسلامى عن المشاركة فى المجالات السياسية والحربية بالإضافة إلى أوجه الحياة الحضارية الأخرى سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو غيرها[1].

واستمرت هذه المكانة للمرأة فى تطور ملحوظ فلم تتراجع إلى الوراء، بل تقدمت ودافعت عن حقوقها وحقوق أبنائها فى معظم الأحيان من فترات العصور الإسلامية ممثلة فى العصر الأموى وعصرى الدولة العباسية: الأولى والثانية، ولقد اعتبرت فترة حكم الغزنويين استمراراً لتطور المشاركة النسائية فى المجالات المختلفة، فلذا ساعدت بجهدها وإمكانياتها فى سبيل نصرة أسرتها أو رجال دولتها التى تنتمى إليها.

وكانت المرأة فى العصر الغزنوى تتمتع بقسط وافر من الحرية، فقد تدخل بعض النساء فى شئون الدولة، كحرة الختلية عمة السلطان مسعود التى كانت تساند ابن أخيها قبل أن يصبح سلطانًا للبلاد، فيذكر البيهقى أن هذه الأميرة انحازت إلى ابن أخيها مسعود فى عدة مناسبات، ويبدو أن انحيازها قد أخذ صبغة سرية، ومن ثم كانت عينًا على أخيها لصالح ابنه. ولما إلى علم السلطان محمود أن ابنه مسعود - وكان وليًا للعهد - يقيم مجلسًا للطرب فى مدينة هراة، ويأتى إلى هذا المجلس خفية المطربون والمطربات، أرسل السلطان محمود فارسًا لكى يتحقق من ذلك وينهى إليه أعمال ابنه

١ - أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، الطبعة السادسة القاهرة ١٤٠٤ / ١٩٨٤، ص٢٧٢ . وفتحى أبوسيف (دكتور): المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى - الطبعة الأولى - القاهرة، ١٩٨٦، ص٨ .

مسعود، وهنا قامت هذه الأميـرة بإرسال من يحذر ابن أخيها مما ينويه والده، فاستطاع الإبن أن يخفى آثار ذلك المجلس، ومـن ثم ينكر السلطان محـمود على الحاقدين والواشين تلك الأكاذيب المنسوبة إلى ابنه، ويكف بعد ذلك عن النظر أو البحث فى أمثال هذه الأمور(١).

كذلك تدخلت هذه المرأة فى أمـور الدولة بعد وفاة السلطان مـحمود، فرأت أن ابن أخيـها الأمير مسعـود أجدر للحكم من الأمير محـمد، فكتبت رسالة مطولة إلى مسعود تبلغه فى بداية الأمر مـا حصل فى فترة غيابه عندما توفى والده كـذلك تبلغه أنه يجـب عليه أن يتـحرك لإنقـاذ الدولة من هؤلاء القادة والأمـراء الذين لا يرون مصلحة فى بقاء الدولة، وأن لأسـرتهم أعداء كثيـرين فلا يستطيعـون الدفاع عنها مع حاكم مثل الأمـير محمـد الضعيف، فالواجب عليـه أن لا يشغل بما استولى عـليه من البلاد وبما يمكن الاستـيلاء عليه، وأن ينهض للأمـر كله لأنه ولى عهـد أبيه، وبهذا برهنت هذه السـيدة على وعيهـا السياسى عندما أكـدت لابن أخيها خطورة الفـساد الداخلى على الدولة ولا يغنيها آنذاك تلك الانتصارات الخارجية، فـقد وضعت أمامه سياسة جديدة تجاه الدولة كما ورد فى رسـالتها: يجب أن تعلم أن غزنة هى الأصل ومن ثم خراسان وبقية البلاد(٢).

وشاركت المـرأة أيضًا سائر طـبقات المجـتمع فـرحتـها سـواء فى مدن خراسان أو فى الـعاصمة، بعودة السلـطان مسعود من بلاد الرى وأصـفهان، ليتولى إدارة البلاد، فقد اشتركن فى المواكب والاحتفالات الشعبية مثلهن مثل الرجال، فوصف البيهقى هذه الصـور بقوله: "إن السلطان مسعود حين دخل حاضرة ملكه فى موكب عظيم حافل، خرج أهل المدينة رجالاً ونساء وأطفالاً لاستقباله فى حمـاس وسرور" . مما يدل على تفاعل المرأة مع هذه المناسبات

١ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٢٧، ١٣٠ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٢، ١٣ .

الحماسة التى كان يعدها المجتمع فى استقبال السلاطين والأمراء والضيوف وغيرهم[1].

وظلت المرأة فى العصر الغزنوى تمارس دورها فى الحياة السياسية والاجتماعية وتدافع عن مصالح أسرتها بكل الوسائل الممكنة، وقد حدثت فتنة فى عصر السلطان عبد الرشيد بن مسعود (٤٤١هـ/ ١٠٤٩ - ١٠٥٢م)، وانتهت باغتياله على يد أحد قادته ويدعى طغرل وكان قد تزوج إحدى بنات السلطان مسعود فى عهد أخيه مودود - فاستغل هذا القائد منصبه كحاجب للدولة وزوج لإحدى بنات الأسرة الغزنوية للقيام بهذا العمل والتمرد والعصيان ولقتل السلطان والاستيلاء على حكم البلاد وعاصمتها غزنة، ولكن الأمير زوجة (طرغل) نهضت تدافع عن كيان أسرتها، وقادت بنفسها حركة معارضة لزوجها، وأجرت اتصالات مع كبار القادة وحكام الولايات، وحثتهم على مساعدتها لوقف أطماع طغرل هذا الذى اتضحت نواياه وأطماعه فى الاستيلاء على حقوق أسرتها وبنى أبيها وأستطاعت هذه الأمير الغزنوية بفضل ثبات أنصار أسرتها وبعض الحاقدين من القادة والأمراء أن تقف فى وجه هذا الخائن وتنتقم لأخيها، ثم تعيد الحكم مرة أخرى إلى أسرتها[2].

ومن هنا نلمس مدى ما تمتعت به هذه السيدة الغزنوية من إدراك وسعة أفق فى نظرتها للموقف المتدهور الذى كاد يؤدى إلى كارثة لأسرة آبائها وأجدادها ما لم تقدم على قتل زوجها الطامع، وبالقضاء على طغرل هذا استطاع فرخزاد بن مسعود ولاية عرش السلطنة الغزنوية سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م[2].

واستطاعت أم الوزير حسن بصبرها وجلدها بعد قتل ابنها، أن تكسب ود وعطف الناس وأن تؤثر بشجاعتها على الوضع السياسى فى الدولة الغزنوية، فكان ابنها وزيراً للسلطان محمود وأحداً أعمدة الدولة فى عهده،

---

١ - نفس المصدر، ص٢٧٩ .

٢ - ميراخوند: روضة الصفا، ص١٢٤، ١٢٥ .

٣ - فتحى أبو سيف: المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى، ص٣٥، ٣٦ .

ومهمـا يكن من الاتهام الموجه إليه فـإنه لا يستحق تلك الفعلة الشـنيعة، بأن تعلق جثته على المشنقة فترة طويلة[1]، فلما علمت الأم بذلك لم تجزع كعادة السناء فى مثـل هذه المواقف، بل راحت تكشف للناس مقـاصد ونوايا هؤلاء الأمراء والقـادة السيئـة تجاه أهداف الدولة، وأخذت تدافع عن ابنهـا فى موته بقولهـا: "يالولدى من رجل عظيم، يمنحـه ملك كالسلطان مـحمـود عالم الدنيا، فيمنحـه ملك آخر كالسلطان مسعود عالم الآخـرة" . فأعجبت تلك الكلمات كل عـاقل سمعهـا وراحوا يرددون ما تقوله هذه السـيدة عن أخطاء رجال الدولة فى عـهد السلطان مسعود، كـما استطاعت أن تؤثر فـيهم بهذه الكلمات فأقاموا لابنها مأتمًا عظيمًا لتتقبل فيه العزاء من جديد[2].

هذا ولم يخل المجـتمع مـن السـيـدات المتعلمـات اللائى كن يسـاهمن بثقـافتهن فى تـعلم الأبناء شتىٰ أنواع العلوم ولآداب ليـواكبوا تلك الحـضارة المتقـدمة فى ذلك العصر، فـعندما عهـد السلطان محمـود بتعليم أولاده إلى الكاتب عـبدالغـفار، كـان لهـذا الخادم جـدة تسكن فى أرض داور من بلاد بست، وكانت هذه السيدة على قدر كبير من الورع والتقوى، وتستطيع القراءة والكتابة وتحفظ القرآن وتفسيـره، وعلى دراية بالعلوم الإنسانية، وكان الأمراء يجتمعـون بها دائما فتقص عليهم السيـر والأخبار والحكايات المسلية، مما زاد ذلك فى ألفـة الأمراء لهـا، ويحكى البـيهـقى بشىء من التـفصـيل عن هذا الموضـوع فيـقول: "كنت إذ ذاك قـد بلغت سن الرشد، أذهب إلى المـدرسة وأتعلم القـرآن وأؤدى ما يسـتطيع الصبـية أداءه من الخـدمات وأعـود، وكان استـاذى المدعو "سالمى: يأتى معى إلـيهم أحيانًا. وقـال الأمير مسـعود ذات مرة: ينبـغى أن يحفظ عبدالغـفار شيئًا من الشـعر فعلمنى أسـتاذى هذا عدة

---

١ - يقال أن جثة حسنك بقيت معلقة ما يقـرب من سبع سنوات حتى يبست وصارت أشلاء قديمة وتناثرت فلم يبق منها أثر .

البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٠١ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٠١، ٢٠٢ .

قصائد عن شعر المتنبى وأبيات من قفانبك، فازددت بقراءة تلك الأشعار عليهم جرأة فى الكلام»[١].

وأخيرًا فإن المرأة شاركت المجتمع كأم وربة بيت تهيئ للرجل كافة أسباب الراحة فكانت تقوم بتأمين خدمات البيت والإشراف على إنجازها، فتهتم بإعداد الطعام وتوفير الجو المناسب لراحة الرجل بعد العودة من العمل، وكانت تضطر أحيانًا إلى الخروج لشراء حاجاتها، وبيع بعض الأعمال التى أعدتها من خلال الغزل والنسيج داخل البيت، كذلك اهتمت المرأة بزينتها فأقبلت على التزين وسهل لها ذلك وجود أسواق لبيع العطور ووسائل التطيب. ويبدو أن استخدام وسائل الزينة بدأ بالقصر وتمثل نساء الأغنياء بما يجرى فى القصر، فلما رأت نساء العامة أخذن يقلدن تلك الزينة، ويتحدث البيهقى عن تأثر الناس بالأميرات ونساء كبار رجال الدولة عندما ظهرن فى أبهى الحلى فى حفلة زواج السلطان مسعود من ابنة أبى باكاليجار، فخرجن لمشاهدة هذه الحفلة ولبسن أحلى الثياب وتزين بالذهب والماس[٢].

ويلاحظ أيضًا فى المجتمع الخراسانى تعدد الزوجات، وقد كان الرجل يجمع فى بيته زوجتين وربما ثلاث زوجات، ولما كان المجتمع يعج بالجوارى الحسان، وكان باستطاعة الرجل الحصول عليهن، كثر طلاق النساء الحرائر، وكان ذلك لعدة أسباب، منها التحلل من قيود الزوجية والتمتع باللهو والمجون، أو عدم وجود الجمال الكافى بالنسبة للزوجة والاستعاضة عنها بجارية حسناء، والشرع كما هو معروف قد أحل للشخص أن يمتلك الإماء والجوارى ما شاء، وكانوا يفضلون الجوارى على الحرائر لأنهن كن من أجناس مختلفة، وربما كان للحجاب دخل فى ذلك فقد كانوا لا يرون من يريدون الاقتران بهن من الحرائر، أما الجوارى فكن معروضات بدور النخاسة تحت أعينهم، وأما الحرائر، فإنما يستشار فى جمالها النساء، وتعرف المرأة ظاهر الصفة، وأما الخصائص التى تقع فى نفوس الرجال فلا تعرفها[٣].

---

١ - نفس المصدر، ص١١٥، ١١٦ .

٢ - البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤١٨، ٤١٩ .

٣ - أدم متز: الحضارة، ص١٧٤ .

كذلك دخلت فى المجتمع أفكار جديدة من الأفكار الفارسية مثل آراء الزنادقة، وما يرتبط بمركز المرأة فى المجتمع، فقد ظهر آراء مزدك التى تدعو إلى شيوعية المال والنساء فيقول الشهرستانى (أحل النساء، وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى المال والنار والكلأ)[1]، إلا أن هذه الآراء والأفكار رغم خطورتها وسعة انتشارها تضاءلت فى العصر الغزنوى نتيجة تكاتف السلاطين وعامة الناس من أجل القضاء على روح الزندقة، واحتفظت المرأة بتدينها وعفافها وبمركزها الممتاز فى المجتمع الإسلامى.

١ - أبو الفتح محمد بن عبدالكريم المعروف بالشهر ستانى: الملل والنحل، القاهرة، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨، مج١، ص١٢٩.

الفصل الرابع

الحياة العلمية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى

المؤسسات العلمية

- الكتاتيب.
- المساجد.
- المدارس (النظامية).
- المكتبات.
- منازل العلماء .
- حوانيت الوراقين.
- مجالس الوزراء.
- البيمارستانات.
- الزوايا والأربطة والخوانق.

المؤسسات العلمية فى إقليم خراسان:

تعددت المؤسسات التعليمية فى إقليم خراسان ومنها:

١ - الكتاتيب:

كانت الكتاتيب فى الإسلام مكانًا يتعلم فيه الصبيان الكتابة والقراءة الى جانب القرآن الكريم[١]، كما عنى معلمو البنـات بتحفيظهن القرآن[٢] ويقول أبن خلدون[٣] فى تعليم الصبيان "اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ بـه أهل الملة ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم لما يسبق فيه الى القلوب فى رسوخ الأيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم القرآن للولدان باختلافهم فى اعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات " .

ويوصى الغزالى[٤] " بأنه على الصبى أن يتعلم فى الكتاب، القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين، ويحفظ من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله " .

ولقد عرف المسلمون نوعين من الكتاب الأول: الكتاب الخاص بتعليم

---

١ - أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام، دار المعارف، ط٦، بدون، ص٧٨. أحمد رمضان أحمد: حضارة الدولة العباسية، ط١،الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية،١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م، ص١٣٥ .

٢ - شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى، العصر العباسى الثانى، دار المعارف، ط٢، بدون، ص١١٥، محمد عطية الابراشى: التربية فى الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، ص٤٦ .

٣ - ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسى، أ. م. كاترمير، ٣ مجلدات، طبعة باريس ١٩٥٨م، مكتبة لبنان، بيروت، مج٣، ص٢٦٠ .

٤ - الغزالى: أبو حامد محمد ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م، إحياء علوم الدين، ٥ أجزاء، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، بدون، جـ٣، ص٧٨ .

القراءة والكتابة، وكان يقوم غالبًا فى منازل المعلمين، والثانى الكتاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامى[1].

وفى الحقيقة أن الكتاب كان له دور بارزًا فى تعليم الصبيان القرآن وغيره من العلوم الأخرى، حيث أن المؤسسة العلمية الأولى الذى هيأت للطالب أسباب العلم والمعرفة(٢٧٣) كما كان الكتاب هو المرحلة التمهيدية التى تهيئ الصبيان لمرحلة الدراسة التالية فى المساجد وحلقات الشيوخ التى كانت تقوم بدور بارز فى التعليم منذ صدور الإسلام[2].

كان معلمو الكتاتيب الخاصة يسمون المؤدبون ويحظون بمكانة طيبة، بخلاف معلمى الكتاتيب الذين حرموا من تلك المنزلة[3].

وقد ظهر فى كتاتيب خراسان بعض المعلمين "المؤدبين" الموهوبين الذين لمعوا فى المجتمع الإسلامى من أشهرهم: أبو على الشرمقانى الحسن بن الفضل المؤدب، المقرئ، كان أحد حفاظ القرآن العالمين، كما كان يحفظ الصبيان قراءة القرآن، وتوفى سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م[4].

ومن العلماء الذين اشتهروا بالتأديب، عبدالله بن أحمد بن الحسين الشاماتى الأديب، وكان يعلم الصبيان الأدب والشعر، ويشرح الدواوين الشعرية، وغير ذلك من الشروح، ت ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م[5].

---

١ - عبدالله عبدالدايم: التربية فى التاريخ (من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين)، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص١٤٦ .

٢ - محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص٢٥١ .

٣ - رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق، ص٢٦١، على بن محمد بن سعد الزهرانى، الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، (٢١٢- ٤٨٤هـ/ ٦٢٨- ١٠٩١م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٥٥ .

٤ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى، مستقاة من " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادى، ترجمة وتلخيص، وتعليق د. سامى الصقار، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٧م، ص٥٢ .

٥ - ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص٢١٢، ٢١٣، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص٩١- ٩٢ .

٦ - السيوطى: بغية الوعاة، جـ٢، ص٢٩ .

ومن المؤدبين أيضًا: أبوالفضل العباس بن الشيخ أبى العباس أحمد بن محمد الشقانى الحسنوى: من أهل نيسابور، كان فقيهًا محدثًا، انفق عمره فى الكتابة، وسمع الحديث، وتأديب وإفادة الصبيان والشبان، توفى سنة٥٠٦هـ/ ١١٠٣م[١].

والمؤدب تميم بن أبى سعيد بن العباس، مسند هراة أجار للسمعانى، وروى عنه طائفة، وكان يفيد الطلاب والعلماء حتى ٥٣٠هـ/ ١١٢٧م[٢].

وكانت هناك كتاتيب للإناث، فكانت الشيخة المقرئة الصالحة، والمعمرة، أم الخير فاطمة بنت زعبل على بن مظهر بن الحسن البغدادية، ثم النيسابورية ولدت ٤٣٥هـ/ ١٠٣٢- ١١٣١م[٣].

٢ - المساجد

يعتبر المسجد أهم المؤسسات العلمية الإسلامية، منذ الفتح الإسلامى لإقليم خراسان، ولذلك عنى الخلفاء والأمراء والقادة الفاتحون ببناء المساجد، حيث كان الوليد بن عبدالملك(٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٣- ٧١٣م)، شديد الكلف بالعمارات والأبنية، خاصة المساجد[٤]، وزادت عمارة المساجد فى العصر العباسى، وكذا فى عصر الدويلات المستقلة التى حكمت خراسان، خاصة العصر السلجوقى[٥]، وعمارة المساجد من أهم الأعمال التى ترضى الله سبحانه وتعالى[٦]، قال تعالى " مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّه شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِى النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ

١ - السمعانى: الأنساب، جـ٣، ص٤٦١- ٤٦٢ .
٢ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص٥٤٤ .
٣ - الذهبى: نفسه، ص٥٣٨- ٥٣٩ .
٤ - ابن طباطبا: الفخرى فى الأدب السلطانية، ص١٢٧ .
٥ - أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى أصول فلسفته، ومداسه، ط٣، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص٢١٢ .
٦ - على عبدالحليم محمود: المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص٢٦.

«١٧» إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ «١٨»[١].

وقد استعملت المساجد كمؤسسات للتعليم[٢]، وكان من يريد أن يكمل تعليمه بعد الكتاتيب عليه الذهاب الى حلقات المساجد، وكانت أشبه بمؤسسات عليا، فلم تكن فقط دوراً للعبادة، بل كانت أيضًا دوراً بل جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم فى كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى[٣]، وكان على العالم إذا تعددت الدروس فى هذه الفروع أن تقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم النحو وغيره من العلوم الأدبية[٤]، لكى تساعدهم على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وكان بعض القراء والمحدثون يفتحون مجالس دروسهم بإنشاء الشعر ويختمونها[٥].

ولقيت فكرة التدريس فى المساجد قبولاً من فقهاء المسلمون لأن العلوم الدينية كانت أساس التعليم، ولما كانت الدعوة الدينية دعوة تعليمية تتطلب وجود طبقة متعلمة تتحمل عبئ الدعوة، وتتمتع بقوة الحجة والمقدرة على الإقناع، ولذلك أصبح المسجد أفضل مكان لتأدية تلك المهمة الحيوية[٦]، غير أنه لما استجدت كثير من العلوم فى الدولة الإسلامية لم يعد التدريس فى المساجد مقصوراً على العلوم الدينية بل وجدت العلوم العقلية والفلسفة، والمنطق طريقها الى المساجد وأصبح مكانًا للتدريس بصفة عامة يتعلم فيه الناس القرآن وتفسيره، ويدرسون اللغة العربية والأدب والشعر، ويجتمع فيه

---

١ - سورة التوبة: الآية ١٧- ١٨

٢ - أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص١٢١ .

٣ - شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى (العصر العباسى الثانى)، ص١١٧ .

٤ - ابن جماعة: بدر الدين بن أبى إسحاق إبراهيم بن سعدالله بن جماعة، الكنانى، ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، ص٣٦- ٣٥ .

٥ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عن المسلمين، ص٥١ .

٦ - محمود عبدالحليم: المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، ص٥- ١٣ .

المفكرون والعلماء من زعماء الفرق الدينية للنقاش[1]، والمناظرة الفقهية[2]، فقد كان الوزير نظام الملك يشرف بنفسه على هذه المناظرات ويشجعها، بل ويشترك فيها كما حدث عندما زار مدينة هراة وشارك فى المناظرة التى حدثت بين أنصار الشافعية والحنابلة وبين أبو عبدالله الأنصارى الهروى ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، فى جامع هراة[3].

واشتهر إقليم خراسان بكثرة مساجده، وتدلنا كتب الرحالة والجغرافيون والمؤرخون على كثرة هذه المساجد، ودورها فى الحياة الفكرية.

ومن هذه المساجد: مسجد أبى عبدالله الخبازى ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م، نيسابور الذى كان يذهب إليه أبو المعالى الجوينى ت ٧٤٨هـ/ ١٠٨٥م، قبل بدء الدرس، لكى يقرأ القرآن على الخبازى[4].

ومن أشهر المساجد بنيسابور أيضًا: مسجد المطرز، وكان يعقد فيه المجالس العلمية، ومن التلاميذ الذين كانوا يحضرون هذه المجالس أبو القاسم القشيرى ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، وكان أستاذه هو أبو على الدقاق ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٣م[5]، وأصبح للقشيرى مجلس بالمسجد، وممن حضر مجلس القشيرى محمد بن الفضل بن أحمد النيسابورى، ت ٥٣٠هـ/ ١١٠٩م، وأصبح التلميذ إمام فكان إمام المسجد، وعقد له مجلس الإملاء يوم الأحد من كل أسبوع، وله مجالس الوعظ المشهورة بالنصح[6].

ومن المساجد أيضًا: الجامع المنيعى[7] بنيسابور، وكان خطيب هذا

١ - حسين أمين: المدرسة المستنصرية، مقال منشور بمجلة المعهد العلمى العراقى، مج٢٤، بغداد، ١٩٧٤م، ص٧- ١٢ .

٢ - سبط بن الجورى: مخطوط مرآة الزمان، ورقة ١٢٨ .

٣ - ابن رجب الحنبلى: ذيل طبقات الحنابلة، جـ١، ص٥٤ .

٤ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٥، ص١٧٠ .

٥ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٤، ص٣٣٠ .

٦ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٦، ص١٦٦- ١٦٨ .

٧ - ينسب الى حسان بن سعيد بن حسان المنيعى ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، وكان حسان هذا تاجرًا حتى أصبحت لديه ثروة طائلة، ثم أعرض عن الدنيا واشتغل بالعلم، وسمع الحديث، وأخذ فى بناء المساجد، وكان السلطان ألب أرسلان يتبرك به، وكان يمشى من بيته الى المسجد ويلبس الغليظ من ... المنتظم، جـ٨، ص٢٧٠ .

الجامع هو أبو عثمان الصابونى ت ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، ثم خلفه إمام الجرمين أبو المعالى الجوينى ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وولى الخطابة بعده عبدالواحد بن عبدالكريم بن هوازن القشيرى ت ٤٩٤هـ/ ١٠٠١[١]، وبذلك صار الجامع المنعى أشهر جامع بنيسابور فى ذلك الوقت[٢].

ومن جوامع خراسان:

- جامع مرو الروز، وبناء حسان المنيعى أيضًا[٣].

- جامع هراة، وكان إمام الجامع وخطيبه، الشيخ أبو الفضل بن محمد ابن إسماعيل، الانصارى الهروى الشافعى، ت ٥٣٤هـ/ ١١١٣م، وكأن يملى الحديث بالجامع، وقد أجار السمعانى[٤].

- جامع بلخ، وكان إمام الجامع وخطيبه أبوبكر محمد بن البلخى الحنفى ت ٥٤٧هـ/ ١١٨٤م، وكان متقدمًا على أصحاب أبى حنيفة، وكان مناظرًا حسن الأخلاق، مفتيا، وكان يملى بالجامع[٥].

- ومن أشهر جوامع نيسابور: جامع نيسابور، وتولى الخطابة والإمامة به مجموعة من أشهر علماء خراسان منهم إمام الحرمين أبوالمعالى الجويتى الشافعى، الذى تولى الخطابة به، وتوفى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[٦].

- وممن تولى الخطابة بجامع نيسابور أيضًا، أسعد بن صاعد الحنفى، وكان من بيت العلم والقضاء والخطابة والتدريس، وكانت إليه الخطابة والتدريس بالجامع، وتوفى بنيسابور سنة ٥٢٧هـ/ ١١٦٤م[٧].

- ومن التلاميذ جامع نيسابور عبدالجبار بن محمد أحمد الشافعى،

١ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٥، ص٢٢٥- ٢٢٨ .
٢ - السبكى: نفسه، جـ٤، ص٣٠٠ .
٣ - ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص٢٧٠ .
٤ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص٥٥٣- ٥٥٢ .
٥ - ابن الجوزى: المنتظم، جـ١٠، ص١٥٠ .
٦ - ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٥٨ .
٧ - ابن الجوزى: المنتظم، جـ١، ص٣١- ٣٢ .

وتفقه على إمام الحرمين بالجامع الى أن صار مفتى وإمام جامع نيسابور، وتوفى سنة ٥٣٦هـ/ ١١٧٣م[١].

وكان يملى بجامع بنيسابور كل يوم جمعة أيضًا: مسند خراسان وجيه ابن طاهر الشحامى النيسابورى، توفى سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٩م[٢].

- ومن مساجد خراسان: مسجد عقيل، وكان الأستاذ أبواسحق الاسفراينى ت ٤١٨هـ/ ١٠٠٥م، قد عقد أول إملاء له بهذا المسجد عندما زار نيسابور[٣].

ومن جوامع مرو: الجامع الأقدم وكان الحافظ الإمام محدث مرو وخطيبها أبوطاهر محمد بن عبدالله بن أبى سهل المروزى على الخطابة فى الجامع الأقدم ومن تلاميذه عبدالرحيم بن أبى سعد المروزى، الذى كان يذهب الى الجامع مع والده لسماع الحديث منه فسمع مع والده من خطيب الجامع الأقدم "صحيح مسلم" والنسائى، والأحاديث الألف المظفر لأبى السمعانى جد عبدالرحيم، وتوفى خطيب الجامع الأقدم سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٦م[٤].

٣ - المدارس

كانت المدارس، وما تزال من أكبر المؤسسات التعليمية والثقافية، التى نبتت فيها الكثير من العلوم والأصول الفقهية والأدبية، وعملت على تخريج طبقة مثقفة بثقافة عربية إسلامية، بل لا نبالغ اذا قلنا أن مدارس العصر السلجوقى خاصة "المدارس النظامية" كانت بداية التنظيم المدرسى والجامعى فى الإسلام بل والعلم كله[٥].

ولقد كان الناس يتلقون العلم فى المسجد، والبيت والسفر، وغيره من

---

١ - ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص١١٣ .
٢ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص٥٦٠ .
٣ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٤، ص٢٥٨، ٢٥٩ .
٤ - الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٣١٢ .
٥ - محمد عبدالعظيم: نظم الحكم، ص٤٩١ .

تلك المؤسسات، ولم يطلع القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى، حتى انتشرت المدارس الأهلية فى عواصم الأقاليم الشرقية[1]، ومنها إقليم خراسان.

وكانت هذه المدارس لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو على المذاهب الأربعة[2]، وذلك أن المسجد لم يكن يحسن تخصيصه للتدريس بما يتبعه من مناظرات وجدال قد يخرج بأصحابه أحيانًا عن الآدب الذى يجب مراعاته للمسجد[3] على أن المسجد كان المكان المفضل للتدريس حتى بعد إنشاء المدارس[4].

وفى العصر السلجوقى، اهتم السلاطين والوزراء بإنشاء المدارس، خاصة الوزير "نظام الملك الطوسى" (٤٥٥- ٤٨٥هـ/ ١٠٦٣-١٠٩٢م)[5]، الذى بنى المدارس النظامية[6]، هذه المدارس التى أنشأها وبثها فى أمهات المدن وحملت أسمه، وكلما وجد فى بلد أو إقليم من تميز وتبحر فى العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفًا وجعل فيها دار كتب[7]، ولما كان نظام الملك شافعى المذهب[8]، فقد سلم منابر التدريس فى المدارس النظامية الى علماء الشافعية[9] ولم يكن الإقبال على تلك المدارس قاصراً على الطلاب بل والعلماء[10]، ولم يكن يسمح لأحد من طلبة المدارس بالانتظام

١ - محبوبة: نظام الملك، ص٣٦٤ .

٢ - أبو صالح الآلفى: الفن الإسلامى، ص١٢١ .

٣ - أدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (عصر النهضة فى الإسلام)، تحقيق د. محمد عبدالهادى أبوريدة، أعد فهارسه رفعت البدراوى، مجلدات، مكتبة الخانجى، ط٤، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، مج١، ص٢٣٦ .

٤ - منيرالدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٦٨ .

٥ - الذهبى: دول الإسلام، جـ١، ص٤١٧ .

٦ - الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٤٢- ١٤٩

٧ - البندارى: آل سلجوق، ص٥٩، نظام الملك: سياسة نامة، المقدمة، ص٥ .

٨ - ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٥١ .

٩ - محبوبة: نظام الملك، ص٣٥٤، صفية سعادة: تطور منصب قاضى القضاة، ص١٠٧ .

١٠ - عبدالمجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص١٨٦ .

بهـا ما لم يكن له نصـيب وافر مـن مخـتلف العلوم والفنون[1]، فقـد كان التدريس بها يشمل مـختلف العلوم النقلية، كالقرآن، والتفسير، والحديث، والفقـه وأصوله على المذهب الشـافعى، كـذلك علوم اللغة العـربية كـالنحو والبـلاغة وغـيـرها[2]، كـمـا عنيت المدارس النظامـيـة بالعلوم العـقليـة، كالرياضيات، والطب، والصيدلة[3].

هذه المدارس النظامـية، أصـبـحت نموذجًا يقـتـديه مؤسـسوا المدرسـة العلمية، ومن تلك المدارس النظامـية نظامية نيسابور، ونظاميـة مرو، ونظامية هراة، ونظامية بلخ، ونظامية طوس[4]، هذه المدارس التى أخرجت لنا كوكبة كبيرة من العلماء، ويرجع الفضل فى ذلك الى الوزير السلجوقى نظام الملك، ولكن قبل الحديث عن هذه المدارس ومـدرسيها وعلماءها، لنا أن تتـساءل ما هى الأسباب التى دفعت نظام الملك الى بناء هذه المدارس؟.

أ - الأسباب التى دفعت نظام الملك الى بناء المدارس النظامية:

أولاً: لقـد كان الدافع الرئـيسى وراء تأسـيس المداس النظامـية، كـان سيـاسيًا مـذهبيًا، لقـد كان نظام الملك شافـيًا أشعـريًا حريصًا على مـذهبه، وعاصـرت نظام الملك أفكار وآراء متـباينة مخـتلفة كـانت منتشـرة فى العالم الإسلامى، كالمعـتزلة والإسماعـيلية (الباطنية الشـيعية) وغيـرهم، وكان نظام الملك يرمى بدرجة كبيرة الى توجيه الرعية وجهة تخدم مصلحة الدولة وتبعث على الاستقـرار والأمن، وكذلك شن حربًا لا هوادة فيـها على أتباع المذاهب الأخرى، ولذلك أكـد على أن تدريس الفقـه وأصوله الشافـعية فى مـدارسه فـقط، وكـان من شروط النظـاميـة أن يكون المدرس من الشـافـعـية أصـلاً وفرعًا[5].

---

١ – خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٥٣ .

٢ – ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص٦٦، مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص٢٧٦ .

٣ – يحى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، ص٥٦٨ .

٤ – محجوبة: نظام الملك، ص٣٧٩– ٣٩ .

٥ – حسين أمين: المدرسة النظامـية من مظاهر الحضارة الإسلامية ببغداد، مقـال بمجلة كلية التربية، بغداد، مج١٠، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ص٢٣٣، محمد عبـدالعظيم: نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص٤٩١ .

ثانيًا: مقاومة الفكر الشيعى وخاصة الإسماعيلية (الباطنية) الذين اعتبرهم نظام الملك مرتدين يحاولون هدم الإسلام، مستحثًا السلطان على قتلهم وإبادتهم[1]، وحمل نظام الملك لواء الحرب على الشيعة وشن عليهم حربًا لا هوادة فيها، وكان التعليم من أهم الوسائل التى اعتمد عليها فى محارب التشيع، واستفحال خطر الباطنية فى العصر السلجوقى، ولقد أدرك نظام الملك هذا الخطر على مستقبل الدولة السنية، فكان لابد وأن يقوم بحركة قوية تناهض الحركات الشيعية عامة والباطنية خاصة، حفاظًا على كيان الدولة، وتوجيه رعيتها وجهة تتفوق ومصالح حكامها، لذا قام بإنشاء هذه المدارس النظامية[2].

ثالثًا: إمداد الدولة بنخبة من الموظفين من قضاة، وكتاب، وعمال ومدرسين، يتخرجون من مدارس منهجية، يتفهمون عقائد الدين الرسمى للدولة، ويتعودون على الطاعة والنظام ضمن مناهج الدراسة، وبذلك ضمن نظام الملك الموظفين الأكفاء الذين يطيعون أوامره ويطبقون قوانين الدولة بنزاهة وإخلاص[3].

وقد تحقق ذلك، فقد انتشر طلاب المدارس النظامية فى العالم الإسلامى وتولوا الوظائف المختلفة، فيقول الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م وهو من أوائل مدرسى المدرسة النظامية ببغداد، وقضى سبعة عشر عامًا يدرس فيها يقول إنه لما توجه برسالة الخليفة المقتدى الى خراسان "ما دخلت قرية أو بلدة فى خراسان إلا وكان قاضيها أو خطيبها أو فقيها من تلاميذى، أو أصحابى"[4].

---

١ - نظام الملك: سياسة نامة، ص٢٦٢- ٢٨٢ .

٢ - رسول جعفريان: الشيعة فى إيران دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجرى، تعريب على هاشم الأسدى، ط١، طبعة مؤسسة الطبع للأساتذة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢١ق، ١٣٧٨ش، ص٣١٠- ٣١١، حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٢٣ .

٣ - حسين أمين: المدرسة النظامية، ص٢٣٣، بدوى: التاريخ السياسى، ص١١٥ .

٤ - ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٤٩- ٣٥٠ .

رابعًا: تدعيم العقيدة الأشعرية، فقد كان نظام الملك شافعيًا أشعريًا متحمساً للأشاعرة، لذلك أنشأ المدارس النظامية فى أمهات مدن المشرق الإسلامى، وخاصة بغداد وخراسان، وذلك لنشر المذهب الشافعى عمومًا، والعقيدة الأشعرية خصوصًا، حتى إنه كتب اسم أبى الحسن الأشعرى على جميع أبواب المدارس النظامية[١].

وهكذا كانت السياسة فى تأسيس المدارس النظامية تهدف الى تقوية المذهب الشافعى والمعتقد الأشعرى بوجه خاص، وهو المذهب الذى أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن أفكار أهل السنة، ومحاربة الأفكار الشيعية، وتخريج دفعات من الطلبة المثقفين المتشبعين بفكرة الدولة السلجوقية وبمبادئ المذهب الشافعى، وتعيين أولئك الخريجين بالوظائف الرسمية كقضاة وكتاب وخطباء، ومدرسين وغيرها من الوظائف الأخرى، وقد نجحت فكرة نظام الملك وأدت مدارسه واجبها، وكانت بها نتائج بعيدة فى تقوية المذهب الشافعى، كما خدمت الثقافة العربية الإسلامية خدمة طيبة، حيث تخرج فى تلك المدارس الكثير من الطلاب النابعين من الذين كان لهم شأن كبير فى تطور الحركة الفكرية.

وعمل نظام الملك على إنشاء وتأسيس أكبر عدد من المدارس، حتى قبل أن له بكل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة، فى بغداد، والبصرة، والموصل، وأمل، نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وأصبهان[٢]، حتى أن جزيرة بن عمر التى هى فى زاوية من الأرض بنى بها مدرسة[٣]، وحملت هذه المدارس كلها اسم مؤسسات فعرفت بالنظاميات والتى اعتبر العصر السلجوقى بفضلها عصر انطلاقة الحركة المدرسية فى الإسلام[٤]، وقد اتفقت المدرسة مع المسجد من حيث وظيفتها التعليمية والغرض منها، إلا أنها اختلفت من حيث إنها أكمل

١ - مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص٢٢٠ .
٢ - السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٤، ص٣١٤ .
٣ - البندارى: آل سلجوق، ص٥٣- ٥٥ .
٤ - حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٧٤ .

وأوفى بأغـراض الدراسـة المتصلة بـها، ولسكنـى الطلاب المنقطعـين للعلم، فكانت المدرسة عبارة عن دار كبيرة ذات غرف للدراسة، ولإقامة الطلبة[١].

ب - تعيين المدرسين وفصلهم ونظام التعليم والتدريس فى النظاميات

كان اختيار الأساتذة للتعليم فى النظاميات يجرى وفق تقاليد تشبه أرقى الجامعات الحديثة، فقد كان نظام الملك يختبر معلوماتهم خلال المناظرات التى كان يعـقدها فى المناسبات المخـتلفة، ويلقى عليهم أسـئلة كان قد فكر فيـها واعدها، فـإذا لمس فى أحدهم علمـا وذكاء وجهـة الى المسلك الذى يريده، فالذيـن يكونون أهلاً للتعليم عـينهم أساتذة فـى الحال، وأسس لهم مـدرسة وكتبة، أو يوفدهم الى ولاية للتدريس فيها[٢].

١ - درجات المدرسين فى المدارس النظامية:

لقد اتبع نظام الملك نظامًا بديعًا لدرجات التدريس فى مدارسه وهو يكاد يقرب من نظامنا الحالى فى جامعات عالمنا اليوم، فقد كانت درجات المدرسين هى:

المدرسون:

ويحدد القلقشندى وظيفة المدرس "بأنه هو الذى يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من تفسير وحـديث، وفقه ونحو وصرف وما الى ذلك"[٣] والحقيقة التى فـرضـها نظام الملـك هى أن المدرسين فـى العادة لا يخـتـارون لمنصب التدريس إلا من كانت له به شهرة سابقة، ومكـانة علمية مرموقة تؤهله لهذه المهمة العلمية الجلية[٤].

المعيدون:

والمعيـد دون المدرس، وأرقى درجة من عامـة الطلبة، وهو الذى يعـيد

١ - حسين أمين: المدرسة المستنصرية، ص٢٠ .

٢ - سعد طلس: نظامية بغداد، باريس، ١٩٣٩م، ص١٤- ١٦

٣ - صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٦٤ .

٤ - حسين أمين: المدرسة النظامية، ص٢٣٨- ٢٤٠ .

المدرس بعد إلقاء المدرس المحاضرة على الطلبة، كأنه معين من الشيخ على الطلبة، وقد ظهرت هذه الوظيفة فى القرن الخامس الهجرى حيث لم يعثر على اصطلاحها الوظيفى قبل هذا التاريخ[١]، وهو وظيفة ظهرت بعد تأسيس النظاميات وكانت ذات علاقة وثيقة بوظيفة المدرس المسئول عن الدرس وتحضير المادة، وترتيب المنهج، ويساعده المعيد[٢].

وهناك كثير من النابغين من طلاب النظاميات الذين عينوا فى وظيفة معيدين فى المدرسة نفسها، فعلاء الدين أبو الحارث أرسلان قدم بغداد، وسكن النظامية، واشتغل ودأب فى العلوم الفقه، ورتب معيداً بها، ثم عين مدرساً للنحو وخازناً للكتب[٣]، وكان يشترط فى المعيد أن يكون شافعياً أصلاً وفرعاً[٤].

وهكذا كان بإمكان المعيد أن يرقى الى درجة (مدرس) فجمال الدين أبو إسحاق الشيرازى ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، رتب معيداً فى حلقة الشيخ أبى الطيب الطبرى ثم أصبح مدرساً للفقه فى المدرسة النظامية[٥]، ولم يكن هناك سن معين أو نظام معين لإحالة المدرس الى التقاعد، فقد استمر الكثيرون منهم يدرسون حتى يوم وفاتهم، فالشيخ أبو إسحاق الشيرازى "بلغ من العمر الثلاث والثمانون سنة، وهو يدرس فى المدرسة النظامية ببغداد[٦].

وظيفة الواعظ:

كان القصد من الوعظ الإرشاد نحو أتباع الأخلاق الحسنة والآداب الطيبة، وكان الواعظ يجلس للوعظ بعد أوقات الصلاة، ومن أشهر الوعاظ

---

١ - حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٣٢ .
٢ - حسين أمين: المدرسة النظامية، ص٢٣٩ .
٣ - ابن الفوطى: عبدالرازق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى (ت ٧٣٢هـ/ ١٢٢١م)، تلخيص مجمع الآداب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٢١٨٩، ميكروفيلم رقم ٢٤٨١، ورقة ٢٠٦ .
٤ - ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص٦٦ .
٥ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٢٩- ٣١، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٤٩ .
٦ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٢٩- ٣٠، السبكى: طبقات الشافعية، جـ٣، ص٢١٥، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٤٩ .

بالنظامية الإمام أبو نصر عبدالرحيم بن الإمام زين الإسلام أبوالقاسم القشيرى النيسابورى ت ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، والذى كان له مجلس وعظ يجتمع فيه الناس بالنظامية، وكان ممن يحضره أكابر العلماء احترامًا له وإكرامًا لوالده ولعلمه[١]، ومن وعاظ النظامية "أبو حفص عمر بن أبى العباس أحمد الخطيبى" كان محققًا فاضلاً، فصيح اللسان، مليح المناظرة، ووعظ بالنظامية مرارًا[٢].

٢ - نظام التعليم والتدريس فى النظاميات

كان منهج التعليم الذى سار بمقتضاه الأساتذة يشمل القرآن الكريم، والحديث والفقه على مذهب الشافعى، وعى علم الكلام والنحو والبلاغة والعروض، ويتدرج المنهج من السهل الى الصعب، ثم أخذت الدراسة تتوسع يومًا بعد يوم وأخذت العلوم الرياضية طريقها إليها[٣]، وكان هذا استجابة لروح العصر الذى شيدت من أجله المدارس النظامية، حيث انصب اهتمام المدرس الأكبر على تدريس ونشر وتطبيق الفقه الشافعى، وكان تسلسل المنهج وتطبيقه تربويًا سليما الى حد كبير، فكانت مناهج الدروس التى يسير بموجبها الطلبة تتدرج من السهل الى الصعب، ومن البسيط الى المركب، إذ تعتمد بالبدء على العلوم النقلية التى تعتمد على اللسان ومقوماته، ثم ينقل الطالب الى العلوم العقلية التى تعتمد على التفكير، ومن هنا كان النحو والصرف بداية المرحلة الدراسية الطويلة، وكان الفقه وأصوله هما النهاية التى ترافق الطالب الى اللحد، وذلك لأن الفقه بمعناه الخاص هو فلسفة التشريع على اختلاف مذاهبه، وهى مرحلة الاجتهاد التى تستغرق بقية العمر[٤]، ولم تزل خطة التدريس هذه باقية حتى الآن، فى أمهات المدارس والجامعات الإسلامية كالأزهر الشريف والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

---

١ - اليافعى: مرآة الجنان، جـ٣، ص٢١٠، وكانت مجالس الوعظ والإرشاد أشبه بمدارس شعبية، أحمد عبدالرازق: وسائل التسلية، ص٨٣- ٨٢ .

٢ - ابن هداية الله: طبقات الشافعية، ص٧٣ .

٣ - حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٢٧ .

٤ - عبدالهادى رضا: الوزراء ونظام الملك الوزير السلجوقى، رسالة دكتوراه، غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٥٩م، ص٣٤٠ .

ومنح الأستاذ فى النظامية استقلالاً وحرية ضمن حدود معينة كما تفرضها النظم الجامعية اليوم فهو لا يدرس عادة إلا المادة التى تخصص فيها واشتهر بها، ومن هنا عرف موضوع التخصص الذى عنيت به المدارس النظامية عناية فائقة، فمثلاً كان يشغل كرسى تدريس النحو فى نظامية بغداد، الأديب واللغوى المشهور "أبوبكر التبريزى" ولما توفى سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م[١]، عهد بتدريس الموضوع الذى شغر بوفاته الى النحوى الكبير "على بن محمد الفصيحى"[٢]، ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، وكان لكل موضوع فى المدرسة شيخ مختص بتدريسه، فكان هناك أستاذ اللغة، وأستاذ للتفسير وآخر للحديث، وغيرها من الموضوعات التى تدرس فى النظامية[٣]، وللأستاذ الحرية المطلقة فى الطريقة التى يفضلها لألقاء محاضراته، وكان الطلاب يفاضلون بين الأستاذة بموجبها، حتى حكى عن أبى الفتح المقدسى أنه قال: صبحت أمام الحرمين الجوينى، ثم قدمت العراق فصحبت الشيرازى، فكانت طريقته عندى أفضل من طريقة أبى المعالم الجوينى[٤].

استعداد المدرسين للدرس:

كان المدرسون يحترمون الدرس، فكان الواحد منهم إذا عزم على الدرس تنظف وتطيب، ولبس أحسن ثيابه قاصداً بذلك تبجيل العلم وتعظيم الشريعة، وإذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف، والأهم فيتقدم تفسيراً القرآن ثم الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه أو الجذل[٥]، وكان هناك شخص يقال له "المرتب" يرتب الحاضرين، ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم، ويوقظ النائم ويأمر بسماع الدرس، والإنصات له، وكانت وظيفة المرتب موجودة فى جامع المنصور ببغداد[٦]، وكان أبو الطاهر

١ - حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٢٨ .
٢ - عبدالهادى رضا: الوزارة، ص٣٤٠، وما بعدها.
٣ - حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٢٩ .
٤ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٤، ص٢٨ .
٥ - حسين أمين: المدرسة النظامية، جـ٤، ص٢٨ .
٦ - أبن الأثير: الكامل، جـ٨، ص١٢٢ .

إبراهيم بن شيبانا لنقلى يرتب فقهاء المدرسة النظامية أيام أبى إسحق الشيرازى[1].

من أجل ذلك رغب العلماء فى التدريس بالنظامية لعلو مكانتها وكبر شهرتها، ولكونها تابعة للجهات الرسمية والتى على ما يبدو كانت تجزل الرواتب بالمشاهرات والمنح الدورية للمدرسين والوعاظ والموظفين فى المدرسة النظامية وقد ظهر من العلماء من أبدل مذهبه فى سبيل أن يتولى وظيفة التدريس فيها، فابن المبارك الملقب بالوجيه النحوى كان حنيفًا، ولما شغر منصب تدريس النحو بالمدرسية النظامية، وكما ذكرنا سلفًا أن شرط التدريس فى النظاميات أن يكون المفوض شافعى المذهب، لذا انتقل ابن المبارك النحوى الى مذهب الشافعى، وتولى تدريس النحو فى المدرس النظامية[2].

ولم تخضع المدارس النظامية لرقابة المحتسب، مثلما خضعت الكتاتيب والمساجد التى تمهد للدراسة بالنظامية فكانت موضوعات التعليم وطرق التدريس للصغار بالكتاتيب والمساجد تحت إشراف المحتسب لأن الصغير ينشأ على هذه الطرائق والموضوعات، فإذا كانت سيئة كان نقلهم عنها بعد الكبر عسيرًا، لذلك كان المحتسب يقرض المعلمين من توافر عمله، وحسنت طريقته، ويمنع من قصر وأساء من التصدى لما يفسد به النفوس وتخبث به الآداب[3]، ولم يكن هذا التفتيش ساريًا على النظاميات.

كيفية التدريس ومواعيد المحاضرات:

كانت الدراسة منذ الفجر حتى الظهر، ثم تستأنف حتى قبيل صلاة المغرب وبعده، وينتظم الطلبة فى شكل حلقات حول الاستاذ بشكل دائرى وهو على منصبه، وقد تمتلئ الدائرة بحيث لا يبقى فرع فى داخلها، فيبلغ عدد حضورها أحيانًا ثلاثمائة أو أربعمائة كما كان فى حلقات الشيخ أبو

---

١ - ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب، ورقة ٢٨٥ .

٢ - ابن جبير: الرحلة، ص١٧٤، حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٢٨- ٢٢٩ .

٣ - الماوردى: الاحكام السلطانية، ص٢٨٧ .

أسحق الشيرازى التى كانت لا تقل عن أربعمائة طالب[١]، وكانت حلقة إمام الحرمين فى المدرسة النظامية بنيسابور تضم ثلاثمائة طالب[٢]، وربما كانت الطالبات تشترك معهم فى الدرس كما حدث فى حلقة إمام الحرمين بنيسابور[٣].

وكان الطلبة أحرارًا فى اختيار أساتذة المادة التى يرغب فى دراستها، وكانت المناقشة والجدل من أهم الوسائل التعليمية آنذاك، حيث كان الطلبة أحرارًا فى مناقشاتهم على إلا تتعدى الآداب العامة المألوفة، حتى الف المعنيون بالتربية وأصول التدريس كتبًا فيها، وكانت المحاضرات يتخللها الدعايات والنوادر[٤]، كما كان يفعل الشيرازى فى محاضراته، والذى اتخذه الأساتذة مثلاً على ذلك[٥].

وقد أعطانا ابن جبير[٦]، صورة واضحة لكيفية التدريس فى "المدارس النظامية" عامة، حينما زار بغداد وحضر بعض دروس مشايخها فى الخامس من صفر سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، حيث وصف مجالس العلماء بأنها مجالس علم ووعظ، وقال عنهم أن لهم طريقة مباركة ملتزمة، وكان التدريس مرتبطًا على الأكثر بأوقات الصلاة، خاصة بعد صلاة العصر، بعد أن يتفرغ أكثر الناس من أعمالهم خاصة دروس الوعظ لعامة الناس[٧]، يقول بن جبير[٨]،

١ - ابن عساكر: تبيين كذب المفترى فيما نسب للإمام الأشعرى، القاهرة ١٣٤٣هـ، ص٢٨١، حسين على ممتحن: نظامية بغداد، مقال منشور ضمن مجلة، راربقاى تمدن، وفرسنك إيران، إيران ٢٥٣٥ شاهنشاهى، ص١٧ .

٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط١، ١٦ جزء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، جـ٩، ص١٩ .

٣ - ابن عساكر: تبيين كذب المفترى، ص٢٨١ .

٤ - عبدالهادى رضا: الوزراء، ص٣٤٠ .

٥ - الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١١، ص٥٤١ .

٦ - أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى: ت ٦١٤هـ/ ١٢٢٢م، رحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار، ط، القاهرة، سنة ١٩٥٥م، ص١٧٤ .

٧ - حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٣٠، مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص٣٢٥ .

٨ - الرحلة: ص١٧٤

وأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضى الدين القزوينى رئيس الشافعية، وفقيه النظامية، والمشار إليها بالتقديم فى العلوم الأصولية، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة أثر صلاة العصر من يوم الجمعة، ومن الطبيعى أن المدرس كان يجلس على مكان عال وهو متطيلس (أى يرتدى الطيلسان)، والطريقة المتبعة أن الطلاب كانوا يجلسون أمام الشيخ على شكل نصف حلقة، ويبدأ الطلاب بالقراءة، و"كانوا يقرأون بتلاحين معجبة ونغمات محرجة مطرية"، ومن ثم يبدأ الشيخ بتفسير الدرس ويتصرف فى أفاتين العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل، وإيراد حديث رسوله ﷺ والتكلم على معانيه.

ويضيف ابن جبير[1] "أن الطلاب قد تجمعوا حول أساتذتهم، وقد اصطفوا على كراسيهم حول كراسيه، وبدئ الدرس بترتيل أى من الذكر الحكيم، ثم بدأ الإمام درسه، وكان يشرح أية من القرآن ويفسرها مستعينًا بالحديث، وكان بعض الحاضرين يسأله شفاها عما أشكل عليهم فكان يجيب كلا بدوره، وكان بعضهم يكتب أسئلته ويعطيها للإمام، فكان يجب عليها بعد أن يجمعها، وقد انتهى الدرس حين أقبل المساء.

ويبدو أن الدرس الذى حضره "ابن جبير" كان درس تفسير للقرآن الكريم، وبعد أن ينتهى الطلاب من تلاوة المقرر الواجب عليهم، وبعد أن يشرح الشيخ المقصود من الموضوع ويستعين على تفسير القرآن بالأحاديث النبوية الشريفة، مستشهداً بآراء السلف وكبار العلماء والتكلم على معانيها، يبادر الطلاب بتوجيه الأسئلة فى المشاكل التى يراد فهمها، وبعد أن تنتهى الأسئلة، يبدأ الشيخ بالإجابة على ما قدم إليه من الأسئلة التحريرية بقصاصات من الورق يجيب عليها الوحدة تلو الأخرى[2]، وفى ذلك يقول ابن جبير[3]، "ثم رشقت شأيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر،

١ - الرحلة: ص١٧٤ .

٢ - حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٣٠ .

٣ - الرحلة: ص١٧٤ .

وتقدم وما تأخر، ودفعت اليه رقاع فيها فجمعها جملة فى يده وجمل يجاوب على كل واحدة منها، وينبذ بها اى أن فرغ منها، وحان المساء فنزل وافترق الجميع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ، وقورا مهيبًا، ظهرت فيه البركة والسكينة"، وهكذا كان للتدريس آداب ونظم ومواعيد وتقاليد ظلت دستوراً يحتذى حتى الآن.

أساليب التدريس وآداب ولغة التعليم:

كانت اللغة العربية هى لغة التعليم لجميع الطلاب، الأمر الذى ساعد على بناء وحدة ثقافية متكاملة فى المجتمع الإسلامى، ويسر على الطلاب حرية التنقل فى مختلف أنحائه، وأتاح لهم فرص التلقى عن العلماء، وهذا ما عرف بالرحلة فى طلب العلم، فقد كان مطلوبًا من الطلبة أن يدرسوا النحو والصرف والشعر واللغة والآداب باللغة العربية دون غيرها، وكان لا يغفر لهم إن ارتكبوا خطئًا لغويًا، فقد كان على كل متعلم أن يتقن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن السلاجقة أعاجم، حافظوا على لسانهم التركى، ودونوا باللغة الفارسية وأنهم لم يجبروا أحدًا على تعلم لغتهم، بل كانت لغة المدارس النظامية هى العربية وعلومها[١].

وكان من آداب الدرس العامة، والتى يجب على الطلاب مراعاتها أن لا يمد الطالب رجليه فى المجلس ولا يتخطى زملاءه ليحتل مقعدًا بالقرب من أستاذه، ولا يضحك أو يكلم أحدًا غير أنه كان للأساتذة حرية تقديم مقاعد بعض الطلاب، وتأخير بعضهم الأخر وفقًا لما يراه، ودأب بعض الأساتذة على منع طلابهم من تدوين ملاحظاتهم فى أثناء المحاضرة لأن ذلك قد يؤثر على انتباههم، بينما أباحه آخرون، وكان من واجب الأستاذ إلا يميز فى المعاملة بين طلابه، بل كان عليه أن يرعاهم جميعًا كولده[٢].

وكان أغلب الأساتذة يمتنعون عن القيام فى أثناء المحاضرة، لتحية

---

١ - البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٩، ص٤١٩، جـ١٢، ص١٠٧، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٦٢.
٢ - منير الدين أحمد: المرجع السابق، ص٦٢.

الخلفاء وغيرهم من الشخصيات البارزة إكبارًا منهم لشرف العلم ومكانته، وكانوا حريصون على الجلوس جلسة معتدلة أمام العلماء، ولا يتصرفون إلا بما يليق بمقام العلم من الوقار[1].

أساليب التدريس:

فكانت تتم عن طريق ثلاث نظم، هى السماع، الإملاء، الأجازة وهى تتفاوت فيما بينهم من حيث الأهمية، فالسماع يكون بقراءة الأستاذ من كتابه (أصوله) أو من ذاكرته ما يريد روايته للطلبة، وهو أعلى طرق التعليم[2]، وقد يكون السماع بأن يقرأ الطالب من كتاب أستاذه أو من نسخته هو أو من ذاكراته بحضور أستاذه، وهذا يسمى "العرض" أو أن يسمع الطالب "العرض" من غير حضور أستاذه، وبعض العلماء لم يحبذ البيماع خشية أن يكون الطلبة غير منتبهين لما يقرأ عليهم[3]، أما الإملاء فهو خير أساليب التعليم حتى لمن يأخذون أساليب السماع، حيث كانت مجالس الإملاء تعقد، ويستعان فيها بالمعيدين الذين يعيدون ما يلقيه الأستاذ ليسمعه البعيدون عنه فيكتبوه، وكان بعضهم يتخذ الاستملاء مهنة يتعايش منها[4].

أما الإجازة، فهى السماح بنقل العلم إلى الآخرين ولها ستة أشكال منها "المناولة" وذلك أن يعطى الشيخ كتبه أو بعضها لتلميذه أو لأحد العلماء، مؤكدا لهم أنها بخط يده، ومنها أنه يجيز الشيخ جميع قراءاته ومسموعاته للآخرين، والشكل الثالث هو أن يرسل الشيخ أحاديث معينة أو أجزاء من كتب الحديث مكتوبه، ويجيزها لمن أرسلت إليه، والشكل الرابع هو إجازة شخص ما برواية الأحاديث الصحيحة فى كتاب مادون تحديد، والشكل الخامس هو أن يتقدم أحدهم بورقة مكتوب فيها حديث أو رأى ويسأل الشيخ عما إذا كانت هى له، فإذا أيدها ذلك الشيخ أصبحت إجازة

---

١ - البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٩، ص٤٠٧- ٤٠٨، جـ١٠، ص٢١٩- ٣٧٢ .

٢ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٦٣ .

٣ - البغدادى: تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٣٨، ٢٣٩، ٢٧٤ .

٤ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٦٣ .

لصاحبها، والشكل السادس هو أن يصدر الشيخ إجازة لغيره برواية ما تلقاه هو بالإجازة[1].

جـ - الطلاب:

احتضنت المدارس النظامية نخبة ممتازة من الطلاب الفضلاء الذين كانوا مثلا ساميا فى السعى والاجتهاد لتقلى العلم وأصبح لهم فضل كبير فى نقل العلوم وعلوم المدرسة النظامية إلى خارج خراسان وغيرها، وتولوا وظائف سامية فى مختلف مدن المشرق الإسلامى.

سن القبول واختيار الطلبة:

لم يكن هناك سن محددة للقبول فى هذه المدارس النظامية، فقد يدخلها الطالب وهو ابن الثلاثين أو أكثر، إلا أنه لا يقبل عن العشرين فى العادة، حيث يكون قد قضاها فى التعليم بين المسجد والكتاتيب، فإذا انتمى لإحدى النظاميات وانتظم فى سلك طلبتها، وتلقى دروسها فليس هناك سن معينة تمنع من سماع العلم، فقد يغادرها وهو فى الثمانين من عمره[2]، ولقد حدد بعضهم سن الحادية عشرة لطلبة الحديث[3]، كما لم يكن هناك وقت محدد للمدة التى يستغرقها الدرس، أو عدد الدروس اليومية، فقد يستمر ساعة أو ساعتين، وقد يكون هناك درسان فى اليوم الواحد أحدهما قبل الظهر والثانى عشاء[4].

- مدة الدراسة:

كانت المدة التى يقضيها فى الدراسة غير محددة، لأن مناهج الدراسة نفسها لم تكن محددة أيضا، ثم أن الطالب كانت له حرية اختيار الأستاذ،

---

١ - محمد أسعد طلس: التربية والتعليم فى الإسلام، بيروت ١٩٥٦م، ص١٤ - ٣٣، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٦٤ .

٢ - السكى: بقات الشافعية، ج٣، ص٢٠٧، عبد الهادى رضا: الوزارة، ص٣٤١ .

٣ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٧٤ .

٤ - أسعد طلس: المدرسة النظامية ص١٥، التربية والتعليم فى الإسلام، ص٢٤ .

وتحديد مدة الاشتغال على يديه فطلبة الحديث مثلا كانوا يقضون السنين فى جمعه، ثم يأخذون فى دقيق فنونه وأسانيده، ويشرعون فى تصنيفه وتبويبه، وقد يستغرق ذلك حياتهم كلها(١) وكانت أقصى مدة للدراسة فى العلوم الأخرى فى النظامية أربع سنوات(٢).

- سكن الطلبة:

كانت منازل الطلاب هى دور سكنهم إلى جانب المساجد والبيوت التى يستأجرها الطلبة الغرباء، بل أن بعض الأساتذة كانوا يدعون الطلاب الغرباء للإقامة معهم فى بيوتهم، علاوة على وجود الخانات والفنادق فى خراسان، وغيرها من مدن المشرق الإسلامى، حيث يحل المسافرون من الغرباء(٣)، وكانت المدارس النظامية نفسها مأوى للطلاب يسكنون فى أروقتها المتعددة، وينفق عليهم من الأوقاف الكثيرة التى توقف عليها(٤).

- البرنامج اليومى للطلبة:

كان يوم طالب المدرسة النظامية يبدأ منذ صلاة الفجر، وينتهى قبيل منتصف الليل، حيث كان بعض الشيوخ يعقدون دروسهم عقب صلاة الفجر، أو قبل ذلك مما يحتم على طلابها الحضور مبكرين، وكان بعضهم يأتى من أماكن بعيدة وكانت هناك دروس يتم إلقاؤها بعد شروق الشمس، وأخرى تلقى بعد صلاة العصر، وقد تستمر أحيانا حتى وقت الغروب(٥)، ثم أن هناك دروسا تلقى بعد صلاة المغرب وتستمر إلى ما بعد العشاء وأغلبها دروس الوعظ والإرشاد(٦)، وهكذا كان البرنامج اليومى للطالب طويلا، وفضلا عن ذلك فقد كان على الطالب أن يحرص على حضور المحاضرات

١ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٧٤ .

٢ - أسعد طلس: التربية والتعليم، ص٢٦ .

٣ - الخطيب: تاريخ بغداد، ج٧، ص١٣ .

٤ - مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص٣٢١ .

٥ - ابن جبير: الرحلة، ص١٧٤، وما بعدها.

٦ - حسين أمين: المدرسة النظامية، ص٢٣٨ - ٢٤٢، يحيى الخشاب: نظام الملك، ص٥٦٧ .

العارضة (غير المنتظمة) وعلى لقاء الشيوخ الذين ليست لهم دروس منتظمة، بل أن بعضهم كان يجرى فى شوارع خراسان وغيرها من مدن المشرق للحاق بدرس فاته[1].

وفضلاً عن ذلك فقد كان طالب النظامية يحرص على الحضور فى وقت مبكر، أما ليأخذ الدرس قبل غيره من الطلاب، أو الحصول على مكان متقدم فى حلقة أستاذه، وفوق ذلك كان بعضهم يعمل لكسب قوته، إذ كان غير مقيم فى النظامية[2]، وقد فطن نظام الملك على ذلك فأوقف الأحباس على نظامياته للإنفاق منها على الطلبة حتى يتفرغوا للدراسة.

– علاقة الطلاب بعضهم ببعض:

شكل طلاب النظاميات طائفة واحدة متشابكة المصالح والاهتمام، يتعاون أعضاؤها فى أمور حياتهم وشؤون دراستهم، وكان الطالب الجديد فى أمس الحاجة لنصائح زملائه القدامى وإرشادهم، ولهذه الأسباب كانت العلاقات بين الطلاب تسودها روح الزمالة والتعاون والمساعدة، فالغنى منهم يساعد الفقير، والمتمكن من موضوعه يساعد الضعيف، وكانوا يتبادلون الخبره، ويعرضون مدوناتهم بعضهم على بعض، ثم أن الطلاب وأساتذتهم كانوا يمثلون مزيجا من شعوب شتى، ولعل ذلك يكون الأول من الأول من نوعه فى العالم[3]، وكانت رابطة طلب العلم هى الرابطة العزيزة على قلوبهم والتى كانت تشدهم بعضهم إلى بعض بعد رابطة الإسلام، فضلا عن وحدة اللغة[4]، والمذهب الشافعى الذى كان أهم ما يجمع هؤلاء الطلاب حول فكر واحد ومنهج واحد فى الدراسة داخل النظاميات.

علاقة الطلاب بشيوخهم:

كانت علاقة الطلاب بشيوخهم علاقات ود وصداقة فى الغالب الأعم،

---

١ – منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٧٧ .

٢ – الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ج١١، ج٢٤٩، ٢٥٩ .

٣ – منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٧٧، ٧٨ .

٤ – الخطيب: تاريخ بغداد: ج١٠، ص٣٩، ١٣٦، ج١١، ص٢٥٦، ٢٥٧، ج١٢، ص٤٥٨، ٤٥٩ .

وكان الطلبة يكنون عظيم الاحترام والتقدير لشيوخهم، إذ هم الذين أناروا لهم الطريق، وكان الطالب حرا فى موضوع دراسته والمدة التى يريد قضاءها فى الدراسة، ولذلك فإن إرشادات الأستاذ كانت مهمة من أجل اختيار الموضوع الملائم وتوجيه الطالب الوجهة الصحيحة، وكان الأستاذ يرحب بتلامذته فى أى وقت طرقوا بابه فيه، ويلبى مطالبهم، ويعوض لهم ما فاتهم من الدرس، وإن كان ذلك على حساب راحته وراحة عائلته(١).

وكان بعض الأساتذة يساعدون طلابهم فى الحصول على وظائف حسنة، ويحسنون ذكرهم أمام الكبراء من خلفاء وسلاطين ووزراء وأعيان، وكذلك أمام بقية الطلاب فينتشر ذكرهم فى الآفاق، وكان الطلبة يقابلون ذلك كله بالطاعة والتقدير والاحترام، ولا يسمحون أن يذكر أحد شيوخهم بسوء، بل يدعون لهم بالخير ويترحمون عل الميت منهم، ويحسنون رثاءه، ويبدون الحزن العميق على من مات منهم، ويزورون قبره، فعندما مات أبو إسحاق الشيرازى سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، أبدى تلاميذه حزن شديد عليه(٢)، وعندما مات أبى المعالى الجوينى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، أستاذ نظامية نيسابور طاف تلاميذه الأربعمائة فيها ينوحون عليه، وامتنعوا عن الدرس(٣).

وكان مجال المناقشة مفتوح أمام الطلاب، وكان الواحد منهم لا يقنع بمجرد السماع بل يعتنى بالدراية والبحث والسؤال والمناقشة، ليتمكن من فهم المسائل العلمية، وكانت للمناقشة بين الأستاذ وطلابه آداب خاصة، تكفل للأستاذ وقاره وهيبته ومكانته، كما تحقيق للطالب طريق الفهم والتعليم، يقول برهان الزرنوجى(٤)، "اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره"، ومن الآداب المتبعة فى النظاميات "ألا يمشى الطالب أمام أستاذه ولا يجلس مكانه، ولا يبدئ الكلام

---

١ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٧٨ .
٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ج١٦، ص٢٢٨ - ٢٣١ .
٣ - ابن الجوزى: المنتظم، ج١٦، ص٢٤٧ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٥٨ .
٤ - تعليم المتعلم: بغداد، ص١٨، ١٩٤٢م حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٣٠ .

عنده إلا بإذنه، ولا يكثر الكلام عند سؤله ويراعى الوقت"[١]، كما يجب على الأستاذ أن يحترم تلميذه ولا يهزأ برأيه ولا يزدرئ المساكين من طلابه ولا يختزن علمه عنهم فهم مسئول عنهم وعن علمه[٢].

الأحوال المالية للطلاب:

كان التعليم يكلف الطلاب كثير من المال، ربما بلغ فى بعض الأحيان أربعة آلاف دينار[٣]، ولهذا عمل "النظام" على راحة طلابه، فأوقف الوقف على مدارسه للصرف عليهم، وما يحتاجون إليه من نفقات المعيشة والسكن، وأثمان الورق والحبر ونفقات الرحلة، وكانت الكتب غالية الثمن، وكان أكثر الطلاب ينسخونها بأنفسهم[٤].

وكانت هناك جهات أخرى تصرف على الطلاب غير المدارس وأوقافها، فالخلفاء والوزراء والولاة والأغنياء كانوا يبعثون بالمال إلى الشيوخ لتوزيعه على الطلبة، وربما قام بعضهم بإنشاء مطبخ خاص لتقديم الطعام إلى الشيوخ والطلاب على السواء[٥]، فضلا عن الطلاب الأغنياء الذين كانت تساعدهم أموالهم على تلقى العلم، وكانوا بدورهم يساعدون زملائهم من المحتاجين[٦].

وكان التعليم قبل إنشاء النظاميات مقصورا على أبناء الأثرياء والكبراء لأنه كما أشرنا يتطلب سعة من المال وشهرة فى الجاه، ولكن نظام الملك فتح أبواب نظامياته للنابهبين إذ أنس فيهم حدة فى الذكاء، والراغبين فى العلم إذا لمس فيهم إقبالا عليه، وضمن لهم عيشا رغدا كريما[٧] لا يقل عن مستوى

---

١ - الزرنوجى: نفسه، ص١٩ .

٢ - محمد عبد العظيم: نظم الحكم، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص٥١٠ .

٣ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٨٢ .

٤ - محمد طه الحاجرى: الورق والوراقة فى الحضارة الإسلامية، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى، (مجلد ١٢، بغداد، سنة ١٩٦٥م) ص٨٠ - ٨٣ .

٥ - البغدادى: تاريخ بغداد، ج٩، ص٢٧٥، ٤٥٦ .

٦ - البغدادى: تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٦٠، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٨٣ .

٧ - أسعد طلس: المدرسة النظامية، ص٣٥ وما بعدها.

طلبة الجامعات فى العصر الحديث بل يتعداه، وأتاح لهم حياة كريمة ينظرها الخواص والعوام بعين التجلة والاحترام، فقد كانت النظاميات تستقبل كل طارق دون التقييد بعدد الطلاب، وكان التعليم العالى فيها حرا لجميع المواطنين ممن يحملون مؤهلات ويرغبون فى مواصلة الدراسة بشرط المذهب الشافعى فقط[١].

أعداد الطلاب:

كان عدد طلاب المدارس النظامية غير محدد، كما أن هيئة المدرسة لم تحدد عددهم، بل كان التعليم مفتوحا أمام كل شافعى، كما كان للطالب حق اختيار الأستاذ الذى يحضر دروسه ويستمع إليه، لذا نلمس بعض اختلاف أعداد الطلاب الحاضرين عند بعض الأساتذة، فبعضهم يحضر حلقته عشرة طلاب، والآخر تتكون حلق دروسة من مئات الطلاب كالإمام أبى المعالى الجوينى الذى كانت تضم حلقة درسة ثلاثمائة أو أربعمائة طالب[٢].

تعليم الإناث:

كانت المرأة المسلمة، ما تزال تتمتع بحرية تامة فى مجال التعليم الذى كلفة لها دينها الحنيف، فكان بوسعها الذهاب إلى المسجد، كما كان بوسعها حضور الدروس المفتوحة، وكانت هناك دروس خاصة بهن يلقيها بعض الشيوخ فى المدارس أو المساجد، وغالبا ما تكون فى المساء[٣]، وكان تعليمهن يتم فى أماكن خاصة كالبيوت وداخل المساجد والمدارس، وكانت الجوارى يحظين باهتمام كبير من لدن أسيادهن، فيعلمن النحو والشعر والغناء وآداب المجتمع[٤]، وقد وجدت الكثير من المثقفات فى الحديث، وكان لهم دور بارز فى التعليم[٥].

---

١ - أسعد طلس: المدرسة النظامية، ص٣٨، ٣٧ .

٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ج١٦، ص٢٤٧، حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٣١ .

٣ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٨١ .

٤ - البغدادى: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٤٢، ٤٤٣ .

٥ - انظر الفصل الثانى، ص١١٠، ١١١ .

التخرج والإجازة:

إذا ما انتهى طالب النظامية من دراسته، وتخرج، فكان يقام حفل كبير لتكريم هؤلاء الخريجين، حيث يحصل الخريج على ما يعرف بالإجازة وهى الوثيقة المدرسية، وكان الاستماع للمحاضرات من شرائطها، لأنها لا تفى بالقصد من الدراسة، والغرض من التعلم، إذا لم يصحبها حضور، وهذا ما علل به الماوردى[١]، وعدم صحة حمل الإجازة والرواية بها إلا بعد حضور الدرس، وقد يمنح الطالب عدة شهادات من شيوخ متعددين، وطريقة الحصول عليها فى المادة، كان بناء على طلب يتقدم به لمدرسة بعد أن ينتهى دراسته[٢].

وهكذا كانت النظم المتبعة فى تعيين المدرسيين فى النظاميات، وأساليب التدريس بها وطرق التدريس ومناهجه وأدواته، وطريقة استقبال الطلاب للدرس، ونظم تخرجهم، نظم تتبعها الجامعات الحديثة اليوم، ونقلتها الحملات الصليبية إلى أوربا، فعرفت أوربا نظام الجامعات بنظمها المعروفة من أساتذة ومعيدين وتقاليد نقلناها عن أوربا، وما يؤسف عليه فنحن المسلمين السبب فى وجودها.

د - المدارس النظامية:

نظامية نيسابور:

مدينة نيسابور عامرة بالمدارس[٣]، ولأهميتها اتخذها طغرلبك وألب أرسلان عاصمة للسلطنة مدة من الزمن، وتأتى بعد بغداد فى الأهمية العلمية والدينية، ولذلك لم يرق نظام الملك كرسى الوزارة حتى أمر بعودة المهاجرين منذ عهد سلفه الكندرى إلى أوطانهم، وعندما وصل إمام الحرمين الجوينى إلى نيسابور حتى بنى له نظام الملك مدرسة، وعلى غرار المدرسة النظامية فى

---

١ - الأحكام السلطانية، ص٢٢٨ .

٢ - أسعد طلسى: المدرسة النظامية، ص٧٥ وما بعدها.

٣ - المقريزى: الخطط، ج٢، ص١٩٢ .

بغداد[1]، ظلت تتبادل معها الأساتذة والطلاب، بل وتشاطرها الدعاية ونشر العلم، والإرشاد مدة طويلة إلى أن انقرضت.

ولم تذكر المراجع التاريخية تاريخ إنشاء هذه المدرسة، ولكننا إذا عدنا إلى القول المتفق عليه بأن الجوينى بقى مدرسا فيما قريبا من ثلاثين سنة غير منازع ولا مدافع[2]، ومع علمنا أنه قد توفى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، يكون عام افتتاحها ما بين ٤٤٨ - ٤٤٩هـ/ ١٠٥٦ - ١٠٥٧م، وهذا ما لا يمكن أن يصبح لأن نظام الملك لم يكن وزيرا بعد[3]، غير أن المعروف تاريخيا أنه حينما أستوزر طلب إلى المهاجرين أن يعودوا إلى أوطانهم، وكان عام استيزاره سنة ٤٥٥ / ١٠٦٣م، فلابد وأن يكون تأسيس نظامية نيسابور ما بين سنة ٤٥٦ - ٤٥٧هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٦٤م، وأن عشر سنين من تلك المدة على التأكيد، كان قد قضاها الجوينى فى التدريس بالجامع الكبير حينما اقعد للتدريس فيه مكان أبيه أبى محمد الجوينى بعد وفاته سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م[4].

واستمر الجوينى على ذلك له المحراب، والمنبر والخطاب، ومجلس الذكر، وكان يحضر دروسه حوالى ثلاثمائة طالب وقيل أربعمائة[5]، وألف عدة كتب لتكون مرجعا سهلا فى متناول طلابه وغيرهم، ومن أشهرها "النهاية فى الفقه" و"البرهان فى أصوله"، و"الشامل"، و"الإرشاد فى أصول الدين" وغيرها[6]، وكان من أشهر تلاميذه أبو نصر القشيرى ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م، الذى بعدما تخرج على يد أستاذه، عقد له المجلس للتدريس فى نظامية بغداد، ثم نيسابور، وحضر مجلسه الخواص، وأبناء

١ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٢٨.
٢ - السبكى: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٤٩، ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص١٨.
٣ - عبد الهادى رضا: الوزارة ص٣٥٣ - ٣٥٦.
٤ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٧، اليافعى: مرآة الجنان، ج٣، ص١٢٣.
٥ - ابن الجوزى: المنتظم ج٩، ص١٨، السبكى: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٤٩.
٦ - ابن تغرى بردى: النجوم، ج٥، ص١٢١.

الصدور، وأحدث وعظمة دويا عنيفا فى نفوس أنصار الشافعى ومناوئيه واهتزت له أرجاء العراق، وأنحاء خراسان، واستمرت المعارك بين الحنابلة والأشاعرة بسبب دروسه قرابة خمسة أعوام ٤٦٩ - ٤٧٥هـ/ ١٠٧٦ - ١٠٨٠م، فاستدعاه النظام وجهزه، وبعثه إلى أن توفى سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م[١].

وبعده جلس الحافظ أبو الحسن عبد الغافر النيسابورى للتدريس فى نظامية نيسابور صاحب كتاب "السياق فى تاريخ نيسابور"، و"مجمع الغرائب فى غريب الحديث"[٢]، ثم أبو سعد بن أبى صالح المؤذن الذى قرأ على أستاذه كتاب الإرشاد[٣]، وأبو القاسم الأنصارى مصنف "شرح الإرشاد" و"كتاب الفقيه"، وكان قد عين أمينا لخزانة الكتب بنظامية نيسابور[٤]، وأبو محمد البيهقى[٥]، ثم أبو نصر بن بكر السراج الذى برع فى الفقه حتى صار من المعيدين فى دروس أستاذه الجوينى[٦].

ومما يرشدنا إلى مكانة هذه المدرسة الكبيرة، ومنزلتها العلمية أنها كانت تخرج من العلماء من يصلح للتدريس فى نظامية بغداد كالإمام الغزالى، والكيا الهراس، وغيره، فقد تخرج هؤلاء على يد الجوينى، وصاروا من رؤساء المعيدين والمدرسين البارزين[٧]، وكانت نظامية نيسابور تستقبل الأساتذة، والزائرين فتعهد إليهم بإلقاء الدروس فقد زارها المحدث أبو الفضل محمد بن أحمد الطبسى المتوفى سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٩٠م، شيخ الصوفية مؤلف كتاب "بستان العارفين" حيث ت..م نيسابور، وأملى بنظاميتها أياما[٨].

---

١ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٠٧ .
٢ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٢، السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ص٢٥٥ .
٣ - السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ص٢٠٤ .
٤ - السبكى: نفسه، ج٤، ص٢٢٣ .
٥ - السبكى: نفسه، ج٤، ص٢٤٣ .
٦ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٤٣، السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ص٣٤٤ .
٧ - ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٢٨٦، ٢٨٧ .
٨ - الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٥٦١ .

ومن أساتذة هذه المدرسة بعد الجوينى الشيخ أبو سعيد بن أبى القاسم القشيرى ت ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، كان يعقد مجالس الإملاء عشيات الجمع فى النظامية، ويخرج بنفسه للحديث ويتكلم فى المتون، ويبسط المعانى[١]، وأبو المعالى المعروف بالشهاب الوزير من أسرة نظام الملك ولى التدريس بمدرسة عمه ثم ارتفعت درجته حتى صار وزيرا للسلطان سنجر بن ملكشاه إلى أن توفى سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م[٢]، ومنهم أبو المعالى مسعود بن الإمام أبو المظفر الخوافى تفقه على إمام الحرمين بالنظامية، ثم صار مدرسيها سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠[٣]، وكان آخر من عرفنا من مدرسى هذه المدرسة الأمام "أبا المعالى قطب الدين النيسابورى" صاحب كتاب "الهادى" ودرس بنظامية نيسابور نيابة عن ابن الجوينى، ثم وصل إلى العراق الشام، وألقى الدروس فى مدارس دمشق إلى أن توفى سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[٤].

نظامية مرو:

ويطلق عليها أحيانا مرو الشاهجان[٥]، تمييزا لها من مرو الروذ[٦]، واتخذها الملك جغرى بيك دار المملكة لحصانتها[٧] ثم اختارها حفيده سنجر بن ملكشاه عاصمة لدولته إلى أن مات بها[٨].

أسس فيها "نظام الملك" مدرسة، ووكل أمر التدريس فيها "ألابى المظفر بن السمعانى التميمى" بعد دخوله مرو سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م،

---

١ - السبكى: الطبقات، ج٣، ص١٨٥ .

٢ - الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٢٩ .

٣ - ابن خلكان: وفيات ج٦، ص٢٣٢ .

٤ - السبكى: طبقات، ج٤، ص٣٠٩، وكان يصدر فرمان للتدريس بها، فقد صدر فرمان أوامر بالتدريس فى نظامية نيسابور باسم محى الدين محمد بن يحيى النيسابورى، انظر، مجلة يادركار: بهم نماه ١٣٢٣، صفر - ربيع الأول ١٣٦٤ شمسية وملحق رقم (١)، مؤيد الدولة الجوينى: "كتاب عتبة الكتبة" بتصحيح العلامة محمد قزوينى، وعباس إقبال، تهران ١٣٢٩ شمسى، ص٦٩ - ٧٢ .

٥ - ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٤١٢ .

٦ - لسترنج: بلدان الخلافة، ص٣٥٣ .

٧ - البندارى: آل سلجوق ص٢٨، ٢٧، الحسينى: أخبار الدولة ص٣٤، ٣٣ .

٨ - الرواندى: راحة الصدور، ص٢٥٥ .

وانتقاله من مذهب أبى حنيفة الذى ظل يدافع عنه ثلاثين سنة إلى المذهب الشافعى، وكان لانتقاله صدى كبير، وأقدم آثار الفتنة بين العراق وخراسان إلى أن توفى سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م[١]، وكان ممن تفقه عليه، وقام بالتدريس نيابة عنه أبو السفتح أسعد الميهنى ت ٥٢٠هـ/ ١١٣٣م، الذى درس أيضًا بنظامية بغداد[٢]، وبقيت المدرسة مقصدًا للطلاب والفضلاء من مختلف الأنحاء ينزلون فيها إذا وفدوا على مرو[٣].

نظامية هراة:

وهراة ثغر على الحدود الشمالية لأفغانستان، ومن أمهات المدن فى إقليم خراسان[٤]، وكانت من أكبر مراكز العلم ومتعصبى الكلام فى القرن الخامس الهجرى، ففى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م حدثت بين أنصار الشافعى، وأحد المتكلمين فتنة وهجم المتعصبون على أبى سعد مدرس النظامية، وكان يقود حملة الحنابلة، "أبو عبدالله النصار" صاحب كتاب "منازل السائرين" فبعث نظام الملك وأبعده حتى هدأت الفتنة، وأعيد سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وبقى فيها الى أن توفى فى نفس العام[٥]، فكان لابد أن يؤسس نظام الملك فى مثل تلك المدينة مدرسة لأصحاب المذهب الشافعى كعادته، وما أن تمت حتى استدعى لها "أبوبكر الشاشى" الذى كان من مشاهير العلماء بغزنة، وصاحب التصانيف الكثيرة، وصعب على أهلها مفارقته لهم، ولكنهم لم يجدوا بدا من امتثال أمر الوزير فجهزه بعائلته الى هراة، فدرس بنظاميتها الى أن مات سنة ٤٨٥هـ/ ١١٠١م[٦].

ومن أساتذتها أيضًا "أبو سعيد مجد الدين النيسابورى" صنف كتاب

---

١ - السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ص٩٨ .
٢ - السبكى: نفسه، جـ٤، ص١٢٨ .
٣ - عبدالهادى رضا: الوزارة، ص٣٥٣ .
٤ - البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ١، ص١١٠، عبدالهادى رضا: الوزارة، ص٣٦٠ .
٥ - ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص١٥- ١٦، ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص٦٦- ٦٧ .
٦ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٣، ص٧٩ .

"المحيط فى شرح الوسيط"، "والانتصاف فى مسائل الخلاف"، كان مدرسًا بنظامية نيسابور ثم نقل الى نظامية هراة، وبقى على تدريسها حتى استشهد على يد الغز سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[١]، وهو عام اندثارها.

نظامية بلخ:

عنى السلاجقة ببلخ فعمروها وشيدوا فيها القصور، وأسس فيها نظام الملك مدرسة عهد بالتدريس فيها لأبى القاسم عبدالله بن شهفور بن طاهر، الذى كان أمامًا فى الفروع والخلاف والأصول ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م[٢]، وكان أبوحفص عمر بن أحمد البلخى ت ٥٣٦هـ/ ١١٤١م معيدًا بها[٣]، ثم عين أبوالقاسم عبدالله بن عمر الطريق من أهل بلخ مدرسها فيها[٤].

نظامية طوس:

لم نجد بين المؤرخين وكتاب السير الذين قرأنا لهم من ذكر هذه المدرسة أو أشار الى مدرستها سوى عدد قليل منهم[٥]، ولقد بنى نظام الملك مدرسة فى طوس قيل أنها بنيت قبل نظامية بغداد، وأن صحت هذه الرواية غرابة فيها أن طوس هى مهبط رأس نظام الملك، ومقر دراسته فى صباه، ثم هى المدينة التى أقطعتها السلطان ملكشاه له تقديرًا لجليل أعماله وخدماته لدولته، فأصبحت بذلك فى ممتلكاته، فضلاً عن أنها أحب المدن الى نفسه[٦]، وإن كنت أميل الى أنه بنى بها مدرسة قبل نظامية بغداد، ولم تزل طوس حتى اليوم تحتفظ بمكانتها العلمية ومكتبتها الغنية بنوادر المخطوطات القديمة.

---

١ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٣٥٩.

٢ - السبكى: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٤.

٣ - السبكى: نفسه، جـ٣، ص٢٨٥.

٤ - السبكى: نفسه، جـ٣، ص٢٣٥

٥ - عبدالهادى رضا: الوزارة، ص٣٦٠- ٣٦١.

٦ - هند وشاه: بن سنجر بن عبدالله صاحبى، ق ٨هـ/ ١٤م، تجارب السلف بتصحيح واهتمام عباس إقبال، طهران، ١٣١٣هـ، ش، ص١٠٥، خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٥٤، عقيلى: آثار الوزراء، ص١٠٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٢٤- ٢٥، اليافعى: مرآة الجنان، جـ٣، ص١٣٥.

وهكذا بنى "نظام الملك" مدارسه فى أغلب مـدن دولة ملكشاه الواسعة وكانت أشهرها نظامـية بغداد، والتى قصدها طلاب المذهب الشافـعى كغيرها من المدارس النظامـيـة من كل مكان، وانتـشر طـلابها فى مـخـتلف الأقطار والأصقاع شرقًـا وغربًا وشمالاً وجنوبًا مما يعطى دلالة قاطعـة على أن العصر السلجوقى كان بحق عصر انطلاق الحركة المدرسية فى الإسلام.

هـ - أهم مدارس خراسان الأخرى:

وكانت النظاميات مدعاة لبناء المدارس، ومثارًا للتنافس بعد ما أصبحت نموذجًا يحتذى به، ويقتديه مؤسسـوا المؤسسات العلمية منذ بداية تشيدها الى ما بعد ذلك بعصور طويلة، ولعل أولى المدارس التى اتخـذت النظامية منافسًا لهـا، وشيـدت على غـرارها مدرسـة "أبى سـعـد المستـوفى" ت ٤٩٤هـ/ ١٠٠١م، بمدينة مـرو لأصحاب أبى حنيـفة ووقف فـيهـا كتبًـا نفسـية[١]، ومدرسـة "محـمد بن منـصور" عمـيد خـراسان بمرو، ووقـفهـا لأبى بكر السمعانى ولأولاده، كما قام ببناء مدرسة بنيسابور أيضًا، وتوفى سنة٤٩٤هـ/ ١٠٠١م[٢].

وعلى الرغم من بناء المدارس النظامـية، فقـد كانت هناك عـدة مدارس بخراسان منها المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام[٣]، وقد تتلمذ بهذه المدرسة أبو المعالى الجوينى ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وكان يتـفقه بها عند أستاذة أبى القاسم الأسفراينى، وكـان يواظب على مجلسه[٤]، ومن مدرسيها أيضًا أبوبكر أحمد بن محمد البوشنجى ت ٤٥٣هـ/ ١١٤٧م[٥].

ومن مدارس خـراسان المشهورة أيضًـا المدرسة العميـدية بمرو وكان من أكبر مدرسيها أبو سعد السمعانى الشافعى ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م[٦]، والمدرسة

١ - ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص١٢٨ .
٢ - ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٧٤ .
٣ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٤، ص٤١٣ .
٤ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٥، ص١٦٩ .
٥ - الاسنوى: طبقات الشافعية، ص٧٠ .
٦ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٧، ص١٨٢ .

البلخية ببلخ وتنسب الى الغمام أبوالحسن على بن الحسن محمد البلخى الحنفى، ت ٤٥٨هـ/ ١١٥٢م(١).

وكان هناك المدرسة السعدية بنيسابور بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى، ومدرسية بنيت للأستاذ أبى إسحاق الإسفراينى ت ٤١٨هـ/ ١٠٠٥م، قيل عنها لم يبن مثلها فدرس بها وعليه تفقه القشيرى والبيهقى(٢).

ما يؤخذ على النظاميات:

فى الوقت الذى كانت مثلاً يحتذى فى سمو أغراضها ورقى نظم الدراسة فيها، ولكنها كانت لا تخلو من مآخذ ومخاوف فى هذه الناحية نفسها، وكان أول ما خشيه العلماء من ابتداع نظام الملك، لمدارسة، منح الأجور للأساتذة والطلاب، فسار العلم وفى نظرهم بضاعة، وصار أهله كتبة، وصار التزاحم عليه لا لشرف العلم وإعلائه، بل لتحصيل المنصب والمال، وبذلك هبط مستوى التعليم، كما نزل قدرل العلماء مما دفع بعلماء ما وراء النهر الذين أصابهم الهم والحزن، عندما كوشفوا بناء المدارس ببغداد وخراسان وغيرهما، أن أقاموا مآتمًا للعلم، وقالوا "كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العلية، والأنفس الذكية يقصدون العلم لشرفه والكمال به، فيأتون علماء ينتفع بهم ويعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساد وأرباب الكسل(٣).

وما يؤخذ على النظاميات أيضًا ربط المدارس بدوائر الحكم، وخضوع العلم للسياسة، ونفوذ الحكم، والسياسة إذا دخلت حظيرة العلم دمرته وأفسدته إذ أن أول ما تعنى به، وتسعى لنشره إنما هو الصالح الفئة الحاكمة على حساب العلم، والدعوة لها ولمعتقداتها، وتسخير أقلام العلماء، والسنة

---

١ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٢٩ .

٢ - ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣ ـ ص٢٠٩- ٢١٠ .

٣ - حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٥٣، حسين أمين: المدرسة النظامية، ص٢٣٢ .

الأدباء فى الثناء عليهم والدفاع عن مصالحهم، وبذلك وصلنا ركام من التأليف والدواوين إذ وردت فى ثناياها عبارات التبجيل والتقديس، وقصائد المديح والإطراء[١]، ويؤخذ على النظاميات أيضًا أن الوزير فرض عليها نمطًا من الدراسات فى العقائد والعلوم، فلا يكون المدرس ولا الموظف، إلا شافعيًا، وهذا يعنى إلا تكون الدراسات فى علوم الفقه، وما وراء الطبيعة إلا على مذهب الشافعى "الأشعرى"، وهو طريق لا يمكن للمعارف العامة فيها أن تتسع، وللفكر أن ينمو ما لم تعش فى مناخ حر، ونقد نزيه.

ولكن نظام الملك لم يمانع من تدريس المذاهب الأخرى ولكن خارج نظامية وقد فقد كان هناك مدارس للأحناف، والحنابلة بل والشيعة الى جانب مدارسه ولم يكن يضيق بكل هذه المدارس ولا بزعمائها، وتلاميذها.

كما حدث المدارس النظامية من حرية العلماء قدر الإمكان ودمجهم فى الجهاز الحكومى، السلجوقى، وكان بغية النظام وسلاطين السلاجقة[٢]، وعلى الرغم من هذا كله فإنه يعود الفضل الى النظاميات الى أنها كانت من خير ما اهتدى غليه العقل للتفرغ للعلم، وأنها من أفضل الوسائل لنشره، ويكفى أن خريجها قد انتشروا فى العالم الإسلامى كله شرقه وغربه، شماله وجنوبه، وطبقت شهرتها الأرض كلها، وقصدها طلاب العلم من كل مكان.

٣ - المكتبات (خزائن الكتب):

شهد العصر العباسى حركة نشطة فى مجالات التأليف وصناعة الورق، وقد تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب، فكثرت المكتبات التى تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات من أهم المؤسسات الثقافية الإسلامية[٣].

---

١ - عبدالهادى رضا: الوزارة، ص٣٧٢- ٣٧٣ .

٢ - صفية سعادة: تطور منصب قاضى القضاة، ص١٠٧ .

٣ - حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ٤ أجزاء، النهضة المصرية، ١٩٦٢م، جـ٤، ص٤٣٠ .

ولقد اتخذت المساجد مستودعات الكتب، فكانت خزائنها غنية بالكتب لا سيما الكتب الدينة التى كان الناس يهبونها لها أو يقضونها على القراء[1]، وفى القرن الخامس الهجرى، أقامت الدولة الإسلامية مؤسسات علمية واضحة المعالم، هى المدارس، ساهمت على الدوام مع المساجد فى تطوير ثقافة الشعوب[2].

وانتشرت خزائن الكتب العامة في المؤسسات العلمية (المساجد - المدارس)، وانتشرت الى جانبها خزائن الكتب الخاصة بالخلفاء العباسيين فى قصورهم[3]، مثل خزانة كتب نفسية، لخليفة القائم بأمر الله العباسى (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣٠- ١٠٧٤م)[4]، ومكتبة الوزير عميد الملك الكندرى ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م[5].

ففى عصر السلاجقة زاد الاهتمام بالحركة الفكرية بشكل عام، وبدور الكتب بشكل خاص، فقد حظيت باهتمام المسئولين عن الإجارة فى الدولة السلجوقية حتى شاعت وانتشرت دور الكتب، وأصبح من النادر أن تخلو مدرسة أو مسجد أو مستشفى أو غير ذلك من مؤسسات العلم دون أن تجد مكتبة عامرة ملحقة بها[6].

فقد أهتم "نظام الملك" بالمدارس النظامية، ووقف عليها الوقوف، ثم أنشأ بكل مدرسة دار كتب[7] وكان يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق فى اختياره، ويجب أن يكون عالمًا، عارفًا سنى المذهب شافعى أصلاً وفروعًا له، معرفة جيدة بالآداب والعلوم، حسن الخط كتب الكثير من الكتب الأدبية[8]، وكان الخط النسخ من أشهر الخطوط المستخدمة لنسخ الكتب

١ - عبدالنعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٩٤- ١٩٥ .

٢ - يوسف العشى: دور الكتب العامة وشبه العامة، ص١٨٠ .

٣ - محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص٢٦٢ .

٤ - ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص٤٠٦- ٤٠٧ .

٥ - إدريس: تاريخ العراق، ص٢٦٢ .

٦ - مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص١٩٢ .

٧ - البندارى: آل سلجوق، ص٥٩ .

٨ - محمد ماهر حمادة: المكتبات فى افلام، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٤م، ص١٥٣ .

العلمية والدينية والتاريخية والأدبية[1]، وكان نظام الملك يغدق الأموال والهدايا على خزائن الكتب، كما كان يشترى الكتب بأوفر الأثمان[2]، وكان دور الكتب مزودة بالأقلام والأحبار والورق ليتمكن الكتاب من نسخ ما يريدون من الكتب التى تشمل الأدب وسائر العلوم[3].

خزانة كتب نيسابور:

حظيت نيسابور بنفس الاهتمام الذى خطيت به نظامية ببغداد، فانشأ بها نظام خزانة الكتب وأوقف عليها القرمون ورتب لها خازنا وعمالا، ورتب لهم الرواتب[4]، وحظيت خزانتها بالكثير من المؤلفات النفسية ومنها، ديوان أبى على عثر على العمانى، وأبى المظفر ناصر بن محمد، وقد ظفر الباخرزى بالأول[5] كما عثر على الثانى والتقط منه أبياتا به مواته ونشر رفاته[6]، ثم كتاب الحيوان بالفارسية للفقيه الحكيم "أبى عبيد الله عبد الواحد الجوزجانى" من خواص تلاميذ ابن سينا وندمائه وشارح رسالة حى ين يقظان، ومفسر مشكلات القانون وكتاب المفارقات لابن سينا[7]، كما وجدت بها نسخة من كتاب وأعداد العقول والأفلاك وترتيب المبدعات، فأخذها جمال الملك بن نظام الملك، ولا ندرى إطارات بها العنقاء أم ادركها الفناء، وكان هذا الكتاب مشعوق كافة الحكماء[8].

وعلى غرار ذلك أسس نظام مكتبات الحق بكل مدرسة من مدارسه،

---

١ - الدمشقى: مصطفى السباعى الدمشقى، اليقين فى معرفة أنواع الخطوط وذكر بعض الخطاطين من الترك والفرس والعرب، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٣٨٥ ميكروفيلم ٨٤٣١ ورقة ٥ .

٢ - السبكى: طبقات الشافعية، جـ٤، ص٣٨٣ .

٣ - يوسف العش: دور الكتب العامة وشبه العامة، ص١٧٤ .

٤ - حسين على ممتحن: المدرسة النظامية، ص١٩ .

٥ - دمية القصر: ج١، ص٢٤٢، ص٢٤٣ .

٦ - الدمية: نفس الصفحات.

٧ - البيهقى: على بن زيد ت ٥٦٥هـ/ ١١٧٠، تاريخ حكماء السلام، تقديم وتحقيق ممدوح حسن على، ط١، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١١٧ - ١١٨ .

٨ - البيهقى: نفسه، ص١١٩ .

واحدة منهـا، وكانت كلها عـارمة بنفائس المخطـوطات، ونوادر المؤلفات فى العلم والأدب منها:

خزائن كتب مرو:

كـان بمرو عشـر خزائن للكتب لم يـر فى الدينا زمن كثـرة ما بهـا من كتب، منها خـزانتان فى الجامع، الأولى: الخزانة الغزيزية، وفقـهـا رجل يقال له عزيز الديـن أبو بكر عتيق الزنجـانى، وكان فـيها اثنى عـشر مـجلدا أو ما يقاربها، والأخرى يقال لها الكمالية، وبمرو خزانة كتب أبو سعد المستوفى ت ٤٩٤هـ/ ١٠٠١م، وكانت فى مدرسته التى أوقفها لأصحاب أبى حنيفة، ثم خزانة الملك الطوسى(١).

خزانة كتب طوس:

وتحتوى على أندر الكتب والمخطوطات(٢).

٥ - منازل العلماء:

قامت منازل العلماء بدور كبيـر فى نشر العلم، وتوسيع النشاط الفكرى فى إقليم خـراسان، وكم من مـرة وقف فـيهـا الطلبـة على أبواب الشيـوخ ليسـالألوهم أو ليسمـعوا منهم، وكـان اليشوخ والعلمـاء يتمثـلون بقول الله تعالى: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا . . . . ويلعنهم اللاعنون"(٣).

ولقد كانت الدروس المنتظمـة تلقى فى البيوت التى كان تصـميم بنائها يتلاءم مع هذه الأغراض(٤)، وربما عقدت مجالس الدروس عند عتبة الباب، حيث الطلبة فى الطريق مع شيخهم الذى يلقى عليهم دروسه(٥).

---

١ - ياقوت الحمـوى: معجم البلدان، ج٨، ص٢٥٤، ٢٥٥، لسـترنج: بلدان الخلافة الشـرقية، ص٤٤٣، ٤٤٤ .

٢ - عبدالهادى رضا: الوزارة، ٣٦٢

٣ - سورة البقرة: الآية ١٩ .

٤ - منير الدين أحمد: تاريخ العلم، ص٧١ .

٥ - البغدادى: تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٣٥، ٣٥٤ .

ولذلك اضطلع علماء المسلمين بمهمة التعليم الجليلة على مرو العصور، فكان من حملة الآداب التى يحرص عليهـا العلماء ما ذكره الغزالى[1] "اعلم أن الإنسان فى علمه أربعة أحوال، حال طلب واكتساب، وحال تحصيل يغنى عن السؤال، وحـال استبـصار وهو التفكيـر فى المحصل والتمـتع به، وحال تبصيـر وهو اشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلم فهـو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات[2].

ومن ذلك يتضح انه على العالم المعلم إفادة المتعلم بالعلوم التى يدرسها له، ونظرا لزيادة النشاط الفكرى الذى تميـز به إقليم خراسان، وكثـرة العلماء بخراسان، ونزولهم منازل العلماء ولإقامتهم فيها مما كان له أثر كبير فى عملية التعليم.

٦- حوانيت العلماء:

كـان بعض العلمـاء يعـملوا فى الأسـواق لكسب مـعاشـهم، وكـانوا يستقـبلون طلابهم فى حوانيتـهم التى كانت هى أيضا ملتقى العلـماء، حيث كانوا يتباحثون فى مختلف المواضيع المتعلقة بالحديث النبوى والرواية والشعر، وما إلى ذلك من فقه وكلام وغيره[3].

ومن هؤلاء العلمـاء الـشيـخ أبو الفـتـوح عـبـد الوهاب الشـاذياخى النيسابورى ت ٥٣٥هـ/ ١١٤١م، وكـان يروى الأحاديث فى حانوته[4]، بل أن أحد علمـاء الفقه كـان يعقد مـجلس درسه فى حانوته بـانتظام بين صلاة المغرب والعشاء[5].

---

١ - أحياء علوم الدين، ج١، ص٦٩ .

٢ - ولقد حدد الغـزالى وظائف العلم وآدابه فى ثمان وظائف لمزيد من التفاصيل راجع الغـزالة: أحياء علوم الدين، ج١،ص٦٩- ,٧٢

٣ - منير الدين أحمـد: تاريخ التعليم، ص٧٢، محمـد عبد العظيم: الحياة الفكرية فى أصـفهان، ص١٣، محـمد سعـد السيـد: الحياة الفكرية فى إقليـم خوارزم فى العصـرين السلجوقى والخـوارزمى، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، ٢٠٠٤م، ص٨٤ .

٤ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥٤٦ .

٥ - البغدادى: تاريخ بغداد، ج٤، ص١٠٣، ج١١، ص١٣٧، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٧٢، ٧٣.

٧ - حوانيت الوراقين:

لما اتسعت الدولة الأسلامية، وكثرت المؤلفات العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها فى الآفاق والأمصار، فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين[١].

وكانت حوانيت الوراقين عبارة عن دكاكين صغيرة تقام قرب المساجد وتجلس فيها باعة الكتب الذين كان أكثرهم الخطاطين أو النساخين أو المتأدبين[٢]، ولقد انتشرت هذه الدكاكين وغدت مسرحا للثقافة والحوار العلمى فى العواصم والبلدان المختلفة وحفلت كل مدينة بعدد وافر منها[٣]، وأصبحت الوراقة صورة من النشاط الفكرى والعلمى فى الحضارة الإسلامية فى إقليم خراسان، حيث كان للوراقين الأثر الفعال فى تنشط الحركة العلمية وتيسرها، وتطوير الكتاب والافتنان فى إخراجه وتجليده وتذهيبة[٤]، وكان للفرس أو الترك على السواء عناية خاصة، بالتذهيب بالنقوش الثمينة فى الخط قديما وحديثا[٥].

ونظرا لأن سكان إقليم خراسان من الفرس والترك، فقد ازدهرت حوانيت الوراقين فى هذا الإقليم، خاصة فى العصر السلجوقى، ونشطت تجارة الوراقين وذلك بإنشاء حوانيت للتجارة[٦]، فانتشرت المصانع فى كثير من أنحاء البلاد الإسلامية، حيث أصبح الورق من المواد الشائعة فى الكتابة والتدوين الإسلامية[٧]، ومنها مدن وقرى إقليم خراسان.

---

١ - ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص٣٤٩، هالة شاكر عبد الرحمن: الورق والوراقون فى العصر العباسى ١٣٢ - ٦٥٦هـ، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، ص٢٢٤

٢ - عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٩٥ .

٣ - عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص١٤٨ .

٤ - الجبورى: الكتاب فى الحضارة الإسلامية، ص١٢٤ .

٥ الدمشقى: اليقين فى معرفة أنواع الخطوط، مخطوط، ورقة ٨ .

٦ - محمد طه الحاجرى: مجلة المجمع العراقى، الورق والوراقة فى الحضارة الإسلامية، مج١٢، مطبعة المجمع العراقى، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص١٣٧، ١٣٨ .

٧ - الجبورى: الكتاب فى الحضارة، ص٨٠ .

وقد كثرت مـجالس الإملاء وانتشرت فى المدن الإسلامية، وكـان كثير من مـؤلفـات المسلمـين قد ألـفت عن طريق المسلمـين قـد الفت عن طريق الإملاء، ولهذا فقـد أظهرت كتب كثيرة مقـرونه باسم الأمالى، منها "أمالى شمس الأئمة السرخس الحنفى ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م[1]، والأمالى فى الفقه: لعبـد الرحـمن بن أحـمد أبو الـفرج السـرخسى الشـافـعى ت ٤٩٤هـ/ ١٠٠١م[2].

٨ - مجالس الوزراء:

لقد حفلت قصـور السلاطين والوزراء والأمراء بمجالس العلم، فكانت مجـالسهم مجمـعا يفد إليه العـديد من العلماء والأدباء لعرض إنتـاجهم، أو المناقشة والمناظرة مما أدى إلى إثراء الحياة الفكرية فى إقليم خراسان عامة.

وكـان أول ملوك السـلاجقـة طغـرلبك ت ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م[3]، قد استوزر محمد بن منصور بن محمد، الملقب عميد الملك الكندرى، الذى كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة[4].

ويقول الباخرزى[5]: جمعنى وإياه مجلس علم يقصد عميد الملك سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م، فعاشرت فيه شابا، - مـهر حداثته قروح، فرأيت هنالك حسما كله روح.

ولقد عده النظامى العروضى[6]: من جملة الكتاب الذين لابد للكاتب الإطلاع على كتبه، وعلى الكاتب أن يطلع على هذه الكتب ويديم مطالعتها، حتى يصقل ذهنه، وينير طريقة، ويستحق اسم كاتب.

---

١ - حاجى خليفة، كسف الظنون، ج٣، ص١٥٨ .
٢ - إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج١، ٥١٨ .
٣ - ابن العلماء: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٩٥ .
٤ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٣٨ .
٥ - دمية القصر وعصره أهل العصر، ج٢، ص١٣٨، ١٣٩ .
٦ - جهار مقاله، المقالة الأولى، ص٢٣ .

على أن أعظم وزارة السلاجقة الذين اعتنوا بالعلم والعلماء هو الوزير نظام الملك ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢، الذى اعتنى ببناء المدارس ودور المكتب والمساجد، إلى جانب ذلك كانت مجالسه مليئة بالعلماء، حيث جعل فى دارة ندوه يوم الاثنين من كل أسبوع يرتادها العلماء والأدباء دون قيد فى سن أو شرط فى مذهب فهذا الحنبلى والمالكى إلى جانب الحنفى والشافعى(١)، ولقد سار كثير من أولاد وأحفاد نظام الملك ممن تولوا الوزارة على نهجه فى الاعتناء، فكان الوزير "صدر الدين محمد بن فخر الملك بن نظام الملك" وزير السلطان سنجر ت ٥٥١هـ/ ١١٥٦م يجالس العلماء ويصطحبهم وكثيرا ما يدعوهم إلى مجلسه(٢).

وكان مجلس قوام الدين الدركزينى وزير السلطان سنجر ملئ بالفضلاء والشعراء والفضلاء أشعارا غراء فى مدحه، فشملهم بعنايته وإحسانه(٣).

٩ - مجالس العلماء:

المجلس هو الشكل الآخر للتعليم بعد نظام الحلقة، واصله المجلس الذى كان يتخذه الرسول ﷺ وسار كثير من المسلمين على منواله، وكان يجلس الرسول ﷺ فى مسجده وحوله الصحابة رضوان الله عليهم، ليعلمهم أمور دينهم، وأصبحت مجالس المساجد للعلم سنة من بعده(٤).

ولقد تعددت مجالس العلماء فكان هناك مجالس الحديث، ومجالس التدريس، والوعظ، والمناظرة، والمذاكرة، ومجالس الشعراء، والآداب، والفتوى.

مجالس الحديث:

وهى نوعان: عارض، ودائم، فالعارض هو أن يكون لدى المحدث

---

١ - محبوبة: نظام الملك، ص٢٥١ .

٢ - النظام العروضى: جهار مقاله، ص٧٠ .

٣ - خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٨٧ .

٤ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٥٥ .

أحاديث محدودة فيجلس لروايتها فى مجلس أو مجلسين، ومثلها المجالس التى يحضرها العامة لسماع الحديث التى كانت تعقد فى بيوت بعض الأعيان(١).

أما المجالس الدائمة التى يعقدها الشيوخ المتخصصون فى الحديث، فى أيام معلومة من كل أسبوع، ويحضرها الطلبة ويداومون على حضورها حتى يفرغ الشيخ من إملاء حديثه، وقد تستغرق ذلك عدة سنوات، تصل فى بعض الأحيان إلى العشرين أو الثلاثين سنة(٢)، مثل مجلس أبى القاسم القشيرى الذى كان يعقد مجالس الإملاء فى الحديث من سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م إلى أن توفى سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م(٣)، وممن كان يعقد مجالس الإملاء فى الحديث بنيسابور إلى أن توفى سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م(٤).

وكان محمد بن أبى المظفر السمعانى ت ٥١٠هـ/ ١١٧م يعقد مجلس الحديث بمرو(٥)، ولقد شاركت النساء فى مجالس الحديث، فكانت تعقد لهن مجالس مثل مجلس بيبى بنت عبد الصمد الهروبة، سمع منها عالم لا يحصون، توفيت ٤٨٥هـ/ ١٠٨٢م(٦).

مجالس التدريس:

وتخص هذه المجالس عادة بتدريس الفقه والنحو وعلم الكلام، وما إلى ذلك من العلوم(٧)، وكان شيوخ هذه المجالس يتبعون منهاجا خاصا فى التدريس لم يكن محددا، إلا أنه لم يكن فى العادة كبيرا، وكان مجالس أبى

---

١ - البغدادى: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٦٧، ج١٢، ص٢٤٧، ٢٤٨ .
٢ - البغدادى: المصدر السابق، ج٨، ص٣٤، ٣٥ منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص٥٦ .
٣ - السبكى: طبقات الشافعية، ج٥، ص١٥٦ .
٤ - ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص٤٩، ٥٠ .
٥ - إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص٨٣ .
٦ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٩٩، ٤٠٠ .
٧ - البغدادى: أحمد بن على، الكفاية فى علم الرواية، حيدر باد الدكن، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص٥٤: ٥٥ .

المعالى الجوينى ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، كان يحضره نحو ثلاثمائة رجل من الأئمة والطلبة.

مجالس الوعظ:

كانت مجالس الوعظ أهمية كبرى فى الدولة، الإسلامية، حيث يقوم الواعظ مقام المدرس، ويحضر حلقته عامة الناس دون تمييز، ويأخذ الواعظ على عاتقه بتثقيف الناس ثقافة دينية، وشرح لهم الشرائع، ويجيب على جميع أسئلتهم، وخاصة ما يتعلق بالفتاوى الدينية[١]، ومن أشهر الوعاظ فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى.

١٠ - البيمارستانات:

وتختصر فى كثير من الأحوال فيقالا "مارستان" وهى مأخوذه من الكلمة الفارسية بمعنى مريض و"إستان" بمعنى مكان، وتدل على المستشفى، والبيمارستان فى الاصطلاح الحديث يطلق بصفة بخاصة على مكان يأوى المجانين[٢].

وكانت البيمارستانات دورا لعلاج المرضى[٣]، كما شملت تدريس صناعة الطب، حيث أنه لابد لمن يتعلم الطب ويدرسه ويمارسه كمهنة أن يعمل فى المستشفيات حتى يتدرب ويتمرس على مهنة الطب، ويستطيع أن يكتسب الخبرة من الحالات التى يقابلها تحت إشراف أساتذة علماء[٤]، كما أن

١ - مليحة رحمه الله: ملامح من الحياة الاجتماعية فى بغداد، مقال منشور بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس عشر، ١٩٦٦م، ص١٠٤ .

٢ - دائرة المعارف الإسلامية: مركز الشارقة للإبداع الفكرى، مج٧، ط١، ١٤٨٠هـ/ ١٩٩٨م، ص٦٤ ٢٠ مادة بيمارستان.

٣ - توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١١٤ .

٤ - عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١٠ / ١٩٩٠م، ص٥٠١ .

بعضنا من مشايخ الطب كان يجعل له مجلسا خاصا لتدريس الطب فى منزله أو فى مدراس خاصة بذلك[1].

ولقد انتشرت البيمارستانات المتنقلة فى العصر السلجوقى، ولقد أجمع المؤرخون على أن السلطان السلجوقى كان يستصحب فى معسكرة بيمارستانات على أربعين جملا[2].

وكان الأطباء فى إقليم خراسان ومعالجاتهم البديعة وآثارهم الطيبة الحسنى، لخير دليل، على وجود بيمارستانات تمارس فيها هذه المعاجات[3].

ومنها بيمارستان نظام الملك بنيسابور[4]، وكان قبل نظام الملك دارا للمرضى، يقوم الأطباء بتمريض المرضى بها، وكان عبد السلم بن محمد بن إبراهيم الخركوشى النيسابورى ت ٤٠٧هـ/ ١٠١٥م الذى بنى هذه الدار يقوم بشراء الأدوية للفقراء[5].

١١ - الزوايا والأربطة والخوانق:

الزوايا جمع زاوية وهى لفظ عربى معناه الركن من الدار، أو المكان عامة[6]، وهى من مؤسسات العلم والثقافة، وهى عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة فى جهات مختلفة من المدينة فى شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها، ويعقدون فيها، ويعقدون بها حلقات الدراسة فى علوم الدين وما يتصل بالعلوم النقلية والعقلية[7]، وكانوا

---

١ - محمد كامل حسين وآخرون: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، جزءان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، بدون، ص٢٣٠ .

٢ - حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، الطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٠٢ .

٣ - ابن أبى أصيبعة: موفق الدين أبو العباسى أحمد بن القاسم السعدى، ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ٣ أجزاء فى مجلدان، ط٢، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص٢٦٧ .

٤ - السبكى: طبقات، ج٤، ص٣١٤ .

٥ - السبكى: طبقات الشافعية، ج٥، ص٢٢٢، ٢٢٣ .

٦ - المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، حاشية ٣، ص١٨٢ .

٧ - محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص٢٥٠ .

يقفون هذه الزوايا ومثلها التكايا على الفقراء الصوفية، وكانت الزوايا تبنى أحيانا لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم وينقطع للعبادة[1].

أما الأربطة: فأصل الرباط ما يربط فيه الخيل[2]، عملاً بقول الله تعالى "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"[3] ثم قيل أن الرباط مكان إقامة الحامية المرابطة عند ثغور العدو[4]، حيث يدافع المجاهد المقيم فى الرباط عمن وراءه على طاعة الله وبدعائه عن العباد والبلاد[5].

ومع مرور الزمن تغيرت وظيفة الأربطة فى البلاد الإسلامية، فلم تعد مكانا عسكريا، بل أصبحت أماكن لحياة الزهد والتقشف، والتصوف يرتادها الصوفية كما أصبحت تؤدى خدمات اجتماعية ودينية، إضافة التى دورها الثقافى فى الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب، وساعد على ذلك أن الواقفين لهذه الرباطات قد أنشأوا فيها الخزائن، ووقفوا بها الكتب، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكتباتها، وكذلك يفعل الطلاب الذين يرحلون فى طلب العلم، وكان العلماء يتخذون من الرباط أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف، وساعدهم على ذلك مكتبات الأربطة العامرة، وإمكانية مكوثهم فيها وقتا طويلا وماتهيأ لهم فيها من معونة بشرية تتمثل فى الطلاب والمتصوفة، الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلبا للتوبه[6].

ولقد انتشرت الربطة فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، خاصة

---

١ – عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص١٦٢ .

٢ – السهروردى: شهاب الدين أبى حفص عمر ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م، عوارف المعارف، تحقيق د. عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، جزءان، دار المعارف، القاهرة، بدون، ج١، ١٨٠ .

٣ – سورة الأنفال: الآية ٥ .

٤ – السهروردى: عوارف المعارف، جـ١، ص١٨٠ .

٥ – لمزيد من التفصيل عن خصائص الأربطة، راجع السهروردى، ج١، ص١٨٣ : ١٩٢ .

٦ – مريزى عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص٢٣٩، الزهرانى: الحياة العلمية فى صقلية، ص٢٤٢ .

في عهد الوزير نظام الملك الذى بنى الرباطات فى مدن خراسان[1]، كما قام العلماء ببناء الرباطات، فقام حسان بن سـعيد المنيعى ببناء الأربطة فى نيسابور ومرو[2]، وقـام أبو سـعـد النيـسابـورى ت ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، ببناء رباط بنيسـابور، وكان شيخ الرباط، وكـان له مريدوه، وكان نظـام الملك يعظمه، وناب عنه فى مشيـخة الرباط ولده إسماعيل وجلس مكانه وكـان يدخل راكبا على جمله من باب الرباط[3].

- رباط فيروز أباد بهراة، وكان شيخ الصوفـية بالرباط الجنيد بن محمد القاينى لمدة أربعين عام حتى توفى سنة ٥٤٧هـ/ ١٠٥٥م[4].

- رباط عبـد الله بن أحمـد المروزى ت ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م، لقـد أنشأه للمحدثين واشترى كتب ووقفها فى رباطه[5].

أم الخوانق: فهى جمع خانـقاه، والخانقاة كلمة فارسيـة معناها البيت، وهى حديثة فى الإسلام، فى حدود الأربعمائة، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف[6]، وكانت تبنى غالبا على شكل مـساجد للصلاة، إلا أن فيها غرفا عديدة لمبيت الفقراء والصوفية وبيتا كبيرا لصلاتهم مجتمعين والقيام لأورادهم وأذكارهم، ولا يكون فيها فى الغالب منبر لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها إلا نادرا[7].

ومن هذه الخوانق:

خانقاة الغزالى ابتناهـا أبو حامد الغزالى ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م، بطوس

١ - السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ٣١٢ .
٢ - ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص٢٧٠ .
٣ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٦، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٦٣، وذكر ابن العماد أنه توفى ٤٧٩هـ/ ١٠٦٨م.
٤ - السبكى طبقات الشافعية، ج٧، ص٥٤، ٥٥ .
٥ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥٦١ .
٦ - المقريزى: السلوك، ج١، حاشية ٤، ص١٨٢، أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص١٢٢ .
٧ - عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص١٦٠

للصوفية ولزمها ووظف أوقاته في التلاوة والتدريس والنظر في الأحاديث ومجالسة أهل القلوب حتى توفى بطوس[١].

"خانقاة زولاه" بنواحى مرو، وكان شيخ الصوفية بها أبو منصور محمد بن محمود المروزى، ت ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م، وصارت الخانقاة مقصدا لطلبة الحديث، وقد سمع منه أبو سعيد المسعانى ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، وصارت زولاه مقصدا لطلبة الحديث والعلم[٢].

١٢ - القلاع والحصون:

اشتهر إقليم خراسان ببناء القلاع والحصون والسوار لحمايتها ولقد اتخذت هذه القلاع والحصون كنقاط حربية إلى جانب كونها مكانا للتعليم حيث كان يرابط فيها الفقهاء والعلماء والطلاب فتحولت من قلاع حربية إلى قلاع علمية[٣].

ومن هذه القلاع والحصون: حصن بذخشان[٤]، وحصن هراة[٥].

ولاية قهستان، وكانت أحد بلاد خراسان المليئة بالحصون والقلاع واستولى عليها الحسن الصباح سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[٦].

طبس:

وكانت أحد حصون خراسان، واستولى عليها الحسن الصباح أيضا سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م[٧] واستطاع السلاجقة إعادتها بعد عشر سنوات من الصراع عليها وذلك سنة ٤٩٧ / ١١٠٤م[٨].

---

١ - ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص١٢ .

٢ - الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥٢٥ .

٣ - محمد عبد العظيم: الحياة الفكرية فى أصبهان، ص١٢ .

٤ - السمعانى: الأنساب، ج١، ص٣١٤، بذخشان فى أعالى طخارستان ملازمة لبلاد الترك، وبها رباط بته زبيدة جعفر بن أبى جعفر المنصور السمعانى: الأنساب، ج١، ص٣١٤ .

٥ - المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٤٣ .

٦ - الجوينى: جهانشاى، ج٣، ص٢١٦ .

٧ - برناردجلويس: الحشاشون، ص٩٠ .

٨ - الذهبى: دول الإسلام، ج١، ص٤٣٤ .

قاين:

قلعة حصينة من قلاع خراسان، وكان الحسن الصباح قد أرسل أحد دعاته ويدعى "حسين القاينى" إلى قهستان ليتولى الدعوة بها وبقاين وطبس، فاستجاب له جماعة من أهلها، واستقل بقهستان وقلاعها، وعينه الصباح نائبا عليها[1].

قلعة كردكوه أحد قلاع خراسان واستولى على الإسماعيلية وكانت أحد قلاعهم الحصينة[2].

وبذلك كانت القلاع أحد المؤسسات العلمية التى اتخذها الشيعة - الإسماعيلية مقرا لنشر دعوتهم الباطنية، وبذلك كانت القلاع والحصون لخدمة الباطنية.

وهكذا كانت المؤسسات العلمية ذات أثر واضح فى النهضة الفكرية التى شهدها إقليم خراسان، وأقاليم العالم الإسلامى، بفضل اهتمام السلاطين والوزراء والعلماء ببناء هذه المؤسسات العلمية، التى أنجبت لنا علماء أجلاء كان لهم الفضل فى تسيد الحضارة الإسلامية، على الحضارات الأخرى فى تلك الفترة.

ولكن الغزو المغولى لآسيا الوسطى وخراسان أدى الى تدمير أغلب هذه المؤسسات التعليمية وقتل العلماء وهجرتهم من خراسان الى العراق والشام ومصر، وحرق وتدمير آلاف الكتب المؤلفة من قبلهم، والتى لم يتبق منها إلا النذر القليل.

---

١ - الجوينى: المصدر السابق، ص١٩٤ .

٢ - يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص٢٠٩ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد.

فإن إقليم خراسان لعب دوراً هامًا فى الحياة السياسية منذ بدأ فتحه فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يكن يمر القرن الأول الهجرى حتى انتشرت أعلام التوحيد فى المنطقة، واستقر الإسلام فى كل ربوع خراسان.

* هاجر الى خراسان عدد كبير من الصحابة والتابعين، وبعض القبائل والأسر العربية، واستوطنوا المنطقة، وأطلقوا أسماء عربية على بعض المواطن التى سكنوها، وقد أدت هذه الهجرات العربية الى نتائج عديدة من أهمها نشر اللغة العربية، والدين الإسلامى نظريًا وتطبيقًا عمليًا، وجعل خراسان منطقة تكاد تكون عربية.

* لعبت خراسان دوراً محوريًا فى العصر العباسى الأول بل منذ قيام الدعوة العباسية التى ظهرت فيها وانتشرت، وكانت هى العمود الفقرى لقيام الدولة العباسية التى تأثرت كثيراً بالفرس سكانها طوال العصر العباسى الأول.

* عندما استقلت الدويلات بإقليم خراسان كالطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية والأتراك السلاجقة، كان الإقليم قد نضج سياسيًا وأصبح دوره السياسى أشد وضوحًا وقوة.

* كان لاقتصاد هذا الإقليم القوى وازدهاره اقتصاديًا زراعيًا وصناعيًا وتجاريًا لوقوعه على أشهر طريق تجارى وهو طريق الحرير العظيم، ولعب إقليم خراسان دوره الاقتصادى البارز فى المعاملات والعلاقات التجارية مع كل الدول المحيطة بل والبعيدة عنه.

* كانت المظاهر التى ربطت بين أبنـاء ومجتمع خراسـان قوية رغم أنه مكون من أجناس مختلفة (عرب - وفرس - وأتراك) حيث كانت اللغـة العربـية والدين الإسـلامى هى أهم هذه الروابط، فـإذا أردنا للأمة الإسـلامية أن تعـود الى وحدتها، فـلابد من الاهتمـام باللغة العربية ونشرهـا، ونشر الدين الإسلامى بشموله ووضوحـه وسلميته وسماحته، ومحوا الفواصل بين بلدان العالم الإسلامى.

* أحدث الإسلام تغيـيراً كبيراً فى طبقات المجـتمع الخراسانى، وأعطى الإسلام حرية التـعليم وكرم المرأة، وكفل لها حياة كـريمة مما ساهم فى نهضة المجتمع الخراسانى.

* اهتم التجار الخراسانيون بالأسواق اهتمـامًا كبيراً، فأنشأوا لكل تجارة سوق، وأدى الى انتـعاش الحركة الاقـتصادية، مما أدى الى استـقرار المجتـمع، ولو أن التجار المسلمـين اليوم اتخذوا وفكروا فى خـدمة مهنتهم وتشجيع الحركة التجارية بإقامة أسواق تجارية إسلامية عالمية، لأثروا الاقتصاد الإسلامى وأصبحوا قوة كبيرة تتحدى العالم.

* اهتم حكماء خـراسان بالعلم والعلماء، فـشجعـوا العلماء والطلاب وأوقفوا عليها الأوقات، حـيث انتشرت الكتاتيب والمساجد والدارس النظامية فى خراسـان فى العصر السلجوقى الذى شهد نهـضة علمية كبيرة.

* كانت الرحلة فـى طلب العلم من السمات المـميزة لأبناء خـراسان، وكـان طلاب علم اللغة والحـديث من أكـثر الناس اهتـمامًـا بتلك الرحلة، وكان لهذه الرحلة آداب عامـة يتحلى بها طلاب العلم مثل التواضع، والزهد والحرص على طلب العلم.

* كـانت مجـالس العلم والعلمـاء العامـة والخاصـة من سمـات ذلك العصـر، وكان الحكام مهتـمون بهذه المجـالس أهتمامًا بالغًـا، لأنها

تثرى الفكر، وتنتج العلم آفاق أرحب وأوسع، وهـذا يشبه الى حد كبير فى زماننا من ندوات أو حلقات علمية.

* انتشرت المســاجد الجامعة فى كل مدن خــراسان، وأعطى ذلك الأمر المسلمين فرصة كبيرة للتـعارف والتأخى ووحدة الصف، كما حققت نوعًا من الوحدة الفكرية بين أبناء الأمة، وأسهمت فى تكوين الرأى العام، ومن هنا ينبغى الاهتمام بالمسجد، وإعادة دوره السابق .

* شارك علمــاء خراسان فى خـدمة مجـتمعهم يجـعل بعض منازلهم أماكن لطلاب العلم وانتشرت الساحات والزوايا والبيمارستانات التى تحولت الى مؤسسات تعليمية.

ويكفى أن تتردد أسـماء علماء خراسـان فى كل العلم ردحًا طويلاً من الزمن يستفيد الناس من كتبهم وعلومهم وينهلوا من معارفهم.

فهل تستطيع إعادة هذا الدور العظيم الذى قامت أمـتنا الإسلامية سابقًا أو قام به إقليم من أهم أقاليمها وهو إقليم خراسان.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المطبوعة:

- القرآن الكريم.
- صحيح البخارى.
- صحيح مسلم.
- **ابن أبى أصيبعة**: موفق الدين أبو العباسى أحمد بن القاسم السعدى، ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م.

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ٣ أجزاء فى مجلدان، ط٢، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **ابن الأثير**: أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م.

الكامل فى التاريخ، راجعه وصححه، د/ محمد يوسف الدقاق، ١٠ مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لنبان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ .

- **ابن أعثم الكوفى**: أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى، ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م.

كتاب الفتوح، ٨ أجزاء، الطبعة الأولى، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، بدون.

- **ابن جبير**: أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى، ت ٦١٤هـ/ ١٢٢٢م.

رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، طبعة القاهرة، ١٩٥٥م.

- **ابن الجوزى**: أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م.

المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق د/ محمد عبد القادر عطا، ود/ مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ١٨ جزء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م، طبعة دار صادر، ١٠ أجزاء، بيروت، لبنان، ١٣٥٩هـ.

تلبيس إبليس، تحقيق د/ السيد الجميلى، دار الريان للتراث، بدون.

- **ابن حوقل**: أبى القاسم بن حوقل النصيبى، ت ٣٧٠هـ/ ٩٩٢م.

صورة الأرض، طبعة ٩ الفاروق الحديثة، الناشر دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، بدون.

- **ابن خرداذبة**: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣١٠هـ/ ٩٣٢م.

المسالك والممالك، طبعة ليدن، ١٨٨٩م.

- **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد بن جابر، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م.

مقدمة ابن خلدون: تحقيق المستشرق الفرنسى أ . م. كاترمير، ٣ مجلدات، طبعة باريس، سنة ١٨٥٨م، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر، ٨ مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- **ابن خلكان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/ إحسان عباس، ٨ مجلدات، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

- **ابن رسته**: أبى على أحمد بن عمر، ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م.

الأعلاق النفسية، طبعة ليدن، سنة ١٨٩١م.

- **ابن العماد الحنبلى**: أبى الفلاح عبد الحى بن على بن محمد، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م.

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٨ أجزاء فى ٤ مجلدات، طبعة مكتبة القدسى، القاهرة، بدون.

- **أبو الفدا**: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بنعمر شاخشاه، صاحب حماه، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.

تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه ريفود، والبارون ماك كوكين ديسلان، طبعة باريس، ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون.

- **ابن الفقيه الهمذانى**: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى، ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٣م.

مختصر تاريخ البلدان، ليدن، مطبعة بريل، دار صادر، بيروت، ١٣٠٢هـ.

- **ابن القفطى**: جمال الدين على أبى الحسن على بن يوسف، ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م.

أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المتنبى، القاهرة، بدون.

أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **ابن كثير**: عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفدا الدمشقى، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م.

البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، ٦ أجزاء فى ٨ مجلدات، الطبعة الخامسة، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- **ابن الوردى**: زين الدين عمر بن مظفر، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.

تاريخ ابن الوردى، المعروف بتتمة المختصر فى تاريخ البشر، جزءان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- **ابن النديم**: محمد بن إسحاق، ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م.

الفهرست، تحقيق محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون.

- **الاصطخرى**: ابن اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى، ت ٣٠٩هـ/951م.

المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحينى، راجعة محمد شفيق غربال، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- **البغدادى**: أبو بكر أحمد بن على، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م.

تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

الكفاية فى علم الرواية، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

- **البغدادى**: صفع الدين عبد المؤمن عبد الحق، ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٥م.

مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق على محمد البجاوى، ط دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٣

- **البكرى**: أبى عبد الله عبد العزيز، ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م.

معجم ما استعجم من أسماء البقاع والمواضع، ج٢، ط١، نشر لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٥م.

- **البندارى**: الفتح بن على محمد البندارى الأصفانى، ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م.

تاريخ دولة آل سلجوق، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- **البلاذرى**: أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٣٧٩هـ/ ٨٩٢م.

فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق عليه عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- **البيرونى**: أبو الريحان محمد بن أحمد، ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م.

الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون.

كتاب الجماهير فى معرفة الجواهر، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون.

- **الجوينى**: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م.

العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية، بغداد ١٩٥٥م.

- **حاجى خليفة**: مصطفى عبد الله القسطنطى الرومى الحنفى الشهير بالملا كاتب الحلبى، ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م.

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مجلدات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة القنصلية، مكة المكرمة، السعودية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- **الحسينى**: صدر الدين على بن ناصر، ت بعد ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م.

أخبار الأمراء والملوك السلجوقية المعروف "زبدة التواريخ"، تحقيق د/ محمد نور الدين، الطبعة الثانية، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **الخوارزمى**: أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، ت ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م.

مفاتيح العلوم، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **الذهبى**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م.

تذكرة الحافظ، مجلدان، فى ٤ أجزاء، دار أحياء التراث العربى، بدون.

تهذيب سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، ٣ أجزاء الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- **الزركلى**: خير الدين الزركلى، بدون.

"الأعلام"، قاموس تراجم، الجزء الثامن، الطبعة الثانية، طبعة كوستاتسوماس وشركاه، بدون.

- **سبط ابن الجوزى**: شمس الدين أبى المظفر قـزو أغلى بن عبد الله، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م.

مرآة الزمـان فى تاريخ الأعيان، الحقـبة (٤٣٥ - ٤٤٧هـ/ ٩٥٦ - ١٠٥٥م)، دراسـة وتحـقيق جنان جـليل محـمـد الهموندى، وزارة الثقافـة والأعلام، الدار الوطنية، بغداد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- **السـخاوى**: شمس الديـن محمـد بن عبد الـرحمن، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م.

الإعـلان بالتـوبيخ لمن ذم التـاريخ، الطبـعـة الأولى، دار بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- **السـمعـانى**: أبى سـعد عـبد الكريم بـن محـمد بن منصـور، ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م.

أدب الإملاء والاستمـلاء، تحقيق ماكس فايسقـايلر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون.

- **الشهرسـتانى**: أبو الفتح محمد بن عـبد الكريم بن أبى بكر أحمد، ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م.

الملل والنحل، تحقيق د/ مـحمد سيد كـيلانى، جزءان فى مجلد، طبـعة مصطفى الـبانى الحلبى وشركـاه، القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- **الشـيرازى**: أبى إسحـاق إبراهيم بن على بن يوسف، ت ٤٧٦هـ/ ١٠٧٤م.

طبقات الفقهاء، حققه وقدم له د/على محمد عمر، ط١، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- **الطبرى**: أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م.
تاريخ الرسل والملوم، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٠ أجزاء، الطبعة السادسة، دار المعارف، بدون.
- **القابسى** التعليم فى رأى القابسى، بغداد ١٩٦٩م.
- **القزوينى**: زكريا محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م.
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون.
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، الطبعة الخامسة، طبعة مصطفى البانى الحلبى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- **القشيرى**: أبى القاسم عبد الكريم، ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م.
الرسالة القشيرية، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف، جزءان، دار المعارف، القاهرة، بدون.
- **القلقشندى**: أبى العباسى أحمد بن على، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م.
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، عدة أجزاء، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، بدون.
- **ماركوبولو**: نيقولوبولو، ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م.
رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى الإنجليزية وليم مارسدن، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد، ج١، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- **الماوردى**: أبى الحسن على محمد بن حبيب البصرى، ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م.
أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه د/ مصطفى السقا،

الطبعة الخامسة، نشر مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، طبعة عيسى الحلبى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- **المسعودى**: أبى الحسن على بن الحسين بن على ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م.

مروج الذهب ومعادن الجوهرة، ج٢، ١٩٨٢م.

- **المقدسى**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشارى، ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م.

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د/ محمد مخزوم، دار أحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

- **النوبختى**: أبو محمد الحسن بن موسى، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م.

كتاب فرقة الشيعة، حققه نصوصه وعلق عليه د/ عبد المنعم الحفنى، ط١، دار الرشاد، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **الواقدى**: أبو عبيد الله محمد بن عمر .

فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مطبعة المحروسة، القاهرة، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.

- **اليافعى**: عفيف الدين عبد الله بن أسعد، ت ٧٦٨هـ/ ١٢٧٦م.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبورى، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ط حيدر أباد الركن، ٤ أجزاء، ١٢٣٦هـ.

- **ياقوت الحموى**: عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.

المشترك وضعا والمفترق صقعا، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

معجم الأدباء أو "إرشاد الأريب فى معرفة الأديب"، ٥ مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- **اليعقوبى**: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب، ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م.

البلدان، وضع حواشية محمد أمين ضناوى، منشورات محمد على بيضون، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

تاريخ اليعقوبى، مجلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

- **إبراهيم طرخان**:

النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٨م.

- **إحسان إلهى ظهير**:

التصوف "المنشأ والمصادر" الطبعة الأولى، نشر إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **أحمد أمين**:

- فجر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م. - ظهر الإسلام، الطبعة الثانية، نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

- ضحى الإسلام: الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة، للكتاب مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م.

- **أحمد عبد الحميد الشامى**: (دكتور)

الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، الطبعة الثانية، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، دار النهضة المصرية، ١٩٨٥م.

- **أحمد فؤاد الأهوانى**: (دكتور)

التربية فى الإسلام، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، بدون.

- **أحمد فؤاد متولى**: (دكتور)

الجمهوريات الإسلامية فى أسيا الوسطى والقوقاز، بالاشتراك مع د/ هويدا محمد فهمى، مركز الدراسات الشرقية، (١(٢) جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

- **أحمد كمال الدين حملى**: (دكتور)

السلاجقة فى التاريخ والحضارة، دار البحث العلمية، الكويت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

عمر الخيام عصر "أوبيئة ونتاجا، ط١، الناشر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، طبعة مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- **أحمد محمد عدوان**: (دكتور)

موجز تاريخ دويلات المشرق، دار عالم الكتب، ط١، الرياض، ١٩٩٨م.

- **أحمد محمود الساداتى:** (دكتور)

أفغانستان قلعة الإسلام الشامخة بقلب أسيا، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون.

- **آدم متز:**

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى "عصر النهضة فى الإسلام"، جزءان، ترجمة د/ محمد عبد الهادى أبو ريده، أعد فهارسه / رفعت البندارى، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، الناشر مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- **أربرى:**

تراث فارس، ترجمة محمد كفافى، السيد يعقوب، أحمد محمود الساداتى، محمد خفاجى، مراجعة يحيى الخشاب، مكتبة عيسى الحلبى، ١٩٥٩م.

- **إسعاد عبد الهادى:** (دكتور)

فنون الشعر الفارسى، ط القاهرة، ١٩٧٢ .

- **أسعد طلس:** (دكتور)

التربية والتعليم فى الإسلام، بيروت، ١٩٥٦ .

نظامية بغداد، باريس، ١٩٣٩ .

- **الأب أنستاس مارى الكرملى:**

النقود العربية وعلم النميات، طبعة المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.

- **بارتولد: فاسيلى فلاديميروفتش**

تاريخ الترك فى أسيا الوسطى، ترجمة د/ أحمد السعد سليمان، راجعه إبراهيم صبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.

تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقل عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **بروان: إدوارد جرنفيل**

تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة وتعليق د/ أحمد كمال الدين حلمى، ج١ ط١، الكويت، ١٩٩٦م.

- **بروكلمان: كارل**

تاريخ الأدب العربى، ٦ أجزاء، ترجم الثلاث أجزاء الأولى إلى العربية د/ عبد الحليم النجار، الجزء الأول والثانى، الطبعة الثالثة، والجزء الثالث، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، بدون.

وترجم الأجزاء الرابع والخامس والسادس، د/ السشيد يعقوب بكر، د/ رمضان عبد التواب، الجزء السادس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.

- **برنارد لويس:**

الحشاشون فرقة ثورة فى تاريخ الإسلام، تعريب محمد العزب موسى، ط٢، دار آزال، بيروت، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٦م.

أصول الإسماعلية والفاطمية والقرمطية، راجعة وقدم له د/ خليل أحمد خليل.

- **برهان الزرنوخى:**

تعليم المتعلم، بغداد، ١٩٤٢م.

- **بطروشفسكى:**

الإسلام فى إيران، قدم له وترجمه وعلق عليه، د/ السباعى محمد السباعى، الطبعة الثانية، نشر دار الزهراء، ١٩٩٣م.

- **جرجى زيدان:**

تاريخ التمدن الإسلامى، ٣ أجزاء، راجعها وعلق عليها د/ حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، بدون.

- **حافظ أحمد حمدى:** (دكتور)

الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ٢٠٠٠م.

النظم الإسلامية، الاشتراك مع د/ على إبراهيم حسن، الطبعة الثالثة، مطبعة السنة المحمدية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م.

- **حسن أحمد محمد:** (دكتور)

العالم الإسلامى السياسى فى العصر العباسى بالاشتراك مع د/ أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربى، بدون.

الإسلامى فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.

- **حسين أمين**: (دكتور)

تاريخ العراق فى العصر السلجوقى، طبعة المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥.

- **دونالد ولبر:**

إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة د/ عبد النعيم حسانين، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

- **رشاد معتوق**: (دكتور)

"الحياة العلمية فى العراق" خلال العصر البويهى (٣٤٤ - ٤٤٧هـ - ٩٤٥- ١٠٥٥م)، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧

- **سهيل زكار**: (كتور)

مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

- **شاخت وبوزورث: جوزيف وكليفورد**

تراث الإسلام، ترجمة د/ محمد زهيرالسمهورى، د/ حسين مؤنس، د/ إحسان صدقى، تعليق وتحقيق د/ شاكر مصطفى، مراجعة د/ فؤاد زكريا، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **صفية سعادة**: (دكتورة)

تطور منصب قاضى القضاه فى الفترتين البويهية والسلجوقية، ط١، دار أمواج، بيروت، ١٩٨٨م.

- **عامر النجار:** (دكتور)

في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

- **عبد الحليم محمود منتصر:** (دكتور)

تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، الطبعة التاسعة، دار المعارف، القاهرة، بدون.

- **عبد الفتاح مقلد الغنيمي:** (دكتور)

الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، الطبعة الأولى، نشر دار الأمين، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- **عبد الله عبد الدائم:** (دكتور)

التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

- **عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي:** (دكتور)

التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، الطبعة الثانية، دار الوفاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **عبد المنعم ماجد:** (دكتور)

تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- **عبد النعيم حسنين:** (دكتور)

سلاجقة إيران والعراق، الطبعة الأولى، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

قاموس الفارسيـة، دار الكتب المصرى واللبنانى، القاهرة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

- **عبد الهادى محبوبة:** (دكتور)

نظام الملك الحسن بن على بن إسحـاق الطوسى (٤٠٨ - ٤٨٥هـ/ ١٠١٧ - ١٠٩٣م) كـبـيـر الوزراء فـى الأمـة الإسلامية، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- **عصام الدين عبد الرؤوف الفقى:** (دكتور)

الدول المستـقلة فى المشرق الإسـلامى منذ مسـتهل العـصر العـباسى حـتى الغزو المـغولى، ط١، دار الفكر العـربى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- **على عبد الحليم محمود:** (دكتور)

المسجـد وأثره فى المجتمع الإسـلامى، الطبعة الثـانية، دار المعارف، القاهرة، بدون.

- **على بن محمد الزهرانى:** (دكتور)

الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية (٢١٢ - ٤٨٤هـ/ ٨٢٦ - ١٠٩١م)، مكة المكرمـة، لمملكة الـعربيـة السـعـودية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- **عمر فروخ:** (دكتور)

تاريخ العلوم عند العـرب، بالاشتـراك مع د/ ماهرر عـبد القادر، د/ حـسان حـلاق، دار النهضة العـربية للطبـاعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- **فاروق عمر**: (دكتور)

تاريخ إيران، دراسة فى التاريخ السياسى لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة، (٢٠٩ - ٩٠٦هـ/ ٦٤١ - ١٥٠٠م) بالاشتراك مع د/ مرتضى حسن النقيب، بغداد، ١٩٨٩م.

- **فاضل الخالدى**: (دكتور)

الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق خلال القرن الخامس الهجرى، دار الأديب، بغداد، ١٩٦٩م.

- **فامبرى: أرمينيوس**

تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة د/ أحمد محمود الساداتى، مراجعة وتقديم د/ يحيى الخشاب، طبع ونشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون.

- **فتحى أبو سيف**: (دكتور)

خراسان تاريخها السياسى من سقوط الطاهرين إلى بداية الغزنويين، ط١، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٤٠٩م.

الماوردى، عصره، وفكرة السياسى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٠م.

المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلالية، القاهرة، بدون.

- **فلهاوزن: ت "يوليوس"**

تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية، نقله عن الالمانية، محمد عبد الهادى أبو ريدة، راجعة حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٨٥م.

- **قحطان سعيد الحديثى:**

التواريخ المحلية لإقليم خراسان، العراق، ١٩٩٠ .

- **كى لسترنج:**

بلدان الخلافة الشرقية، نقلة إلى العربية ووضح فهارسة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، الطبعة الأولى، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٢٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- **محمد حسن عبد الكريم العبادى:** (دكتور)

خراسان فى العصر الغزنوى، الأردن، ١٩٩٧م.

- **محمد الخضرى بك:**

تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون.

- **محمد عبد العظيم أبو النصر:** (دكتور)

الدولة العباسية، نظمها الداخلية وعلاقتها الخارجية، الزقازيق، ١٩٩٧م.

- **محمود محمود إدريس:** (دكتور)

تاريخ العراق والمشرق الإسلامى فى العصر السلجوقى الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥م.

سلطان السلاجقة الأعظم السلطان سنجر السلجوقى سياسته الداخلية وأهم مظاهر الحضارة فى عهده، المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٨٨م.

- **محمد مسفر الزهرانى:** (دكتور)

نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية (٤٤٧ -

٥٩٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى ٣٣٤هـ/ ١٥٩٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

- **محمود شيت خطاب:**

قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر، الطبعة الأولى، دار الأندلس الخضراء المملكة العربية السعودية، نشر دار ابن حزم بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- **مريزن سعيد عسيرى:** (دكتور)

الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ط١، مكتبة الطالب الجامعى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- **مصطفى لبيب عبد الغنى:** (دكتور)

دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م.

- **منير الدين أحمد:** (دكتور)

تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى، مستقاه من "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادى، ترجمة وتلخيص وتعليق د/ سامى الصقار، نشر دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **ناجى معروف:** (دكتور)

علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٢٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- **يحيى عبد القادر الوزنة**: (دكتور)

الدولة السلجوقية، فى عهد السلطان سنجر (٤٩٠ - ٥٥٢هـ/ ١٠٩٦ - ١١٥٧م)، ط١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- **يسرى الجوهرى**: (دكتور)

آسيا الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

- **يوسف العش**:

دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط، ترجمة عن الفرنسية، نزار أباظة، ومحمد صباغ، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ثالثاً: المصادر والمراجع الفارسية والتركية:

- **ابن بيبى**: علاقة يحيى بن محمد من مؤرخى القرن السابع الهجرى.
سلجوق نامة، ترجمة محمد زكريا مائل، طبع أول جولانى ١٩٤٥، ناشر، اشفاق أحمد، كلبرك، لاهور، وقد اختصر هذا الكتاب تحت اسم "مختصر سلجوق نامة"، ترجمة د/ محمد السعيد جمال الدين، تحت عنوان (أخبار سلاجقة الروم)، نشر مركز الوثائق، والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- **البيهقى**: أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م.

تاريخ البيهقى، "صفحات مسعودى"، ترجمة د/ يحيى

الخشـاب، د/ صادق نشـأت، نشر دار النهـضة العـربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

- خسرو: ناصر خسرو علوى القباذيانى، ت ٤٨١هـ/ ١٥٨٨م.

سفـر نامة، ترجمـة، د/ يحى الخشـاب، الطبعة الثـانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

- خواندمير: غياث الدين بن همام الحسيني، ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م.

دسـتـور الوزراء (شـامل أحـوال وزارى إسـلام انقـراض تيمـوريان) بتصـحيح ومـقدمة سـعيـد نفيـسى، طهران، ١٣١٧هـ، ترجمـة د/ حربى أمين سليـمان ضمن رسـالته للدكـتوراه، وقدمـه د/ فؤاد عـبدالمعطـى الصياد، ونـشره ضمن كتابة المؤرخ الإيرانى الكبيـر (غياث الدين خوامير)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

- رسول جعفريان:

الشيـعة فى إيران، دراسة تاريخـية من البداية حـتى القرن التاسع الهجـرى، تعريب على هاشم الاسدى، ط١، طبع مؤسـسة الطبع التابعة لـلآستانة الرضوية المقـدسة، إيران، ١٤٢٠ق / ١٣٧٨ش .

- رضا زاده شفق:

تاريخ أدبيـات دار إيران، "تاريخ الأدب الفـارسى"، نقله من الفارسية إلى العربيـة محمد موسى هنداوى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

- سعيد نفسى:

مدرسـة نظاميـة بغداد، مـجلة مهـر، طهران، ١٣١٣هـ/ ١٩٤٣م.

- **السمرقندى**: النظامى المعروضى، ت ٥٥٠هـ/ ١٣٦٨م.

جهاز مقالة (المقالات الأربع) فى الكتابة والشعر والنجوم والطب، نقله إلى العربية، د/ عبد الوهاب عزام، د/ يحيى الخشاب، وعليه خلاصة حواشى العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

- **عباس إقبال**:

تاريخ إيران بعد الإسلام من الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجرية (٢٠٥ - ١٣٤٣هـ/ ٨٢٠ - ١٩٢٥م)، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه د/ محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

وزارات در عهد سلاطين برزك سلجوقى (از تاريخ تشكيل ابن سلسلة تامرك سلطان سنجر ٤٣٢ - ٥٥٢هـ/ ٨٢٠ - ٥٢٩م)، نقله عن الفارسية د/ أحمد كمال الدين حلمى، تحت عنوان "الوزارة فى عهد السلاجقة"، نشر الكويت، ١٩٨٤م.

- **الفردوسى**: أبو القاسم الفردوسى، ت ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م.

الشاهنامة، ترجمة د/ عبد الوهاب عزام، الطبعة الثانية، نشر دار سعاد الصباح، ١٩٩٣ .

- **الكرديزى**: أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود، ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م.

زين الأخبار، ترجمة د/ عفاف زيدان، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٢ .

- مؤلف مجهول:
جدول العالم من المشرق إلى المغرب، كتبه سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م، ترجمة عن الفارسية وحققه يوسف الهادى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- نظام الملك: أبى على الحسن بن إسحاق الطوسى، ت / ٤٨٥ / ١٩٠٢م.
سياسة نامة، ترجمة وتعليق د/ السيد محمد العزاوى، الناشر دار الرائد العربى، توزيع دار كابى، بدون.

رابعًا: الدوريات

- آنا مارى سيمل:
الإسلام دين الإنسانية، ترجمة وتعليق د/ صلاح عبد العزيز محجوب، راجعة د/ محمد فهمى حجازى، وقدم له د/ محمود حمدى زقزوق، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، العدد ٩٥، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- حسين أمين:
نظم الحكم فى العصر السلجوقى، مقال منشر بمجلة سومر، المجلد العشرين، ج١، ج٢، سنة ١٩٦٤م.
المدرسة النظامية من مظاهر الحضارة الإسلامية ببغداد، مقال بمجلة كلية التربية ببغداد، المجلد العاشر، ١٣٨هـ/ ١٩٦٢م.
المدرسة المستنصرية، مقال بمجلة المعهد المعهد العلمى العراقى، المجلد الرابع والعشرين، بغداد، ١٩٧٤م.

- **جعفر حسين خصباك:**

القضاء فى العراق فى العهد السلجوقى، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية، العدد الثالث، بغداد، ١٩٧٤م.

دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكرى، المجلد السابع، الطبعة الأولى، ١٤٨هـ/ ١٩٩٨م.

- **عبد الهادى محبوبة:**

من رسائل نظام الملك، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد السابع، ج٢، ١٩٦١م.

- **محمد طه الحاجرى:**

الورق والوراقه فى لحضارة الإسلامية، مقال منشور بمجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد الثانى عشر، بغداد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

- **محمد عبد العظيم أبو النصر:** (دكتور)

الحياة الاقتصادية فى بلخ فى العصر الغزنوى، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٢م.

الفتح الإسلامى لإقليم الصغد، بحث منشور فى حولية الدراسات الإسلامية، الحولية الأولى، المعهد الآسيوى، الزقازيق، ١٩٩٧م.

مراكز التجارة فى آسيا الوسطى، بحث نشر ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- **مصطفى جواد:**

المدرسية النظامية ببغداد، مقال منشور بمجلة سومر، بغداد، ج٢، مج٩، ١٩٥٣م.

- **يحيى الخشاب: (دكتور)**

نظام الملك والمدارس النظامية، بحث بمجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

خامساً: الرسائل العلمية:

- **إبراهيم على البهى:**

الحركة الثقافية فى بلاد المشرق الإسلامى فى عصرى السامانيين والويهيين، رسالة ماجستير غير منشورة آداب المنيا، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

التطورات الحضارية فى خراسان فى العصر السلجوقى الثانى (٤٨٥ - ٥٩٠هـ/ ١٠٩٢ - ١١٩٣م) رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب الزقازيق فرع بنها، بدون.

- **دعاء عبد الرحمن على:**

الوزارة فى عهد السلاجقة (٤٢٩ - ٥٩٠هـ/ ١٠٣٧ - ١١٥٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة آداب الزقازيق، ٢٠٠٣م.

- **عبد الهادى رضا:**

الوزارة والنظام الملك الوزير السلجوقى، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب القاهرة، بدون.

- **محمد سعد السيد:**

الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، ٢٠٠٤م.

- **محمد عبد العظيم أبو النصر:**

طغرلبك وتأسيس الدولة السلجوقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩١م.

نظم وأهم مظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام، ٣٢٩ - ٤٨٥هـ/ ١٠٣٧ - ١٠٩٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩٥م.

- **مواهب عبد الفتاح:**

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة السلاجقة على عهد ملكشاه، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة